المنتدى

مجلة فكرية ثقافية يصدرها مرة كل شهرين
منتدى الفكر العربي

العدد (٢٣٢+٢٣٣) المجلد الثاني والعشرون (١+٢)
كانون الثاني/يناير - آذار/مارس ٢٠٠٧

عدد ممتاز مزدوج

٢٣٢
و
٢٣٣

في هذا العدد

ملفّان خاصّان

١- الأمير الحسن بن طلال في عيد ميلاده الستين

٢- الدوحة ٢٠٠٧

منتدى الفكر العربي

الرئيس والراعي
سموّ الأمير الحسن بن طلال
President & Patron
HRH Prince El Hassan bin Talal

الأمين العام
Secretary General
الدكتور حسن نافعة
Dr. Hassan Nafaa

منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حُرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقرًّا لأمانته العامة.

يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
٢- دراسة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربيّ، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهامًا فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.
٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة: وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية: ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.
٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية: وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضرًا ومستقبلاً.
٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الإستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهمّ المثقف والمواطن العربيّ.

ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشىء من أجلها.
٢- عُضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربيّ المشترك.
٣- عُضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.

Arab Thought Forum
P.O.Box : 925418
Amman - 11190 Jordan
Tel : (+962-6) 5333261/5333617
Fax : (+962-6) 5331197

منتدى الفكر العربيّ
ص ب: ٩٢٥٤١٨
عمّان ١١١٩٠ - الأردن
تلفون: ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧ (٦-٩٦٢+)
ناسوخ (فاكس): ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)

E-mail: *mai@atf.org.jo*
URL: *www.atf.org.jo*

سعر النسخة: أربعة دنانير (ستة دولارات أمريكية)

إهــــــداء ٢٠٠٧
منتدى الفكر العربي
المملكة الأردنية الهاشمية

Al Muntada

A Bimonthly Cultural Magazine

Published by the Arab Thought Forum (ATF)

Amman - Jordan

المنتدى

مجلة فكريّة ثقافيّة يُصدرها مرّة كل شهرين

منتدى الفكر العربيّ

عمّان - الأردن

العدد (٢٣٢+٢٣٣)

المجلد الثاني والعشرون (١+٢) كانون الثاني /يناير - آذار / مارس ٢٠٠٧

هيئة التّحرير

إرشادات عامّة لكُتّاب المجلّة

* يشترط أن لا يزيد طول المادة المقدمة للنشر على عشر صفحات من القطع الكبير، وأن تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).
* يرجى موافاتنا بالقرص (الديسك) أو إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.
* يُشترط أن تكون المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر إلى أية جهة أخرى.
* يُرجى من الكتّاب ذكر عناوينهم، بما في ذلك رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والناسوخ (الفاكس).
* يُقلل عددُ الهوامش والمصادر والمراجع بقدر الإمكان.
* يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عناية خاصّة.
* تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدم إن رأت ذلك ضروريًا.
* تعتذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.

*الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربيّ

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٣/١٣/د)

صفحة ٦٩



كلمة أولى

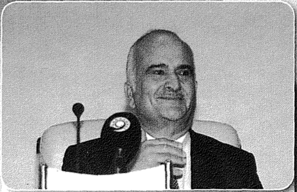
أ. د. هُمام غَصيب
رئيس التحرير

يَصدرُ هذا العدَدُ الممتاز [وهو مُزْدوج للمرّةِ الثّالثةِ على التّوالي!] مُتزامنًا مَعَ هُبوبِ الأنسامِ الأولى للرّبيع، ومَعَ حُلولِ عيدِ الميلادِ السّتّين لسُمُوِّ رئيسِ المنتدى وراعيه. وبهذه المناسبةِ السّعيدة، أفردْنا ملفًّا خاصًّا (ص٥-٣٣). وهذا أدْنى الواجب.

كما يَتزامنُ العدَدُ مَعَ تسلُّمِ أميننا العام الجديد، أ.د. حسَن نافعة، العُهْدَةَ من الأمينِ السّابق، أ. وسام الزّهاوي (ص٨٠-٨٣). فللدّكتور حسَنٍ أطيبُ التّمنّيات؛ راجينَ أنْ نَهْنأَ به ويَهْنأَ بنا. وللأستاذ وسام أحَرُّ التّحيّات؛ آملينَ أنْ يَبقى معَنا عُضْوًا عاملاً فاعلاً.

وهنالك ملفّ خاصّ آخَرُ في العدَد عن نشاطِنا الفكريّ المتألّق في الدّوْحَةِ العزيزة (ص٤١-٧٩). وهو مُلخّصٌ وافٍ مُوجّهٌ إلى منْ حَضَر وإلى مَنْ لمْ يستطعِ الحضور، سواء بسواء.

بقيَ أنْ أتمنّى للقارىء الكريم وقْتًا طيّبًا مَعَ الزّادِ الفكريّ الذي نُقدِّمُهُ على مائدةِ هذا العدَد، منْ مقالاتٍ وحواراتٍ وشَراراتٍ! وهو جهْدُ المُقلّ، على أيّ حال! ■



المحتويات



«نشرة» المنتدى قبل (عشرين +) عامًا

المنتدى

نشرة شهرية تصدر عن منتدى الفكر العربي

السنة الأولى، العدد التاسع، حزيران/يونيو ١٩٨٦

المحتويات

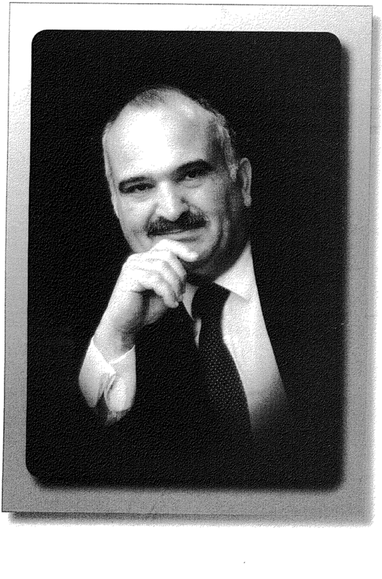
منتدى الفكر العربي
الرئيس: سمو الأمير حسن بن طلال
الأمين العام: الدكتور سعد الدين ابراهيم
المحرر: الدكتور فهد الفانك

ARAB THOUGHT FORUM
Chairman: H.R.H. Crown Prince Hassan
Secretary General: Dr. Saad Eddin Ibrahim
Editor in Chief: Dr. Fahd Fanek

ص. ب ٩٢٥٤١٨ تلفون ٦٧٨٧٠٧ تلكس ٢٣٦٤٩ عمان / الأردن
P.O. Box 925418, Tel. 678707/8 Tlx. 23649 ATF 80 Amman - Jordan

● أنظر أيضًا (ص ١٨٨-١٨٩) من هذا العدد من المنتدى.

الأمير الحسن بن طلال
في عيد ميلاده الستّين



صاحب السّمُوّ الملكيّ

الأمير الحسن بن طلال

يُؤمن صاحب السّمُوّ الملكيّ الأمير الحسن بن طلال، باعتباره من دُعاة التّعدّديّة والتّضامن الإنسانيّ واحترام «الآخَر»، بالمجتمعات الإنسانيّة التي يُمكن فيها لكل الشّعوب العيش والعمل بحرّيّة وكرامة. وقد شكّل تحقيق هذا الهدف القوّة الدّافعة التي تكمن وراء اهتمامه بالقضايا الإنسانيّة وبالحوار بيْن أتباع الدّيانات، مع التّركيز بشكل خاصّ على البُعد الإنسانيّ للنّزاعات. لقد بادر سموّه إلى تأسيس عدد من المؤسّسات والمنظّمات والمبادرات واللّجان الأردنيّة والدّوليّة، وإلى الإسهام الفاعل في أعمالها وأنشطتها.

لسموّه ثمانية مؤلّفات هي: **دراسة حول القدس** (١٩٧٩) [باللّغتين العربية والإنجليزيّة]؛ **تقرير المصير الفلسطينيّ** (١٩٨١) [بالعربيّة والإنجليزيّة]؛ **البحث عن السّلام** (١٩٨٤) [بالعربيّة والإنجليزيّة]؛ **المسيحيّة في العالم العربيّ** (١٩٩٤) [بالعربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة واليونانيّة والإسبانيّة والرّوسيّة والألمانيّة والسويديّة]؛ **الاستمراريّة، والإبداع، والتّغيير: مقالات مختارة** (٢٠٠١) [بالإنجليزيّة]؛ **أنْ تكون مسلمًا** (٢٠٠١) (بالاشتراك) [بالإيطاليّة والفرنسيّة والإسبانيّة والإنجليزيّة]؛ **في ذكرى رحيل فيصل الأوّل: المسألة العراقيّة** (٢٠٠٣) [بالعربيّة]؛ **س و ج: قضايا معاصرة** (٢٠٠٣) [بالعربية].

السّجلّ المصوّر



ندوة «العرب وإفريقيا»
عمّان: ٢٥-٢٩ نيسان/إبريل ١٩٨٣



الاجتماع الرابع لمجلس أمناء منتدى الفكر العربي
عمّان: ٥ أيار/مايو ١٩٨٣



الحوار العربي - الصيني
عمّان: ١٨-١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦



اجتماع مجلس أمناء منتدى الفكر العربي
عمّان: ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٧



ندوة «الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي»
عمّان: ١٤-١٦ آذار/مارس ١٩٨٧

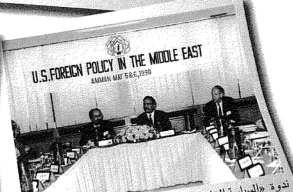
السّجلّ المصوّر



الاجتماع السّنوي السادس للهيئة العمومية لمنتدى الفكر العربي وندوة «التعددية السياسيّة في الوطن العربي»
عمّان: ٢٥-٢٨ آذار/مارس ١٩٨٩



الاجتماع السنوي السابع للهيئة العمومية وندوة «تعليم الامة العربية في القرن الحادي والعشرين»
عمّان: ١١-١٤ أيار/مايو ١٩٩٠



ندوة «السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط»
عمّان: ٥-٦ أيار/مايو ١٩٩٠



الاجتماع السنوي التاسع للهيئة العمومية
الدوحة: قطر ١٩-٢٠ نيسان/إبريل ١٩٩٥



الحوار العربي - السوفييتي الرابع
عمّان: ١٩٩١

السّجلّ المصوّر



ندوة «الغزو العراقي للكويت: الخبرات المستخلصة والخروج من الأزمة»
عمّان: ١٦-١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٩٦



الاجتماع الثالث عشر لمجلس الأمناء
عمّان: ٧ أيار/مايو ١٩٩٧



الاجتماع السنوي العاشر للهيئة العمومية لمنتدى الفكر العربي
وندوة «القطاع الخاص ومستقبل التعاون العربي المشترك»
عمّان: ٢١-٢٢ أيار/مايو ١٩٩٦



الاجتماع السنوي الحادي عشر للهيئة العمومية وندوة «موقف الفكر العربي من التغيرات الدولية»
عمّان: ٢٥-٢٦ نيسان/إبريل ١٩٩٨

السّجلّ المصوّر



ندوة «أسواق النفط والمال... إلى أين؟»
عمّان: ٤ تموز/يوليو ١٩٩٩



ندوة «التعاون الاقتصادي العربي بين القطرية والعولمة»
عمّان: ١٤ - ١٥ نيسان/إبريل ١٩٩٩



ندوة «أسواق النفط والمال... إلى أين؟»
عمّان: ٤ تموز/يوليو ١٩٩٩



غداء بدعوة من الجمعية العلمية الملكية للمشاركين في ندوة «أسواق النفط والمال... إلى أين؟»
عمّان: ٤ تموز/يوليو ١٩٩٩



محاضرة د. سعيد النجار "الحقوق الأساسية للبلدان النامية"
عمّان: ١٩ نيسان/إبريل ٢٠٠٠



الاجتماع السنوي الثاني عشر للهيئة العمومية للمنتدى
عمّان: ٥ تموز/يوليو ١٩٩٩

السّجلّ المصوّر



ندوة «آفاق التعاون العربي بين الإقليمية والعالمية»
الكويت: ٣-٥ تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠٠١



ندوة «آفاق التعاون العربي بين الإقليمية والعالمية»
الكويت: ٣-٥ تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠٠١



ندوة «آفاق التعاون العربي بين الإقليمية والعالمية»
الكويت: ٣-٥ تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠٠١



الخطاب العربي : المضمون والأسلوب
البتراء: ٣-٤ أيار/مايو ٢٠٠٢



ندوة «آفاق التعاون العربي بين الإقليمية والعالمية»
الكويت: ٣-٥ تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠٠١

السّجلّ المصوّر



اجتماع الهيئة العمومية السادس عشر لمنتدى الفكر العربي
وندوة «أسس تقدم الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين»
عمّان: ٨-٩ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣



مؤتمر «الشّباب العربيّ وتحديات المستقبل»
عمّان: ٥-٦ نيسان/إبريل ٢٠٠٤



مؤتمر «الشّباب العربيّ وتحديات المستقبل»
عمّان: ٥-٦ نيسان/إبريل ٢٠٠٤



الحوار العربي الصيني الثالث
عمّان: ٢٩-٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤



الحوار العربي- الصينيّ الثالث
عمّان: ٢٩-٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤

السّجلّ المصوّر



ندوة «[المساهمة] في أجندة اللاجئين والمهاجرين في الشرق الأوسط»
عمّان: ٢٣-٢٥ نيسان/إبريل ٢٠٠٥



ة المشتركة بين مجمَع اللغة العربية الأردنيّ والمنتدى
«اللغة العربيّة والإعلام وكُتّاب النّصّ»
عمّان: ١٣ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥



ندوة «الحوار العربي الباكستاني الأوّل»
عمان: ٨ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥



الملتقى الثالث للتعاون الكوريّ الشرق أوسطي
عمّان: ١١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥

السّجلّ المصوّر



مؤتمر «الشباب العربيّ في المهجر»
عمّان؛ ٢-٣ نيسان/إبريل ٢٠٠٦



ندوة «الفكر العربيّ في عالم سريع التغيّر»
عمّان؛ ٨- ٩ أيار/مايو ٢٠٠٦

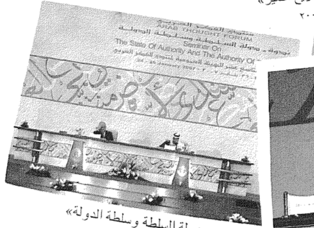


ندوة «الفكر العربيّ في عالم سريع التغيّر»
عمّان؛ ٨- ٩ أيار/مايو ٢٠٠٦

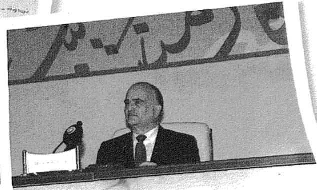
السّجلّ المصوّر



ندوة «الفكر العربيّ في عالم سريع التغيّر»
عمّان: ٨- ٩ أيار/مايو ٢٠٠٦



ندوة «دولة السلطة وسلطة الدولة»
الدوحة: ٢٤-٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧

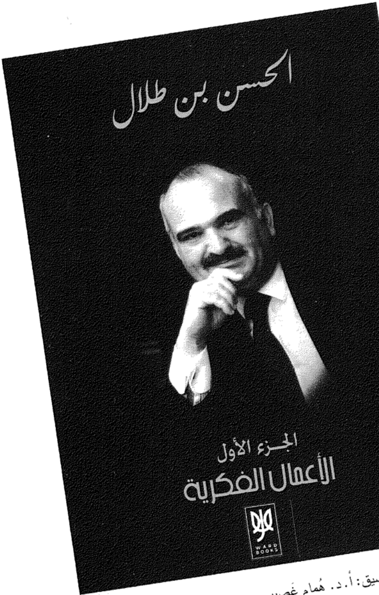


ندوة «دولة السلطة وسلطة الدولة»
الدوحة: ٢٤-٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧



ندوة «دولة السلطة وسلطة الدولة»
الدوحة: ٢٤-٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧

بمناسبة عيد الميلاد الستّين لسموّ الأمير الحسن، سيصدرُ قريبًا عن دار **ورد** الأُردنيّة للنّشر والتّوزيع الجُزْء الأوّل من **الأعمال الفكريّة** لسموّه في مجلّد ضخْم. ويسرّنا هنا أن ننشرَ **التّقديم** الذي سطّره **الدّكتور علي أومليل**، الأمين العام الأسبق للمنتدى وسفيـر المملكة المغربية في لبنان.



الإشراف والتّنسيق: أ.د. هُمام غَصيب
التّحرير: أ. جعفر العقيلي
النّاشر: دار **ورد** الأردنية للنّشر والتّوزيع

الحسن بن طلال: الأعمال الفكريّة

تقـــديم

د. علي أومليل

هناك عبارات تصير باهتة المعنى من كثرة التداول والتكرار، منها عبارة «شاهد على العصر». إلا أن تكرارها لا يمنع من أنها تصدق على شخصيات فذة دون غيرها. فحين يقال عن الأمير الحسن بن طلال إنه شاهد على عصره، فهو في الحقيقة كذلك، و قلما يضاهيه غيره في هذه الصفة. والشهادة هنا تعني المعرفة عن قرب بالعصر الذي خبر الأمير أحداثه وتقلباتها في حقبة تاريخية حاسمة من تاريخ العرب الحديث، كما تعني المشاركة الفعالة في صنعها، ليس بمعنى الفعل السياسي المباشر والمؤثر وحسب، و إنما أيضا بإطلاق أفكار رائدة لتأطيره.

لقد كان الأمير لعقود إلى جانب شقيقه المغفور له الملك الحسين وهما يبنيان الأردن الحديث، وسط محيط عربي و إقليمي ودولي محفوف بالمخاطر المحدقة من هنا وهناك. فقد استوعب الأردن، كما لم يستوعب أي بلد آخر، أكبر عدد من الفلسطينيين اللاجئين والنازحين، وأعطاهم حق المواطنة. وشيد الأردن بنية أساسية واكبت التوسع المتسارع للعمران. وعول على تكوين رأسمال بشري خلاق للثروة، تعويضا عن الخصاص في الموارد الطبيعية، ونهج سياسة خارجية منفتحة ومتنوعة في خضم الأطماع وصراع مصالح الدول الإقليمية والدول الكبرى.

وقد أدرك الأمير أهمية المعرفة والثقافة. فالثقافة هي حصيلة المعرفة من حيث تكوين العقل والوجدان والقيم، وما يترتب عليها من نوعية السلوك. لقد أدرك أهمية الثقافة اليوم، وأنها لم تعد ما ينصرف إليه الناس أو بعضهم من متعة عقلية و وجدانية بعد أن يفرغوا من مهنهم اليومية. فطلب المعرفة المنتجة، وقيمة الجهد الخلاق، وأخلاقيات العمل؛ كل هذا أصبح رأسمالا بشريا لخلق الثروة، وإشاعة روح المبادرة والابتكار، وإنتاج الخيرات.

وهكذا فقد أنشأ الأمير **منتدى الفكر العربي** كمنبر للأفكار ومنتدى للحوار حول القضايا العربية والدولية بين أهل الفكر وأصحاب القرار. وتقلد رئاسة الكثير من المراكز والجمعيات العلمية والبحثية الوطنية والعالمية. فهو يرأس نادي روما، والجمعية العلمية الملكية، والمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، والمعهد الملكي للدراسات الدينية، ومنتدى الفكر العربي ... و للأمير شبكة علاقات نوعية واسعة بعرض العالم وطوله، من سياسيين مؤثرين، وعلماء ومثقفين مرموقين، وكبار الإعلاميين. إنها خريطة إنسانية متميزة يُهتدى بها في عالم متشابك وسريع التغير؛ ويُعرف بها كيف تُطبخ السياسيات، وتُصنع الآراء والأفكار، وتُهيأ القرارات.

إن في هذه المباشرة لمعرفة ما يفكر به المقررون في مصير العالم من سياسيين وإعلاميين وغيرهم لعبرة كبيرة إذا نظرنا إلى هذه الظاهرة الجديدة في عالمنا العربي، المتعلقة بصعود صنف جديد من قادة السياسة والرأي في العالم العربي. فنحن اليوم أمام قادة وصلوا إلى سدة الحكم، أو إلى زعامة تنظيمات سياسية جماهيرية من إسلاميين وغيرهم، لا يعرفون العالم الذي يشنون الحرب عليه، فهم لا يحسنون أية لغة أجنبية، وهم تكوَّنوا محليا، سواء في معاهد دينية منغلقة أو في جامعات أصبحت تنتج وتعيد إنتاج معرفة تجتر بضاعتها المحلية. إن النشاط الثقافي الواسع للأمير موجه لإطلاق تنمية حقيقية تجعل من المعرفة وسيلة لخلق الثروة، وتنمية الإنسان و توسيع قدراته. وإذا كان النقاش دائرا اليوم حول لقاء الحضارات أو تنافرها، فإن رئيس **منتدى الفكر العربي**، ورئيس **نادي روما**، ورئيس **هيئة حوار الأديان** قد دعا إلى الكثير من الحوارات العربية والدولية، وإلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، وذلك لقناعة راسخة لديه، وهي أن السلم الثقافي أصبح شرطا أساسيا للسلم الأهلي داخل المجتمع الواحد، بل إلى السلم بين الدول على مستوى العالم.

يضم هذا الكتاب - وهو مجلد أول - موضوعات يستند فيها العمل الفكري إلى تجربة سياسية في أعلى مستوياتها. هناك أولا القضية الفلسطينية. خطاب الأمير في هذه القضية المصيرية لا يتوجه إلى العرب والمسلمين وحسب، فهؤلاء مقتنعون سلفا بعدالة قضيتهم، بل إلى غير العرب، خاصة الغربيين. إن حجته القانون والتاريخ. هو يعرف قبل غيره أن القانون إذا لم يستند إلى قوة، أو إلى أوراق ضغط، فهو لا يعدو تذكيرا بمبادئ الحق والعدالة والإنصاف، تذكيرا لا يغير شيئا من واقع الظلم الواقع على الفلسطينيين والعرب و المسلمين. لكن إسرائيل، وهي تعتمد أصلا على القوة في تثبيت واقع الاحتلال، لا تهمل الجانب القانوني، معتمدة على فقهائها القانونيين من إسرائيليين ومناصرين لتطويع القانون الدولي لإضفاء الشرعية على تأسيسها الذي قام على أنقاض الحقوق التاريخية والقانونية للشعب الفلسطيني. إن إسرائيل لتنكر على الفلسطينيين حق السيادة بزعم أن هؤلاء لم تكن لهم دولة تمارسها. ويعتمد الأمير على اجتهادات فقهاء عمداء في القانون الدولي لإثبات أن السيادة لا يفوتها احتلال كالاحتلال البريطاني لفلسطين أو الاحتلال الإسرائيلي. ثم ماذا عن إسرائيل نفسها ؟ هل كانت لها دولة في فلسطين قبل فرض دولتها بالقوة العسكرية؟ إن إسرائيل تستند في ما تدعيه من ملكيتها لفلسطين على **التوراة**. والحال أن المسلمين أنفسهم يؤمنون بأن **التوراة** كتاب مقدس، لكنه ليس وثيقةَ ملكيةٍ يُدلى بها لدى أية محافظة عقارية!

وفي الكتاب دراسة قانونية موثقة للقرارات الدولية المتعلقة بالقدس. لقد ضمتها إسرائيل قسرا إلى دولتها، وحولت معالمها، ووضعت كل العراقيل لتعطيل البناء، وأمعنت في تهويدها، وتوسعت في إنشاء المستوطنات بضواحيها، على الرغم من أن قرار التقسيم الأممي استثنى القدس وضاحيتها. وهكذا ضربت إسرائيل عرض الحائط بكل القرارات الدولية المتعلقة بالمدينة المقدسة. ألم يقل ابن غوريون أسابيع بعد قيام إسرائيل إن «قوتنا

العسكرية عليها وحدها يتوقف كل مصير القدس، سواء كانت خارج الدولة [الإسرائيلية] أم لم تكن»؟

ويضم الكتاب أيضا تحليلا قانونيا لمبدأ تقرير المصير. ويعتمد على القانون الدولي الذي يحرم الإجراءات الامتلاكية والتفويتية للأراضي التي احتلت بالحرب. وحتى لو جادل الإسرائيليون في كون الفلسطينيين لم تكن لهم دولة، فإن فلسطين ليست أرضا مباحة، ولذلك فإن لأهلها الحق في المطالبة بتقرير المصير، وهو حق اعترف به القانون الدولي.

والغريب أن إسرائيل، التي تدعي الاعتماد على القانون الدولي لإثبات شرعية وجودها، هي نفسها التي تخرق كل القرارات الأممية المستندة إلى القانون الدولي نفسه. ويطرح الأمير الكاتب السؤال الجوهري: ما هي الطبيعة القانونية للسلطة التي تمارسها إسرائيل منذ ١٩٦٧؟ إنها سلطة خارجة على القانون الدولي. فهي لا تعترف بأنها دولة احتلال، وتنعت كل مقاومة للاحتلال - وهي مقاومة مشروعة - بأنها إرهاب، وتبرر قمعها الهمجي للمقاومة بأنه دفاع مشروع عن النفس.

إن في العالم العربي لشعوراً عميقاً بالظلم بسبب القضية الفلسطينية. فهذه القضية وضعت على المحك القانون الدولي، وشِرعة حقوق الإنسان، و الديمقراطية. فإسرائيل تضرب عرض الحائط بكل القرارات الأممية المستندة إلى القانون الدولي فيما يخص هذه القضية. وحقوق الإنسان تستعمل انتقائيا وبمعيار مزدوج. وباسم نشر الديمقراطية تُجيَّش جيوشٌ، وتُحتل دول عربية وإسلامية. وبسبب هذا كله تولّد لدى قسم كبير من العرب ارتياب في القانون الدولي وحقوق الإنسان والديمقراطية.

منذ الأيام الأولى لاحتلال العراق، لم تخف حقيقة الواقع على الأمير الحسن: لقد سماه باسمه الحقيقي، وهو أنه احتلال موصوف. وتنبأ بما سيجره الاحتلال من خطر الانقسام الطائفي، فكان مبادرا إلى حوار ديني ومذهبي بين العراقيين تحت سقف الوطنية الجامعة.

لقد دمر النظام الصدّامي المجتمع العراقي، ولم يفسح المجال لتأسيس وسائط المجتمع الحديث من أحزاب ونقابات وجمعيات، بل هو «سلطان ورعية»، كما عبر ابن خلدون عن أحوال المجتمع الاستبدادي التقليدي. وجاء الاحتلال بدعوى تحرير العراق. لكن، كما يقول الأمير الحسن: «ليس في وسع أحد أن يوهم العراقيين بأنهم الآن أحرار».

في الكتاب فصل مركز عن «الكنيسة الشرقية» ما أحوج المسلمين، بمن فيهم مثقفوهم، إليه. ذلك أن معرفتهم بأصول العقيدة المسيحية، وتاريخ المجامع المسكونية، والتعديلات المتعاقبة التي أدخلتها على هذه العقيدة، ونشأة الكنائس شرقية وغربية، واختلافها في صياغة عقائدها؛ كل هذا وغيره لا يُلِمّ به المسلمون إلا إلماما قاصرا، وهذه ظاهرة قديمة. فما علينا سوى أن نعود إلى **فهرست** ابن النديم، أو **الملل والنحل**

للشهرستاني، أو **الفِصَل في الملل والنحل** لابن حزم لندرك هذا القصور، ناهيك عن الكتب التي جادل فيها المسلمون المسيحيين. يأتي هذا الكتاب إذن ليملأ فراغا قديما، وهو فراغ غير مفهوم. فالمسيحية ولدت في المنطقة العربية، والمسيحيون العرب كان لهم قديما دور أساسي في نقل التراث اليوناني العلمي والفلسفي إلى العربية، إضافة إلى دورهم الرائد في النهضة العربية الحديثة.

إن اهتمام الأمير الحسن بالمسيحية العربية يندرج في اهتمامه بواقع التعدد الثقافي والديني واللغوي في المجتمعات العربية. فطالما نظر إليه أصحاب الاتجاه القومي العربي على أنه تجزئة فرضت من الخارج، وأنها عائق في وجه الوحدة العربية الكبرى. وهكذا قصَّر النشطاء القوميون «في التصدي لمشكل الأقليات العربية والدينية»، كما «قللوا من أهمية التيارات السياسية الفعالة المسببة للتمزق داخل المجتمع العربي نفسه»، وهو ما تفاقم أمره الآن بحيث أن الدولة القطرية أصبحت هي نفسها مهددة بانفجار داخلي بسبب الصراعات العرقية والدينية.

قيل إن السياسة هي فن الممكن، وإن أقصى ما يستطيعه السياسي هو رفع سقف الممكن. أما المثقف فأفُقُه المطامح وما ينبغي للواقع أن يكون.

و في فكر الأمير الحسن يتكامل المثقف و السياسي في التجربة و الرؤية. فتجربته السياسية في أعلى مستوياتها أمكنته من معرفة دقيقة بالقضايا من حيث أصولها وتطوراتها، وأيضا بفضل علاقاته بالشخصيات المؤثرة في السياسة والاقتصاد والمال والإعلام، هو إذن يعرف «مطابخ» السياسات. وإذا كانت السياسات وقراراتها شخصانية في الأنظمة التي تفتقر إلى بنية مؤسساتية، فإنها، حتى في نظام المؤسسات، مطبوعة، بنحو أو بآخر، بالطابع الشخصي للأشخاص المؤثرين والمقررين.

في كتابات الأمير الحسن تستطيع أن تتبين شيئا أساسيا، وهو أنها يمكن أن توجه إلى القراء العرب كما يمكن أن توجه إلى القراء الأجانب. وهذا لا يتعلق فقط بما كتبه الأمير أصلا بلغة أجنبية ثم نقل إلى العربية، كما هو حال بعض فصول هذا الكتاب، وإنما أيضا بما كتبه أصلا بالعربية. وهنا يحقق الأمير هدفين مترابطين: فهو يرفع المقاييس في تناول القضايا العربية حين يتوجه إلى القراء العرب، ذلك أن الخطاب العربي في تناول قضايانا كثيرا ما يجري بمنطق جدلي، بالمعنى القديم للمنطق الجدلي، أي الانطلاق من مسلمات يسلم بها سلفا الكاتب العربي وقراؤه وهم يقنعون أنفسهم بما هم به مقتنعون أصلا، في حين أن مسلماتهم لا يسلم لهم بها الغير. والقضايا التي يعرضها هذا الكتاب تعتمد على منطق الحجة القانونية، والسند التاريخي، والمعلومات التي تدعمها الوثائق؛ وقبل هذا وذاك، فإن طريقه في التحليل والاستنتاج يجعل من الخطاب حداثيا بكل مواصفات الحداثة في الرؤية والتفكير.

المساهماتُ الخمسُ الآتية مُستلّةٌ من الكلمات التي أُلقيتْ في حفْلٍ خاصّ أُقيمَ بمناسبة السّنةِ الفضّيـةِ للمنتدى في مستهلّ الاجتمـاع السّنـويّ الثّامنَ عشَر لهيئتـه العمـوميّـة (عمّان؛ ١٠ أيّار/مايو ٢٠٠٦). الكلماتُ الأربعُ الأولى ألقاهَا نوّابُ الرّئيس في مجلس الأمناء السّابق؛ والكلمةُ الخامسة تستندُ إلى مقالةٍ ضافية للدّكتورة فاطمة الحبابي، عضو المنتدى، نُشرتْ في كتاب المنتدى التذكاريّ **في الفكر العربيّ النهضويّ** ... (٢٠٠٦).

– ١ –

د. عبد العزيز حجازي

سرنا معك وبقيادتك عبر سنين مرت كالطيف نستمتع فيها بعطائك العلمي والثقافي والأدبي، الذي كان يضيف في كل لقاء ما هو جديد وحديث في عالم تتغير أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بحيث تلقي بظلالها على مجتمعنا العربي. وكنت أنت على الدوام رائدًا على رأس قائمة الرواد العرب. تحدثت بالعربية، فكنت وما زلت أديبًا تنطق بالعربية الفصيحة. وتحدثت بالإنجليزية؛ فأثبتّ أن ثقافتك وحصيلة قراءتك واحتكاكك بالمجتمع الغربي والمجتمع الشرقي، على حد سواء، تقودك إلى كل المنتديات المحلية والإقليمية والدولية، حتى اعترفوا بعلمك وثقافتك واختاروك رئيسًا لأكبر المنتديات الثقافية العالمية: نادي روما Club of Rome. كيف لا وسموّك تجمع بين الثقافة الدينية العميقة وقضايا العصر والتحديث. وقد بدأت حوار الأديان قبل أن يصحو الآخرون إلى الصراع المحتدم اليوم حول حوار الحضارات والثقافات والأديان. واهتميت بالتعلم والعلم والبحث العلمي؛ فأنشأت صروحًا تعليمية وبحثية تشهد بأنك تعيش لأبناء وطنك، تقدم لهم ذخيرة من التراث والتقدم العلمي من خلال الحوارات التي تقودها، سواء في منتدى الفكر العربي، أو في المدارس والجامعات، أو في مراكز البحث التي تشرف عليها. فأثْبَتَّ للكل أن الإمارة ليست وحدها تاجًا على رأسك؛ وإنما حصيلة العلم والثقافة التي اكتسبتها عبر السنين ولم تضن بها على مريديك والمشاركين معك في مسيرة المنتدى، وانطلقت بها إلى آفاق العالمية. لم تُنسك مهماتك الرسمية أن هناك شعبًا ووطنًا يحتاج إلى كل قطرة عرق، بل إلى كل فكر معاصر يضم الأصالة والحداثة في بوتقة واحدة تضيف كل يوم ما هو جديد ومفيد.

عرفناك إنسانًا نُكِنُّ لك كل احترام، وقد أخجلنا تواضعك، وأثبتّ لنا أن ما احتواه قرآننا العظيم من آيات تتعلق بالعلم والعلماء لخير دليل على أن ما أوتينا ﴿من العلم إلا قليلاً﴾، وأن ﴿فوق كل ذي علم عليم﴾،

وأن العلم ليس له حدود، وأن الثقافة العلمية والدينية، خاصة في ظل السماوات المفتوحة، تحتاج إلى عقل راجح لا يعرف للتعصب مكانًا، وإلى فكر يعتمد على الوسطية منهاجًا، وأن العقيدة السمحة هي سلاح التقدم والسعادة والرفاه. فهنيئًا لك ما قدمت وما سوف تضيف؛ فأنت عاشق للكلمة، وداعٍ للسلام الاجتماعي بين الناس، تنشر رسالة الحب والتسامح بين العالمين.

إني على ثقة أن يود كل واحد من زملائي في المنتدى أن يعبر عن تقديره وإعزازه لشخصكم الكريم. لكني أردت شخصيًا أن تشاركني زوجتي هذا الإحساس بأن نقدم لسموكم تذكار مودة وتقدير، داعين الله سبحانه وتعالى أن يمتعكم بالصحة والعافية لتضيفوا إلى المجتمع علمًا نافعًا. جزاك الله عنا كل الخير، وجعل كل ما تقدمه في ميزان حسناتك. وإننا لنؤمن بقول الله سبحانه وتعالى ﴿وقل ربِّ زدني علمًا﴾، وأن العلماء خلفاء الأنبياء، وأنتم واحد من الرواد في ميدان الفكر والثقافة العربية يترك بصماته على ما تضمه كتاباته ورسالته إلى العالم العربي. فقد آن الأوان أن يستمع الحكام إلى ما تقولون؛و﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾؟

كفاك اليوم أن تكون «أمير الثقافة العربية». فهنيئًا لك عطاؤك الذي ليس له حدود، ودعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يمتعك بالصحة والعافية لتستمر منارة للمثقفين والمحبين لك. ■

– ٢ –

أ. محسن العيني

صاحب السمو: بدأت اهتماماتك بالفكر والثقافة في وقت مبكر. وحين كنت مشغولاً بمهمات الدولة، ومسؤولاً عن شؤون مملكة، وأعباء أمير كبير، وولي عهد لملك كان يعتمد عليك ويحملك أكبر المسؤوليات، لم تمنعك كل تلك الأعباء والمسؤوليات من إعطاء الأولوية للثقافة والفكر، وللهموم العربية والشؤون العامة، ولربط الفكر بالعمل، واختراع تعبير الانتماء والإنماء، وتجسير الفجوة بين المسؤولين والمثقفين. ولم يكن اهتمامك محصورًا بجمع المثقفين العرب والمفكرين وتوطيد الصلة بينهم؛ بل كان أيضًا بتحقيق الصلة مع العالم من حولنا قبل أن تتولى أنت شخصيًا مهماتك في نادي روما، وتعمل على التقريب بين الديانات والحضارات، وقبل أن تطوي القارات والأجواء تبحث عن تقارب حضاري عالمي. وقد خضت بالمنتدى حوارات مع أوروبا والصين واليابان ودول شرق آسيا وإيران وتركيا وكل مناطق العالم. وإذا كنت قد جعلت من عمّان عاصمة للفكر والثقافة العربية، فقد ضممت بهذا الكثير من العواصم العربية.

من حقنا يا سمو الأمير أن نذكر الآن أن الأردن الذي احتضن المنتدى قد قدم له كل عون من أول لحظة

لوجوده، ولم يتدخل مطلقًا في عمله ونشاطاته. ولم يحاول الأردن أن يستفيد من أي نشاط لمنتدانا، أو أن يؤخره أو أن يحد منه. ومن واجبنا أن نذكر له هذا. وكذلك، فعندما كانت السياسة تملي أن يكون للأردن أو لأي دولة عربية أخرى اجتهاداتها في سياستها الداخلية أو الخارجية أو الإقليمية، لم يحاول أحد أن يجر المنتدى، أو أن يؤثر عليه. وأكاد لا أجد مؤسسة عربية واحدة استطاعت أن تحافظ على استقلالها وموضوعيتها وتوازنها وتواصل نشاطها في ظل كل العواصف والهزات، كما فعل منتدانا. ■

– ٣ –

أ. الهادي البكّوش

للمنتدى ٢٥ سنة كلها بذل وجهد، وكلها إثبات للذات والهوية وفتح للآفاق، وكلها تبادل لفكر عربي فاعل. خمسة وعشرون سنة والآن في عنفوان الشباب. له ماضٍ حافل ومستقبل واعد. كان المنتدى إنجازًا كبيرًا جمع رجالاً ونساء، صغارًا وكبارًا. تألقت في رحابه شخصيات عربية فذة أذكر منها الدكتور أحمد صدقي الدجاني رحمه الله.

تطرق المنتدى إلى كل هموم الأمة العربية، وتعمق في البحث عن حقيقة هذه الهموم، وأشار إلى طرق تداولها في حوارات متحضرة هادئة لا تَحَجُّر فيها، ولا تعصب، ولا اختلاف؛ الاعتدال طريقه، والوسطية هدفه.

يمثل أعضاء المنتدى كل البلاد العربية بكل تياراتها وجميع مقوماتها. هم نخبة ممتازة يحب بعضهم بعضًا ويفرحون كلما تلاقوا.

يعود الفضل في هذا الإنجاز الكبير إلى صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، باعث المنتدى وراعيه. وقد خصص له جهودًا مضنية وأوقاتًا ثمينة. وأعطاه من روحه. وجعل منه معلمًا مضيئًا لعالمنا العربي وفي العالم كله. أفاده بعلمه الواسع وبتجربته الغنية، التي اشتملت على كل الميادين وسائر المستويات.

إن سمو الأمير الحسن قل نظيره في عالمنا: سمو في الأخلاق، وسعة في النظر، وقدرة فائقة على تأليف القلوب، وتواضع نادر، ومكانة عالمية عالية، وحضور فاعل في كل المنتديات العالمية. هو عربي شهم، ومسلم أصيل يحب العرب وغير العرب، ويحبب الناس بالعرب والمسلمين.

إننا نعتز به، ونفاخر به، ونشكره جزيل الشكر على ما قدمه ويقدمه للمنتدى وللأمة العربية. أمده الله بعونه وأطال عمره. ■

- ٤ -

د. حسن الإبراهيم

أود أن أنتهز هذه الفرصة لأتقدم لسمو الأمير ببالغ الامتنان والشكر على رعايته لهذا المنتدى. وأرجع بالذاكرة إلى ما قبل ٢٣ عامًا حين تعرفت على هذا المنتدى من خلال زميل وصديق عزيز هو المرحوم أحمد دعيج، الذي قال لي إنه حضر اجتماعًا برئاسة سمو الأمير لتأسيس هذا المنتدى، نتيجة للقمة العربية التي انعقدت عام ١٩٨٠ في الأردن. وهي قمة الأحلام العربية، وقد أطلق عليها اسم قمة التنمية العربية. وأطلق على عقد الثمانينيات عقد التنمية العربية الشاملة. وكان سمو الأمير أحد القادة العرب القلائل الذين آمنوا إيمانًا عميقًا أن لا تنمية شاملة ولا تنمية مستدامة بدون الفكر وبدون الثقافة. فكانت فكرة ولادة هذا المنتدى. أتذكر أني قلت للمرحوم أحمد دعيج: يا أخي أحمد، إنني لا أعرف سمو الأمير. فهل تعتقد أن الرجل بمنصبه ومشاغله الكثيرة يستمر في العطاء لفترة طويلة؟ فقال لي: إلتقِ بالأمير وسوف ترى. فكان اللقاء الأول، وانضمامي لعضوية هذا المنتدى. والحق يقال إن سمو الأمير أثبت أنه، إلى جانب قدراته العلمية والأكاديمية، رجل اللحظة، وأنه الإنسان الذي يؤمن بطول النفس واستمرار العمل.

فيا سمو الأمير: تحية قلبية من صميم القلب أتوجه بها إليك. ولو أني أُسأل الآن بعد هذه الفترة: ما هي أهم الإنجازات التي حققها هذا المنتدى؟ فإني إذا أردت أن أتكلم عن الإنجازات العلمية والمؤتمرات، فهذا يحتاج إلى ساعات طوال. لكن أكتفي بإنجاز واحد هو لقاء هذه الوجوه الطيبة من جميع أنحاء الوطن العربي، من الخليج إلى المحيط، كما أشار دولة الأستاذ محسن العيني. فاللقاء معهم سنويا، أو كل سنتين، يكفي، يا سمو الأمير، إنجازًا كبيرًا. نحن نعيش فترة في هذا الوطن فيها الكثير من الإحباط وخيبة الأمل؛ لكن رؤية محياك ورؤية هذه الوجوه الطيبة سنويًا تكفي للإنسان أن يرجع له بعض الأمل. ■

- ٥ -

دة. فاطمة الحبابي

ما كنت أظن أنني أستحق الوقوف أمامكم في هذه المناسبة العظيمة. لكن أراد الله ما كان يمكن أن يكون. فتحية للمنتدى، وتحية لعيده الفضي، وتحية لرئيسه صاحب السمو الملكي، ولكم جميعًا أيها الأعضاء

المناضلون. فلولاكم لما كان، وما كان لولاكم. ما هيأت كلمة، لكن أراد الله أن تكون مهيأة.

إن شهرة سموكم قد فاقت الآفاق. فقد تبوأتم ثلاث ريادات: الأولى ريادة ممارسة القيادة والتنظير السياسي؛ إذ كنتم ولي عهد لجلالة الملك الحسين، تغمده الله بواسع رحمته، لسنوات طوال؛ كما كنتم قياديًّا بارزًا تحتلّون مكانة متميزة بين النخبة من القادة السياسيين في العالم ذوي الأثر الكبير في توجيه مساراته. والريادة الثانية هي ريادة الفكر والنضال معًا على شتى الجبهات، أداءً لواجب الأمانة التي تحملها الإنسان بصفته خليفة الله في الأرض. أما الريادة الثالثة، فإنها ريادة الخلق العظيم، وعلو الهمة والأنفة والصمود في مجابهة أعقد المواقف.

إن سموكم آمن برسالة المواطنة الحقة، مواطنة العروبة والإسلام، مواطنة الإنسان في الكون؛ فلم تألوا جهدًا بأدائها على أحسن وجه بما يعود بالخير على الناس ويرضي الخالق جل علاه. وقد اجتمع في سموكم ما تفرق في غيركم: الأدوم من الشمائل والقيم، والضلاعة في شتى مجالات المعرفة، والحنكة في الممارسة السياسية والدبلوماسية؛ يتسنم ذلك كله الإيثار وحب الغير، والاهتمام بالإنسان أينما كان ومهما كان انتماؤه، بعيدًا عن كل عصبية قومية أو دينية. لقد سعيتم إلى رصد أسس الحوار الأصيل والتفاهم بين أتباع الأديان السماوية من أجل سيادة السلام والأمن في العالم. وسعدنا بآرائكم السديدة، ومواقفكم الثابتة، وانفتاحكم على الآخر، ودوركم القيادي في الكثير من المبادرات الريادية، وإسهاماتكم في الكثير من المؤتمرات، ما يُجَلِّي غيرتكم على الأمة العربية والإسلامية، وانشغالكم بقضايا الإنسان. كل تلك الشيم قل أن تجتمع مع الإمارة.

إن كل ذلك هو شهادة على إخلاص سموكم الكبير في ممارسة الرسالة الإنسانية التي تحملونها عن طواعية. لقد كرستم حياتكم وجهودكم المميزة لأدائها. أسأل الله العلي القدير أن يظل بفضله وكرمه يفتح لسموكم كل أبواب الفلاح، ويهبكم من عطاءاته الربانية ما يزيد مقامكم رفعة وجاهًا، ويعينكم على تحقيق مصالح العباد؛ وأن يحفظكم وذويكم الكرام، ويحرسكم بعينه التي لا تنام. ■

قراءات في فكر الأمير الحسن*

أ. فايق محمد الخرابشة

مفكر وعالم ذو مراس سياسي واقتصادي واجتماعي، ينحدر من سلالة محمد ﷺ، يمتلك الخبرة والدراية والتجربة والعلم، إنه الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي وراعيه، وسفير الحوار بين الثقافات والحضارات. فإلى كل مفكري الأمة أن يدرسوا بعناية وتمعن ما يذهب إليه صاحب الفكر الأممي الشمولي، الفكر الذي يصلح ليكون دستورًا ومنهج حياة لكل البشر للخروج بهم من إرهاصات الماضي، وأزمات الحاضر، وغموض المستقبل.

في مقالة قيمة لسمو الأمير الحسن نشرتها **الدستور** في الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥ تحت عنوان «دموع رمضان»، كان المفكر الكبير قد وضع حلولا مرتجاة لمعاناة الشعوب، وقال إن الهدف الإنمائي والأخلاقي الأول للألفية هو القضاء على الفقر المدقع والجوع. وبفكره الثاقب ونظرته المستقبلية والعلمية نبه إلى ما لا يدركه الكثيرون ممن يتبنون بناء الاقتصاد العالمي وإنماءه، والخروج بالشعوب من مشكلاتهم الاقتصادية، وأولها مشكلة الفقر، وإن كانوا يريدون أن يبقى الفقر ليبقى لهم الانفراد بنعيم الغنى ويدعون أنهم يتبنون إنقاذ الشعوب من آفة الفقر، ويعتبرونه استكمالا لتوازن الوجود البشري وهو أحد أطراف المعادلة التي تستقيم بها الحياة.

واستشهد الكاتب والمفكر بقول مأثور لجده الإمام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: «*والله لو كان الفقر رجلا لقتلته*»، وقوله: «*عجبت لجائع كيف لا يخرج صائلا على الناس بسيفه*». وأضاف الكاتب لمفهوم الفقر انتقاص الكرامة الإنسانية، وحرمان الناس من المصادر والقدرات والخيارات والأمن والقوة وأحقية الإنسان في ممارسة الحقوق الاجتماعية المدنية والثقافية والسياسية. وأراد سمو الأمير المفكر أن لا يقتصر مفهوم الفقر على الجانب المادي، بل أن يشمل فقر الإنسان للجوانب الروحية والوجدانية والفكرية. ووضع الكاتب الحلول الممكنة لكل مشكلات الفقر بأنواعه، فطالب بأن يُعمل على إعمار النفوس إنسانيا واجتماعيا وثقافيا وماديا، وأن يُتخلص من عوامل التفتيت والتشتت، مع التركيز على علاقاتنا مع الآخر،

* نُشرت في جريدة **الدستور** الأردنية؛ ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦.

ونبذ التعصب، ومحاربة ثقافة الحقد والكراهية، وتأسيس ثقافة التسامح واحترام الاختلاف، والالتزام بحقوق الإنسان. هو ذا قليل من فكر الحسن الذي لو التزم به بنو البشر لحقق لهم سعادة ما دامت لهم الحياة، بصَرْف النظر عن معتقداتهم ومذاهبهم. وما هو إلا فكر إنساني أممي شامل يصلح في كل مكان وزمان.

ومن الحلول الممكنة التي طرحها الأمير الحسن الاستعمال المتكافئ للثروة والمعرفة، وتشجيع الفقراء على المشاركة والتنافس في السوق، والدخول في مجتمع المعرفة، والاستفادة من الفرص التي تتيحها العولمة.

وطالب المفكر والكاتب بالقضاء على كل مظاهر التمييز والإقصاء بدعاوى ومسوغات دينية أو فكرية أو سياسية. كما طالب سموه بأن نحرص على الاحترام للإنسان وصون حقوقه، بصرف النظر عن منبته الأيديولوجي أو انتمائه المذهبي أو القومي أو العرقي، وأن نعمل على تدعيم الأمن والاستقرار والتنمية المستدامة بمعالجة صنوف الفرقة والشقاق والإرهاب والإحباط ومخاطر الفقر والتخلف والبطالة والأمية.

وقد وضع الكاتب جملة من الأسئلة فأجاب عليها فيما إذا أردنا التصدي لمشكلة الفقر والبطالة، وقال إنه يوجد علاقة طردية بين الفقر والبطالة، وإن الفقر ليس مبررًا للإرهاب، وإن النمو الاقتصادي غير العادل لا يمثل الأداة الأكثر فاعلية في محاربة الفقر، وإن الاستثمار المبني على قيم الحرية والكرامة الإنسانية والتشاركية هو الذي ينجح في الحد من ظاهرة الفقر، وإن وجود فجوة حقيقية بين مخرجات التعليم ومتطلبات التنمية الاقتصادية في سوق العمل يؤدي إلى تفاقم مشكلة الفقر.

وأشار إلى أن دولا نجحت في محاربة الفقر، كما هي فيتنام، لأن المصلحة العامة فيها هي غاية الحكم، فقللت نسبة الفقر من ٥١٪ عام ١٩٩٠ إلى ١٤٪ عام ٢٠٠٢، وأن اجتثاث الفقر يتم من خلال ترسيخ المعرفة وتنمية الفرد والأمة، وأن التنمية المتوازنة هي التي تخلق مواطنين قادرين على التعامل مع تحديات العصر.

إن الدارس لفكر الحسن يجد أنه يتقدم عما هو عليه فكر غيره خلال السنوات الماضية. وسيكتشف المفكرون والعلماء والمتخصصون أن هذا الخطاب الفكري سيطالب الجميع بتطبيقه بعد مضي هذه السنوات، ويرون أنه حقيقي ومنطقي ومقبول، كما قبل الانفتاح والعولمة والتحرر والتحول السريع إلى الديمقراطية الحرة

المنفتحة، وكما قبلت الفوضى الخلاقة التي تطالب بأن يحكم الإنسان نفسه بنفسه، ويتحرر من كل المعتقدات والقيم، ويغدو كأنه يعيش في شريعة الغاب، وهو أن تُحَصِّل ما يمكن تحصيله من المنافع بكل الوسائل الممكنة والمتاحة دون أن تؤلب عليك الناس.

دأب الهاشميون، حملة رسالة الثورة العربية الكبرى، دوما على تجديد الفكر المتحرر الخلاق المستمد من فكر الإسلام الوسطي، الذي يشدد على احترام الآخر ومعتقداته وحريته الشخصية، واحترام إنسانية الإنسان وحقه في البقاء والوجود. ونُذكر هنا وصية أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد بأن لا يقطعوا شجرًا ولا يقتلوا طفلاً ولا شيخًا، «*وستجدون رهبانا يتعبدون في الصوامع فاتركوهم يتعبدون*». وكذلك ابن الخطاب، فاتح بيت المقدس، يرفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يتخذها المسلمون مصلى لهم. وهذه رسالة الإسلام في احترام معتقدات الآخر وإعطاء أهل الذمة في بلاد الإسلام حرية العبادة والاعتقاد. وضرب ابن الخطاب أروع الأمثلة في تسامح دين الإسلام، وأعطى أهل بيت المقدس العهدة العمرية التي تعد درسًا لطلبة العلم في جميع العصور لتكون دستورًا ومنهج حياة للتعايش مع أهل الذمة في بلاد الإسلام.

هذه دعوة خالصة لكل مفكر، وعالم، وصاحب رأي، ومؤسسة علمية أو أدبية، وجامعة أو معهد أو مركز دراسات، أن ينشروا ويدرسوا ويعملوا على نشر فكر الهاشميين، حملة راية الإسلام، وأصحاب المدرسة الهاشمية في الحكم والقيادة وتجديد الفكر والعلم والمنطق. وكانت رسالة عمّان الداعية إلى التسامح والتراحم والتعاطف والتعايش مع جميع الخلق، الرسالة التي رسمت بكل شفافية وأمانة صورة الإسلام الحقيقي المتسامح المتراحم البعيد كل البعد عن الإرهاب والتطرف والتعصب الأعمى. ■

يُنشر لأوّل مرّة

لقاء مع سموّ الأمير الحسن بن طلال

أ. سليم المعاني*

(١) في الشأن الفكريّ

سؤال : ما هو التعريف الدقيق للوسطية؟

جواب:

يعود مفهوم الوسطية في الحضارة الإنسانية إلى أزمنة بعيدة تتصل بالحضارتين الصينية واليونانية. فالفلسفة اليونانية مثلاً تتكلم عن «الوسط الذهبي» كونه الحالة المتوسطة بين حالتين متطرفتين: حالة مفرطة في التجاوز، وأخرى مفرطة في القصور. وقد اعتبر فلاسفة اليونان هذه الحالة على صلة بقيم «الجمال» و «الحق» وبمعاني «التوازن» و«التناغم» و«الاتساق». والقرآن الكريم يعبر عن مثل تلك الحالة بالقوام بين الإسراف والتقتير: ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا ﴾ صدق الله العظيم.

فالوسطية في تعريفي هي هذا «القوام» المناهض للتطرف، ومن ثم المتصل بقيم الحق والجمال في السلوك الإنساني وفي التنظيم المجتمعي. وعلى هذا تكون الوسطية منظومة القيم الإنسانية المناهضة للعدوان والعنف والتعصب.

وكما هو معروف، فإنه عند تعريف أي مفهوم، من المهم ليس فقط تحديد ما هو، بل أيضًا تحديد ما ليس هو. فيجب أن لا تتضمّنَ «الوسطية» في نظري هروبًا تلفيقيًا من حسم بعض الخيارات، مثل: النقاش حول الديمقراطية والشورى واحتمال انحلال هذا النقاش في مساومة «وسطية» على حساب الالتزام الحق بالقيم الديمقراطية؛ أو مثل المساومة حول ثنائية «التراث» و«الحداثة» للوصول إلى صيغ وحلول هلاميّة غير واضحة المعالم. كذلك حين ننادي بقيم التقدم والعقلانية والحرية، يجب أن لا نسمح بالمساومة

* مدير المعلومات والدراسات في وكالة الأنباء الأردنية؛ كاتب وصحافي.

عليها بحجة وجود «خصوصيّات» أو اعتبارات «نسبية» تجعلنا نلجأ إلى «حلول وسط»! [ملاحظة: إنّني أتحدّث وأكتب حول **الوسطيّة** باستفاضة منذ منتصف الثمانينيّات من القرن الماضي. وآخر أفكاري عن هذا الموضوع منشور في كتاب **الوسطيّة بين التنظير والتطبيق** الذي أصدره منتدى الفكر العربيّ في العام الماضي، وفي كتاب آخر أصدره المنتدى للتوّ بعنوان **الوسطيّة: أبعاد في التّراث والمعاصَرة**.]

(٢) في الشأن السياسيّ

سؤال: هل السياسة الدولية ذات قطب واحد؟ وهل هذا القطب هو أمريكا؟

جواب:

جاءت عبارة «أحادي القطبية» في السياسة الدولية على خلفية انتهاء الحرب الباردة بين القطبين الإثنين -الأمريكي والسوفييتي- اللذين كانا فرسي رهان في سباق التسلح والتنازع على النفوذ السياسي في العالم. لكن انتهاء الحرب الباردة بالانهيار الداخلي للمعسكر السوفييتي ترك الولايات المتحدة الدولة العظمى بلا منازع. أما أنها واقعيًّا وموضوعيًّا القطب الوحيد، بمعنى الانفراد بالنفوذ الدولي، ففيه مجانبة للدقة. ذلك أنّه بمقياس النفوذ في السياسة الدولية الذي يُكسب دولة ما صفة «قطب»، هنالك دول كبيرة عدة يرشحها وزنها الاقتصادي والعسكري لهذه الصفة، إن لم يكن على مستوى العالم، فعلى مستوى «الإقليم» والجوار الذي يمتد إليه نفوذ تلك الدولة. ففي إقليم أوروبا والبحر المتوسط مثلاً، يصح القول إنّ كلاً من ألمانيا وفرنسا قطب في سياسة هذا الإقليم. كذلك يصح وصف كل من اليابان والصين بأنها قطب في السياسة الدولية لإقليم شرق آسيا. وهنالك من يرشح الصين لتصبح قطبًا على مستوى العالم في مقبل الأيام.

أما في الشرق الأوسط فإن المتنافسين على صفة القطبية هم إسرائيل وتركيا وإيران. لاحظ أنك -شأنك شأن الكثيرين- استعملت الصفة الجغرافية «الشرق الأوسط»، وليس الصفة القومية «المنطقة العربية»؛ كون هذه المنطقة في حالة فراغ سياسي وشرذمة كاملة. وهذا التزام مؤسف بما يمكن تسميته عقيدة «بالمرستون»، رئيس الوزراء البريطاني في منتصف القرن التاسع عشر الذي أرسى السياسة البريطانية آنذاك بأن لا تسمح تحت أي ظرف بأي تضامن بين الولايات العثمانية في المشرق العربي من شأنه أن يقود إلى نشوء قوة إقليمية في هذه المنطقة. والتزامًا بهذه العقيدة، حوربت مصر محمّد علي وتمّ احتلالها،

وتقاسمت بريطانيا وفرنسا الجزيرة العربية والعراق وسورية الكبرى، وتم إنشاء دولة إسرائيل. ومع أن النفوذ الدولي الأكثر فاعلية في الشرق الأوسط انتقل من بريطانيا وفرنسا إلى الولايات المتحدة، فإنّ الالتزام بعقيدة بالمرستون ما زال هو هو.

وما زالت السياسة التي تقودها أمريكا تستند إلى تغذية الاختلافات والخلافات القطرية والعرقية والطائفية والمذهبية، وكل ما يقبل القسمة ويُقصي الإحساس بالعروبة كهُوية مشترَكة تشكل الرابط الوحيد الذي يعلو على جميع الاختلافات والخلافات.

سؤال: يُقال إن الماء سيكون السلعة التي تتصارع عليها كثير من الدول. متى سيحتدم الصراع بحيث يوازي الماء البترول في الأهمية على مسرح النزاعات الدولية؟ وكيف سيغير هذا النوع من الصراع خريطة القوى السياسية على المستوى العالمي عموما، وعلى مستوى الشرق الأوسط خصوصا؟

جواب:

إنّ النفط والماء - الذهب الأسود والذهب الأزرق - عنصران مترابطان ومتكافئان وقابلان للاستبدال الواحد بالآخر. فالدول الغنية بالمصادر المائية تولد الطاقة من هذه المصادر. والدول الغنية بالنفط والغاز تحصل على المياه بتحلية مياه البحار. والصراع على البترول قديم ومحتدم من بحر قزوين إلى الرافدين وبحر العرب. وكذلك الصراع على الماء محتدم على خلفية احتلال إسرائيل للضفة الغربية والجولان. وكما شكل الفحم والصُلب نقطةَ الانطلاق لوحدة أوروبا، فإن الإحساس بالمصير المشترك في المنطقة العربية يمكن أن ينطلق من النفط والماء. أتحدّث هنا عن التفكير فوق القطريّ. فلا يمكن أنْ نتصدّى لمشكلاتنا والتحدّيات التي نواجهها من دون هذا التفكير.

سؤال: هل سيدخل العالم في تسابق على الأسلحة النووية؟ وهل سيكون امتلاك الأسلحة النووية رادعًا للقوى المختلفة عن المواجهة الشاملة؟ أم سيؤدي إلى إشعال حروب « موضعية « تخوضها قوى محلية نيابة عن القوى النووية؟ وفي تصوّر سموّكم: كيف يجب أن تكون ردود فعل القوى

غير النوويّة لحماية نفسها من سطوة السلاح النووي، وحتّى سطوة السلاح التقليدي، وتعرّضها للدمار على كل حال؟

جواب:

إن المخاطر التي يُشير إليها السؤال حقيقية. واحتمال حدوث السيناريو الأسوأ هو احتمال جدّيّ ما دام هنالك دول «مارقة» لا تحترم معاهدة منع الانتشار النووي، وفي مقدّمتها إسرائيل. والسياسات التي تكيل بمكيالَيْن في هذا الأمر تزيد الطين بِلة. ولا حلّ إلا بتطبيق القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، بما في ذلك القرارات المتعلّقة بالاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية، والعودة إلى وحدة المعايير وإعلان مِنطقتنا بأسرها منطقة نظيفةً من أسلحة الدمار الشامل.

سؤال: ما هو مستقبل صناعة الأسلحة التقليدية في العالم؟ وإلي أي مدى تؤثر تجارة السلاح على السياسات الخارجية وتتأثر بها؟

جواب:

إن أول من أثار صراحة موضوع التأثير السلبي لصناعة الأسلحة على السياسة الخارجية هو النجم العسكري في الحرب العالمية الثانية ورئيس الولايات المتحدة فيما بعد الجنرال آيزنهاور، حين ندد بالتأثير السلبي «للمجمّع الصناعي العسكري» في الولايات المتحدة على سياستها الخارجية. وفي بلادنا العربية يتركز تأثير الاتجار بالأسلحة على ظاهرة الفساد الداخلي، أكثر من تأثيره على السياسة الخارجية.

سؤال: هل تتوقعون بقاء الخريطة الجيوسياسيّة لمنطقتنا على ما هي عليه؟ أم تتوقعون تغيرها خلال السنوات العشر القادمة؟ وإذا كان مقدّرًا لها أن تتغير، فما توقعات سموّكم للتغيرات التي ستطرأ عليها؟ ما هي القوى التي تعمل على إعادة رسم خريطة منطقتنا؟ وما هي حظوظ كل قوة من التأثير؟ وما هي نقاط ضعف كل منها؟

جواب:

إن «التوقّع» بما يخصّ المنطقة مطلوب ممن هو من خارج المنطقة. أما من هو مواطن من صميم المنطقة انتماء وهُويّةً، فالأحرى أن يُطلبَ منه ما يريد وما يتمنّى ويسعى لإحداثه فيها. وما أريده وأتمناه وأسعى

من أجله أن تقوم الأقطار العربية بمعالجة الفراغ السياسي المرعب القائم في وطننا العربي، والناتج عن الشرذمة والفرقة والاستسلام للصراعات الطائفية والمذهبية التي يؤجّجها أعداء العروبة والإسلام من خلال المافيات التي ترتبط مصالحها الضيقة بهم. وهذا يجعل هذه الأقطار تتنكر لمصيرها المشترك الذي يحتمه ليس فقط اتصالها وتجاورها الجغرافي، بل أيضًا الوشائج العميقة من لغة وتراث ديني وثقافي، التي لو كان بعضها متاحاً للدول الأوروبية لما كلفها حربيْن عالميّتيْن وملايين القتلى حتى وصلت إلى أوروبا الموحدة.

إذا بقيت الدول العربية مستنكفة عن ملء ذلك الفراغ بقوة سياسية واقتصادية متحدة، أو على الأقل متضامنة، فلا تلومنّ إلا نفسها حين ترى القوى العالمية والإقليمية تتكالب على ملئه فرادى أو متحالفة أو متنازعة فيما بينها؛ مع ما يؤدي إليه ذلك من المشاهد المأساوية في فلسطين والعراق ولبنان والسودان والحبل على الجرّار؛ مشاهد قد تختلف في تفصيلاتها، لكنها تشترك في أسبابها العريضة.

والمفارقة أن سلوك أعداء العروبة يَشي بأنهم يعترفون بالعروبة قوّةً كامنة، لكن مرشحة عند توافر شروطها لأن تصبحَ فعليّة. وهم باعترافهم هذا على النقيض من عرب هذه الأيام الذين يوشكون أن يعتذروا عن «تهمة» انتمائهم القومي. وأبسط دليل على هذا الهاجس عند الأعداء ذلك الحجم من الاستثمار في الحشد والتسلّح الذي أعدّوه ويُعدّونه لإخضاع المنطقة. فلو كانوا على يقين من أن هذه الكيانات القُطرية الهزيلة التي تتكوّن منها المنطقة هي المحطات النهائية الأصيلة، وأن أعراقها ودياناتها ومذاهبها هي هُوياتها الدائمة والراسخة، لما كان ثمة مبرر لذلك الحشد والسلاح. ولننظر في هذا الصدد إلى الجهد الاستثنائي الذي بذلته وتبذله سلطة الاحتلال في العراق لنزع الصفة العربية عن هذا القطر العربيّ العريق. ■

أنظر أيضًا كلمة أخيرة (يسألون عن الحسن... عن طوْد ينتمي للشّموخ؟!) للأستاذ ممدوح أبو دلهوم، ص ١٩٠ من هذا العدد.

الحسن بن طلال

١

كلام في الحوار: روحه وأدبه وفنّه*

قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارًا فأتمها إلا موضع لبنة واحدة، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة».

هنالك قيم إنسانية مشتركة ليست أمرًا خاصًا بأي ديانة بعينها، وإنما تمثل شأنًا عالميًا، لكل الديانات فيه نصيب. ويكون التمسك بها طوق النجاة بالنسبة إلينا جميعًا. إن التأمل في الطبيعة الإنسانية وإخضاعها للدراسة يكشفان لنا امتداد الضمير الإنساني. توجد طرق بناءة في التفاعل مع الآخر ومع الحياة بشكل عام، وهي طرق روحية وإنسانية وعالمية تتخطى الحواجز الدينية والسياسية والعرقية لتكشف عن إنسانية مشتركة واحدة.

إن مد جسور التواصل، أو إيجاد نقاط تقاطع بين الأديان، إنما يتم عن طريق الحوار المعمق والصريح الذي يؤدي إلى اكتشاف مناطق مشتركة يمكن البناء عليها من أجل التوصل إلى سلام حقيقي بين الأديان، وتجاوز مرحلة الصراعات الطائفية والحروب. لا بد من الحوار على النطاق الواسع، وليس الضيق، من أجل استتباب السلام في العالم.

هنالك قواعد سلوكية ترشدنا إذا أردنا أن ننخرط بفاعلية في عملية الحوار مع أتباع الديانات: التأكيد على أهمية التوافق بين المعتقدات الدينية والجوانب العملية، البدء بالقواسم المشتركة، الأخذ بالحسبان تأثير حركة التنوير الأوروبية على الأديان، الأخذ بمبدأ عدم الإكراه، إقرار حق الفرد في إعلان دينه، إعادة النظر في محتوى مناهج التربية والتعليم، ضمان الانسياب الحر للمعلومات، النظر في التراث والتاريخ والاجتهادات الخاصة بديانة الفرد وديانة الآخر، وضع أطر مناسبة لتفهم الاختلافات في الرأي، قبول النهوض بمسؤولية الأقوال والأفعال على كل الصعد، الإقرار بالأبعاد السياسية والاقتصادية لحوار الديانات.

يعيش العرب والمسلمون اليوم أزمة لها جانبان: الفكري الروحي والمادي أو الاقتصادي. وأي تغيير يلوح في الأفق لا بد أن يأتي عن طريق الفكر أولاً قبل أن يترجم على أرض الواقع. ففي عصر العولمة لم تعد مسألة الإسلام شأنًا داخليًا يخص المسلمين وحدهم، بل أصبحت تشغل العالم كله. وتعالت الأصوات التي تبث القلق من تنامي تيار التطرف في العالم الإسلامي. لقد شوهت الصورة الحقيقية للدين الإسلامي بسبب الأحداث الإرهابية التي ارتكبتها بعض الفئات والتي يبدو أنها - بكل أسف - أقنعت العالم بأن دين الإسلام ذو روح عدوانية، وأنه يختلف جوهريًا وأصليًا عن كل

* نُشرت في جريدة **الحياة** اللندنية؛ ٥/ ١٠/ ٢٠٠٦؛ العدد (١٥٨٨٩)؛ ص ١٠.

الأديان الأخرى.

لقد وردت كلمة السلم أو السلام في القرآن الكريم تسعًا وأربعين مرة؛ كما تعددت الآيات التي تدعو إلى التسامح وعدم الإكراه في الدين. فالروح العامة للنص القرآني هي روح الرحمة والتسامح والمغفرة. ولا يجوز إطلاقًا أن نقلل من أهمية هذا البعد أو نغفل عنه كما تفعل الحركات المتطرفة حاليًا.

لذلك، لا بد أن نفرق بالنسبة للدين بين جوهره الروحاني والأخلاقي الذي يتعالى على كل شيء، وبين الأيديولوجيات المتطرفة التي تدعي الانتساب إليه، وهي في الواقع تخون جوهر رسالته وتشوهها. إن جميع الأديان تحتوي على مبادئ نبيلة تدعو إلى محبة الآخر، لكن هنالك المبادئ السامية من جهة، والتطبيق العملي على أرض الواقع من جهة أخرى.

إن الحديث في وسائل الإعلام الغربي عن التيار الإسلامي المتطرف أمر بالغ الخطورة لأنه يوهم الجمهور بأن المسلمين كافة ينتمون إلى هذا التيار. وقد أصبحت الحروب الدعائية تشن على الإسلام: تكرار الحديث عن «الإسلام الفاشي»، الكلام عن «صدام الحضارات» وكأنه نبوءة محققة، الحاجة إلى خوض حرب جديدة أو «حملة صليبية» جديدة أو حرب نووية يكون فيها خلاص العالم المتحضر. هذه أمثلة تظهر بوضوح توظيف الدين من أجل تحقيق مآرب سياسية.

الإسلام هو دين العقل والتفكير الحر، لا دين الاستسلام للخرافات والتعصب الأعمى. ولا بد من أن يصبح التدين مستبطنًا من الداخل، فيكون الوازع الأخلاقي نابعًا من داخل الإنسان، ويترسخ الضمير الأخلاقي الصارم في الضمير الجماعي. نحن بحاجة إلى الإيمان المستنير الروحاني إلى أقصى الحدود، الذي يدعو إلى الحوار بين أتباع الأديان على أساس الاحترام المتبادل بين الثقافات والمعتقدات.

إن العقل قوة فاعلة تحرك الإنسان على الفعل، ولا يجوز فصل العقل عن الفعل. فالقدرة على تعقل الأشياء لا تنمو وتنضج باستقلال عن الشروط الاجتماعية وبمعزل عن القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية. فالمبدأ العقلاني يقضي باختيار الوسائل الكفيلة بتحقيق الغايات والمصالح المعنية. يقول الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». لا بد من تهيئة الظروف التي تمكن المسلمين من ممارسة هذه القيم السامية بكل حرية من خلال دعم المؤسسات الدينية وتفعيلها، لا تحجيم دورها وقطع السبل أمامها بدعوى تجفيف منابع الإرهاب.

وإذا كان الإسلام يعلي من مكانة العقل، فإنه كذلك يعلي من شأن الحوار مع الآخر وإقناعه بالطرق السلمية الحضارية: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، [سورة النحل: الآية ١٢٥]، حيث يكون التركيز على قوة الأفكار، لا على حرب الأفكار. وفي هذا الإطار حرصت على دعم الحوار والتواصل مع الآخر وتفعيلهما، وتطوير العلاقات مع الآخر من خلال العمل المشترك في سبيل القضايا الإنسانية. فهنالك ثلاثة مخاوف أو أنواع من

الرهاب، يجب على الإنسان التغلب عليها: الخوف من الآخر الذي مبعثه عدم الفهم والجهل بمبادئ ثقافة الآخر ومعتقداته، والخوف من المجتمع وردود الفعل إزاء آراء الفرد وأفكاره، والخوف من السلام بحيث لا نقدم على تحقيقه خوفاً من تبعاته، لا من الحرب وتداعياتها.

إن الحرص على الحوار الهادف والتواصل مع الذات ومع الآخر يبدد هذه المخاوف ويفسح المجال أمام العمل الجاد على تحقيق السلام ورأب الصدع بين أتباع الديانات والثقافات، كما يعزز قنوات الاتصال بين العامة والمثقفين في وجه مظاهر الانفصال والتهميش والعزلة. إن مشروع «هيئة المئة مفكر مسلم»، الذي تم إطلاقه قبل بضعة أشهر، يحاول أن يحقق هذه الغاية من خلال التصدي للقضايا الملحة التي تؤثر على المسلمين في العالم عن طريق اللجوء إلى الحوار السلمي والنقاش الهادف.

كما أشير في هذا السياق إلى المشروع الذي تبنته مؤسسة البحوث والحوار بين الأديان والثقافات الخاص بنشر الكتب السّماوية الثلاثة معًا بلغاتها الأصلية التي كتبت بها، من أجل استعمالها كأساس لإصدار فهرس مقارن للقيم. أضف إلى ذلك الجهود الحثيثة التي بذلت فيما يتصل بالحوار من قبل المنتدى الإسلامي العالمي والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، وما تم إنجازه في مجال إيصال رسالة الإسلام الحقيقية السمحة إلى غير المسلمين عن طريق تعزيز الحوار وتأكيد القيم الإنسانية العالمية المشتركة.

إن تحقيق الاحترام المتبادل بين أتباع الديانات والثقافات يقتضي وجوب معاملة أفكار الآخرين واعتقاداتهم بالاحترام نفسه الذي نريد منهم أن يعاملوا به أفكارنا واعتقاداتنا. فالاحترام المتبادل يعزز أسس التعددية، ويفعّل التضامن والتكافل بين شرائح المجتمع. ولا بد أن ترتكز معرفة الآخر على دراسة تراثه وثقافته استنادًا إلى المعلومات المتاحة بكل حرية. إننا نعيش في عصر يشهد انسيابًا حرًا للمعلومات، ويجب ألا نعمد إلى التعامل معها بصورة انتقائية تؤدي إلى إساءة فهم الآخر وثقافته ودينه، وتقوض المحاولات الجادة من أجل تأكيد نقاط الالتقاء بين الديانات والثقافات. أشير هنا إلى البيان الذي أصدره المسلمون الأوروبيون هذا العام، مناشدين الجمهور الأوروبي التوقف عند مصطلح «رهاب الإسلام» وعدم إشاعة استعماله، وضرورة تجنب اللجوء إلى إطلاق التعميمات على كل المسلمين استنادًا إلى وقائع معينة مورست من بعضهم.

تعاني شعوب العالم العربي والإسلامي من أشكال الانقسام والتناقض والمفارقة، سواء في دار الحرب أو دار السلام أو دار الصلح، في الوطن تحت وطأة الفقر والظلم والاحتلال والتهميش، وفي المهجر حيث مظاهر التمييز ومشكلة الاندماج. لذلك تبرز الحاجة إلى وضع ميثاق استقرار إقليمي، وصياغة استراتيجية للتواصل والاتصال في ما بيننا ومع الآخر. وما جرى ويجري الآن من أحداث مأسوية في العراق وفلسطين ولبنان والسودان والقرن الإفريقي ينذر بكوارث وأخطار جسيمة يجب التصدي لها عن طريق دعم مسار التعاون الإقليمي في مجال تنمية البيئة الطبيعية والإنسانية، وتفعيل الموارد الاقتصادية لما

يحقق حاجات الإنسان المادية والروحية ويحقق له سبل العيش الكريم. نحن، أي الحكومات والأفراد، في أمس الحاجة إلى نشر ثقافة الانضواء تحت مظلة القانون الإنساني الدولي، متمسكين، في الوقت نفسه، بهويتنا العربية الإسلامية وقيمنا الحضارية. وفي العام القادم، تحتفل الأمم المتحدة بالذكرى الستين لقيام مؤسساتها التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية. وهي فرصة من أجل إعادة تعريف الأولويات الاستراتيجية لأقاليمها بما يكفل للإنسان احترامه وكرامته، ويحافظ على البيئة ومواردها المهددة.

لا بد من تفعيل الدور الإسلامي والعربي في التعامل مع الأزمات التي تشهدها بعض دول العالم الإسلامي، أزمة دارفور على سبيل المثال. وقد دعوت مؤخرًا إلى تأسيس لجنة عربية إسلامية من أجل التضامن مع إقليم دارفور وسكانه. كما دعوت غير مرة إلى تأسيس صندوق عالمي فوق قطري وعبر قطري للزكاة، تديره كفاءات الأمة أينما كانت. مثل هذا الصندوق يمكن توظيفه في الشؤون الإنسانية من دون أية غاية عقائدية. كما يمكن تأليف فرق سلام تستطيع أن تساهم في حملات الإغاثة وقت الحاجة، ووضع الاعتبارات الإنسانية وإعادة الإعمار فوق أي اعتبارات سياسية.

في إطار الحضارة الإسلامية، ازدهر في فترة من الفترات التيار العقلاني والإنساني المنفتح على العلوم الدنيوية والعقلانية: سواء في مجال الفلسفة أم الأدب. أذكر هنا الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد، كما أشير إلى ابن حزم الأندلسي مؤسس المذهب الظاهري الذي كان من أوائل من نقد الفكر المسيحي واليهودي في كتابه الضخم «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، إضافة إلى الأدباء الذين نشروا موضوعات الفلسفة وزادوا من دائرة تأثيرها عن طريق استعمال المنهجية الجمالية. وأكبر مثال على ذلك أبو حيان التوحيدي الذي وصف بأنه «فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة». فلم يكن فهم أولئك للدين قمعيًّا ولا إرهابيًّا ولا مذهبيًّا ضيقًا. لقد كانت لديهم قيم إنسانية تحترم كرامة الإنسان وتثق به وبملكاته وقدرته على الإبداع والتفكير الخلاق وفعل الخير وتحقيق الجمال والسعادة على هذه الأرض. نحن الآن في أمس الحاجة إلى هذه الرؤيا الإنسانية. قال أحد كبار المفكرين الإنسانيين في إيطاليا بيك الميراندولي (١٤٨٦): «قرأت في كتب العرب بأننا لا يمكن أن نجد على سطح الأرض كائنًا أنبل ولا أكثر روعة من الإنسان.»

فلنؤكد قيم الحوار: التعددية، المشاركة، تمكين المواطن، الغيريّة والخيريّة، نبذ العنف والكراهية، العمل ضمن إطار الأسرة العالمية والشرعية الدولية. وليحمل المفكرون والمثقفون المسلمون، سواء أكانوا عربًا أم غير عرب، مسؤولية العمل على نقل الوجه الحقيقي للإسلام، وإيصال صورتنا الحقيقية للآخر من خلال نشر ثقافة التعايش بين الناس في إطار التنوّع والاختلاف القائم على مبدأ العدالة. إن المفكر، كما يقول الفيلسوف نيتشه، هو طبيب حضارات. ■

الحسن بن طلال

٢

عالم من دون جدران وحدود*

قدمت التجربة الأوروبية للعالم نموذجًا يحتذى به ويُتعلم منه في تجاوز الانقسامات والتغلب على عوامل الفرقة والفصل. إذا أخذنا برلين مثالاً، وهي العاصمة الألمانية الموحدة التي مرت بتجربة التقسيم بكل مرارتها وألمها، نجد أنها أعطت للعالم بارقة أمل بأن جدران الفصل المقامة بين الشعوب، مهما ترسخت دعائمها وتوطدت لا بد أن تتصدع يومًا وتنهار أمام إرادة الشعوب الحية، وتمسك أفرادها بحقوقهم في العيش الكريم والحرية والأمن، استنادًا إلى مبادئ العدالة والمساواة والشرعية الدولية. وما تبذله بعض البلدان الأوروبية من جهود مخلصة في سبيل تعميق الحوار وإرساء أسس التعايش بين الشعوب يقتضي منا كل الدعم والمساندة. وفي واقع الأمر، فإن أي مبادرة في هذا الشأن أيًا كان مصدرها، آسيويًا أم أوروبيًا، لا بد أن تساهم في تحقيق الاستقرار على الصعيدين الإقليمي والعالمي.

لقد أطلقت المجلة الدنماركية *Monday Morning*، وهي في مقدمة المنشورات المعنية بالشؤون السياسية والاقتصادية، مبادرة التعايش بين الحضارات لتعبئة وسائل الإعلام الإقليمية والدولية من أجل نشر قيم الحوار والفهم والتفاهم على الصعيد العالمي. وقد جاءت هذه المبادرة ردًا على الأحداث المرتبطة بالرسوم المسيئة إلى الرسول الكريم ﷺ؛ حيث تحولت قضية الرسوم المسيئة إلى إسفين دُقّ بين أوروبا والعالم الإسلامي. ثم انطلق المشروع الدولي الذي يحمل عنوان «التعايش بين الحضارات». وكان للمجلس الشمالي The Nordic Council، الذي يضم خمس دول شمالية (الدنمارك؛ فنلندا؛ آيسلندا؛ النرويج؛ السويد) وثلاث مناطق تتمتع بالاستقلال الذاتي (جزر الفارو؛ غرينلند؛ جزر ألند)، دور مهمّ في دعم هذا المشروع من خلال وضع موضوع التعايش على أجندة المجلس، والبحث في الكيفية التي يمكن بها لإقليم الشمال المساهمة في تدعيم التعايش العالمي على المستويات كافة. وقد أبدت دول البلطيق رغبتها في التقدم لعضوية المجلس الشمالي. وهو أمر يصب في اتجاه نشر الأمن والاستقرار في المنطقة الشمالية وتشجيع التنمية فيها.

حدد المجلس الشمالي أهم خمسة تحديات للتعايش في الإقليم الشمالي، وهي: تمكين المواطن؛ ضمان حرية الاعتقاد؛ إيجاد مساحات للتعايش؛ ضمان استقلالية

* يشير عنوان المقالة إلى الرسالة المتضمنة في «**ساعة برلين للسلام**».

نُشرت في جريدة **الحياة** اللندنية؛ ٣/ ١٢/ ٢٠٠٦؛ العدد (١٥٩٤٨)؛ ص ١١.

القضاء؛ التغلب على الأجندة الأمنية. وستتم مناقشة هذه التحديات الكبرى والحلول المقترحة لها في إطار «حملة التعايش» التي ستزور عددًا من المؤسسات والمنظمات ودارات الأفكار على مستوى العالم خلال العام ٢٠٠٧.

وقد أعلنت مساندتي لهذه المبادرة خلال المشاركة في اجتماع الجمعية العمومية للمجلس الشمالي، الذي انعقد في مطلع تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦ في العاصمة الدنماركية كوبنهاغن، بصفتي أول شخصية غير أوروبية تدعى لمخاطبة المجلس. كما كان لي شرف استلام وثيقة التفويض كراع لحملة التعايش التي أطلقتها المبادرة - هذه الحملة- التي لا تهدف فقط إلى نشر فكرة التعايش وتعميقها، بل ترمي أيضًا إلى ما هو أبعد من ذلك؛ أي تحقيق المشاركة الفاعلة بين الأفراد والحكومات.

وفي هذا الإطار، بادرت الحكومة الفنلندية بإنشاء سيرورة هلسنكي بالتعاون مع الحكومة التنزانية عام ٢٠٠٢. وأصبحت سيرورة هلسنكي حول العولمة والديمقراطية نموذجًا للشراكة والتعاون من أجل إيجاد حلول لمعضلة الحاكمية العالمية، ورسم العلاقات المستقبلية بين الشمال والجنوب من خلال دعم التعاون بين الحكومات ومؤسسات المجتمع المدني. إن الجمع بين المسار الحكومي والمسار غير الحكومي (المسار واحد ونصف) الخيار الأفضل في التعامل مع تحديات العولمة. لقد حددت عملية هلسنكي حول العولمة والديمقراطية، كما فعلت أيضا عملية برشلونة للحوار الأوروبي المتوسطي، ثلاثة أنماط للتعاون الإنساني: الأمن والاقتصاد والثقافة. إن أي استراتيجية فاعلة من أجل التعامل مع التحديات التي تواجهنا لا بد أن تشمل هذه العناصر مجتمعة.

يمكن لبلدان المجلس الشمالي النهوض بدور أساسي في صنع السلام على صعيد العالم. فما حققه هذا المجلس في مجال تعميق التعاون مع دول البلطيق يعد نموذجًا للسلام العالمي يمكن أن يوفر الدعم المعنوي لعملية صنع السلام في منطقتنا؛ آخذين بالحسبان ما يجمع بين سكان المنطقة من أصول ثقافية ولغوية ودينية. إن التعامل مع التحديات التي تواجهنا يجب أن يتم من منظور فوق قطري يتجاوز الحدود السياسية الضيقة التي تتجاهل الإرث الثقافي والحضاري الذي يجمع بلدان المنطقة تحت مسميات، مثل بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس.

إذا نظرنا إلى منطقة الشرق الأوسط التي تمتد من مراكش إلى بنغلادش، أو من كازابلانكا إلى كلكتا، نجد أنها ابتليت بسلسلة لا تنقطع من الأزمات الكارثية: من غزة إلى بغداد إلى بومباي، والقائمة تطول. أضف إلى ذلك «إهليلج الطاقة»، الذي يضم منطقتي الخليج وبحر قزوين، والذي يحوي معظم احتياطي العالم من النفط، وما يفرضه ذلك من تحديات جمة على أمن هذه المنطقة واستقرارها. نحن نعيش في منطقة غنية بالتاريخ، مزدحمة بخطوط أنابيب النفط، فقيرة في الأنظمة الديمقراطية، تقل فيها مساحة حرية التعبير وتتعرض فيها روح المبادرة والمشاركة لدى المواطنين إلى التهديد، الأمر الذي حول معظم سكان المنطقة إلى أغلبية صامتة مهمشة.

هل يكمن الحل لمشكلات المنطقة في فرض النموذج

الغربي للديمقراطية عليها؟ الجواب: لا. نحن بحاجة إلى الشراكة الديمقراطية مع الشعوب الأخرى لنعمل معًا، استنادًا إلى قيم الاحترام والمساواة والعدالة والثقة. ولكن، أن تفرض الديمقراطية بالقوة، متجاهلة خصوصية البناء المجتمعي، فلن يتم استيعاب التغييرات المتوقعة، وستمنى هذه المحاولة بالفشل.

يمكن للدول الاسكندنافية أن تنهض بدور فاعل في مجال المصالحة والمساهمة في جسر الفجوة في الكرامة الإنسانية؛ هذه الفجوة التي تفصل بين الشرق والغرب. لقد حققت هذه الدول توازنًا بين المنظور الاقتصادي والمنظور الإنساني يمكنها من أخذ الريادة في هذا المجال.

كما تقدم هذه الدول نموذجًا آخر للعمل على المستوى فوق القطري في المجال العلمي. فالتعليم والبحث العلمي عنصران مهمان في أي استراتيجية تهدف إلى تأمين الاستعمال المستدام للموارد الطبيعية. وكدول تضم أجزاء من المنطقة القطبية، فقد دأبت على تفعيل الدور الحيوي للتعليم والبحث العلمي في سبيل التنمية والنهوض بدور عالمي في إنتاج المعرفة. وفي هذا الإطار، تم وضع اتفاقية تحمل عنوان Svalbard Agreement تهدف إلى الحفاظ على المصادر الطبيعية وحماية البيئة، وإبقاء هذه المنطقة مختبرًا فريدًا للأبحاث العلمية على نطاق العالم.

تذكرنا مبادرة التعايش الشمالية بموضوع بالغ الأهمية يتعلق باللجوء إلى الخيار العسكري لحل النزاعات ومعالجة القضايا الدولية. ففي منطقة الخليج وحدها يمكن تعداد ما لا يقل عن ٢٢ صراعًا حدوديًا منذ سنة ١٩٠٠ تم التعامل معها بالوسائل العسكرية. كما تقدم الحرب الأخيرة على لبنان مثالاً آخر على اللجوء الفوري إلى الخيار العسكري لحسم الموقف وإنهاء النزاع. لقد أدى تسخير الإمكانات والموارد المالية في التعامل بهذه الصورة مع الصراعات والنزاعات إلى تراكم الديون الوطنية في منطقتنا، بدلاً من الاستفادة من هذه الأموال في تنمية الموارد البشرية، وتعزيز المواطنة، ومكافحة ظواهر التهميش والإقصاء.

إن الحديث عن جدران العزل التي تفصل بين الشعوب وتقف في وجه السلام والأمن العالميين يأخذنا مرة أخرى إلى برلين وجائزة ساعة برلين للسلام Berlin Peace Clock، التي تشرفت بتسلمها الشهر الماضي من منظمة الثقافة والتربية والعلوم التابعة للأمم المتحدة (اليونسكو)؛ حيث تعد هذه الجائزة رمزًا قويًا لآمال الناس وتطلعاتهم في كل مكان. وإذ إن الشعار الذي يحمله صانعو هذه الساعة هو: «الوقت كفيل بتحطيم كل الجدران»، فإن هذه الجائزة تحفز على العمل من أجل عالم يسوده السلام بدون حواجز بين شعوبه.

ستعمل ساعة برلين للسلام دومًا على تذكيرنا بالتزاماتنا نحو العالم والإنسانية. كما يقع على عاتقنا التزام أخلاقي بالسعي من أجل إزالة الحواجز المادية والنفسية، التي تفصل الفرد عن محيطه المحلي والعالمي وتحد من تحقيق التنمية الأساسية للموارد البشرية والاقتصادية، من خلال تمكين المواطنين وحماية حقوقهم في حياة حرة مزدهرة. ■

النّدوة الفكريّة السّنويّة للمنتدى

«دولة السُّلطة و سُلطة الدّولة»

الدّوحة؛ ٢٤ و ٢٥ كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٧

إعداد: أ. كايد هاشم*

- معضلات الوطن العربيّ في التنمية والأمن والاستقرار تستأثر بمداولات النّدوة
- الأمير الحسن يحذّر من سيطرة ظواهر التهميش والإقصاء للمواطن تنمويًا
- سموّه يدعو إلى معادلة حضاريّة لكلّ من الدّين والدّولة كي لا نقع بين براثن هذه الثنائيّة، وإلى مشروعات إنمائيّة وميثاق استقرار من منظور فوق قُطريّ
- ٩ نقاط تحتم مشاركة المجتمعات المدنيّة في التصدّي للتحدّيات الدّاخلية للدّول
- سموّه يعلن إعادة توجيه رسالة المنتدى نحو تفعيل المواطنة بما يخدم الصالح العام
- تبنّي إنشاء مركز الكواكبي في قطر ليكون بيت خبرة للديمقراطيّة

* مساعد مدير إدارة الدّراسات والبرامج.

استأثرت المعضلات التي يواجهها الوطن العربيّ، في التنمية والأمن والاستقرار واستشراف آفاق مستقبله، بمداولات النّدوة السّنويّة لمنتدى الفكر العربيّ. وقد عُقدت هذه النّدوة تحت عنوان «دولة السُّلطة وسُلطة الدّولة» في العاصمة القطريّة الدّوحة، ٢٤ و ٢٥ كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٧، واستضافتها وزارة الخارجيّة في قطر بمشاركة عدد كبير من أعضاء المنتدى والمفكّرين والباحثين والسّياسيين والإعلاميين العرب. وافتتح النّدوة بكلمتين ضافيتين سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه، وسعادة الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني، النّائب الأوّل لرئيس مجلس الوزراء/ وزير الخارجيّة القطريّ.

الجلسة الافتتاحيّة

كلمة معالي الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني

معالي الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني أكّد أنّ الحكم الرّشيد هو ما يجدر بنا أنْ ننزع نحوه جميعًا لأنّه الكفيل الضّامن لحياة تسودها الحرّيّة ولا يشوبها الظّلم؛ ومن ثمّ يمكن لنا أن نبلغ مستوى تحقيق الرّقي والتقدّم المطرد.

وقال معاليه في كلمته الافتتاحيّة: إذا كان واقعنا لا يشهد ما نصبو إليه بالكامل، فعلينا في الوقت نفسه أنْ لا نقطع الأمل لأنّ علينا أنْ لا نُغفل الطّبيعة النّسبيّة لما تتميّز به الحياة بمفهومها الشّامل في الظّرف والمكان.

وأشار إلى أنّ على المفكّرين العرب مسؤوليّة إبراز فكر الأمّة في المسائل ذات الأهميّة

المعاصرة، وأنْ لا يقتصر الإسهام على الاستعراض الفكريّ، على الرغم من أهميّة ذلك. وأوضح ذلك بقوله: **أنْ نبلغ المستوى الذي يمكن بموجبه الإشارة إلى فكر عربيّ معاصر يستلهم تراث الأمّة، ويتناول مسائل العصر الرّاهن؛ فإنّ لدينا الكثير مما يمكن أنْ نرفد به الفكر العالميّ.**

وكان معاليه قد استهلّ كلمته بالترحيب بالمشاركين؛ معربًا عن سروره بالمشاركة في الجلسة الافتتاحيّة للنّدوة، التي وصفها بأنّها تأتي ضمن «**النّشاطات المرموقة لمنتدى الفكر العربيّ، التي يقودها ويرعاها الأخ الكريم سموّ الأمير الحسن بن طلال بفكره الرّشيد وإنسانيّته المشهودة لِما فيه خير الأمّة وصلاحها**».

وأضاف: لقد اختير لهذه النّدوة موضوع «**دولة السُّلطة وسُلطة الدّولة**»، وهو موضوع شَغَلَ المفكّرين بجوهره وجوانبه التّفصيليّة من مختلف زوايا الفكر منذ استقرار البدايات الأولى لتكوين المجتمعات الإنسانيّة؛ إذ لا بدّ من «سُلطة» تُعنى بقيادة المجتمع وبمسيرة الحياة المجتمعيّة. كان من المحتّم أنْ تتنوّع زوايا الرّؤية إلى الموضوع تبعًا لتطوّر الحياة الاجتماعيّة، وهو ما نلاحظه في المقاربات الفلسفيّة والسّياسيّة والقانونيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والإنسانيّة والدّينيّة لموضوع السُّلطة. فإذًا، هو موضوع لصيق -بمختلف أبعاده وشكليّاته- بالمجتمعات البشريّة.

ويبدو لي أنّ الجوانب المختلفة لموضوع السُّلطة تترابط مع بعضها البعض بشكل شائك أحيانًا؛ فإنْ كانت الدّولة هي النّمط المتعارف عليه للمجتمعات، وإنْ كان مفهومها قد استقرّ من النّاحية الشّكليّة، إلاّ أنّ السؤال يبقى دائمًا: ما هو الشّكل المطلوب للدّولة؟ وما هي أُسس الحكم فيها؟ وكيف ينبغي أن تكون عليه الموازنة بين حقوق الأفراد وحقوق المجتمع التي تمثّلها سُلطة الدّولة؟ وما هي مرجعيّة سُلطة الدّولة؟ وأين نجدها من النّاحية العقليّة والشّكليّة؟ وأي مشروعيّة يمكن أن نُضفي عليها؟ وما هو مصدر هذه المشروعيّة؟

وبين معالي الشيخ حمد أنّـه طالما أنّ الحياة الإنسانيّة تتميّز بالحركة والتغيُّر والتطوّر، سواء داخل المجتمع الواحد أو في علاقاته مع المحيط الخارجيّ، فإنّ الانشغال بموضوعات هذه الأسئلة يبقى عنصرًا دائمًا من عناصر الفكر الإنسانيّ لأنّها تمسّ وجود الإنسان ونزوعه الطّبيعيّ إلى الحياة الأفضل.

وأكّد معاليه أن **موضوعات النّدوة جاءت لتصبّ في جانبٍ عمليّ من جوانب المسائل العامّة.**

وأضاف: لا شكّ لدي بأنّ تناول هذه الموضوعات يأتي في فترة مهمّة من تاريخ الوطن العربيّ، حيث تشهد حياتنا عمومًا مختلف جوانب التخلُّف عن الرّكب الحضاريّ العالميّ. ونحن أمّة لها من أصالة الإسهام الحضاريّ ما يجعل مفكّرينا جديرين بحمل أعباء التّحدّي لنهضة متجدّدة ترفعُ من شأننا بين الأمم. وفي هذا المسعى يُفترَض أنْ لا يطيب شيء للسّاسة أكثر من تعرُّف ما يجول في أذهان المفكّرين من مسائل وأمور تخصّ ممارسة السُّلطة، خاصّة إذا كانت الأفكار قد سبقت في إطارٍ منزّهٍ عن الأغراض والبواعث الخاصّة، مثل هذا الجهد الذي يشكّل رافدًا من الرّقابة ذات الأبعاد المتعدّدة التي لا غنى عنها في إقامة الحكم الرّشيد. ■

كلمة سموّ الأمير الحسن بن طلال

سموّ **الأمير الحسن** في كلمته الافتتاحيّة، التي جاءت تحت عنوان «**الدّولة... الإقليم... العالم**»، والتي قدّم في مستهلها جزيل الشكر لدولة قطر العزيزة وعلى رأسها صاحب السموّ الشيخ **حمد بن خليفة آل ثاني** على استضافة هذا الحدث الفكري المهم، ركّز على «**أنّ التّمسُّك بقوّة العقل والأفكار، وتعزيز القيم الإنسانيّة المشتركة، مثل الاحترام والمسؤوليّة والغيريّة، هو السّبيل إلى مواجهة عالمنا اليوم الذي يسير بخطىً محمومة نحو العولمة بحيث تكون الإنسانيّة في الغالب هي الحلقة المفقودة**».

وأضاف سموّه: «إنّ الإحصائيّات الواردة حول التنمية في منطقة الشّرق الأوسط وشمالي إفريقيا مثيرة للقلق؛ إذ يتوقّع الخبراء أن يرتفع عدد السكان من (٤٠٠) مليون في عام ٢٠٠٠ إلى (٧٢٠) مليون في عام ٢٠٥٠، حيث يزداد عدد السكان بمعدّل ربع مليون إنسان يوميًّا».

وقال سموّه: «إذا نظرنا إلى مفهوم الدّولة في لغتنا، نجد أنّ الدّولة تعني الغَلَبة، والغَلَبة يترتّب عليها سلطان للغالب على المغلوب. من هنا يمكن القول إنّ العامل الأساسيّ في تعريف الدّولة هو السُّلطة أو السُّلطان، في حين نجد معنى الدولة في اللغات الأجنبيّة الثّبات والمؤسّسات. وإنّ الدّولة - بطبيعة الحال - تنقسم إلى مساريْن: الأوّل حكوميّ والثّاني غير حكوميّ. وإنّ تحقيق التّوازن بين هذين الدوريْن أمر ضروريّ إذا ما أردنا المحافظة على التنمية والأمن والاستقرار في الدّولة، ومن ثمّ الإقليم والعالم».

وأشار سموّ الأمير الحسن إلى ما يجري في جنوب شرق آسيا من «تركيز كبير على دفع آليّة الحوار بين دول الإقليم بشأن التحدّيات التي تواجهها من الإرهاب إلى تفعيل المواطنة وتنمية القدرات الإنسانيّة»؛ مؤكّدًا سموّه «**أنّ المواطن، ومن ثمّ الشّعب، هو أساس السُلطات. وإذا لم يتمّ تفعيل دوره في المجتمع وانخراطه في العمليّة الإنمائيّة وَفْقَ الحقوق التي ضمنها له ميثاق حقوق الإنسان العالميّ، نصبح أمام أزمة حقيقيّة تهدّد مجتمعاتنا تتمثّل في سيطرة ظواهر التهميش والإقصاء**». كما أنّ علاقة الفرد بالدّولة لا تستقيم «إلاّ إذا كانت **علاقة تبادليّة:** تسير في اتجاهين وتستند إلى القيم الإنسانيّة الأساسيّة. ولعلّ المفتاح الأساسيّ بالنّسبة للفرد هو تفعيل المواطنة والأغلبيّة الصّامتة كي تنهض بدورها الإيجابيّ». وأعرب سموّه في هذا المجال عن الأمل في أن يبادر **منتدى الفكر العربيّ**، الذي يحتفل بمرور خمسة وعشرين عامًا على تأسيسه، إلى «**العمل على تفعيل المواطنة وإعادة تعريف مقوّمات الفكر العربيّ، والرّبط بين مفهومَيْ المواطنة والفكر من أجل تحقيق الصالح العام، وأنْ يتّخذ من هذه الرّسالة شعارًا يحفزه على البحث في سُبُل الخروج من واقع الجمود الفكريّ إلى دائرة الفعل المتجدّد**».

وأضاف سموّ رئيس المنتدى وراعيه: إنّ «الهدف الأسمى والأبعد من ذلك هو أنّنا أصحاب مسؤوليّة فكريّة إزاء **حكمة الإشراق**. ومؤدّى هذه المسؤوليّة الإسهام بالرّؤى والأفعال في تجديد حكمة الشرق، وإعادة الفضل لها في نهضة الفكر والخروج من دائرة التأثّر إلى دائرة التّأثير. فالمشكلة ليست في ركود الفكر، وإنّما في غياب الفعل؛ الفعل القادر على الفصل غير التعسفيّ بين **دوائر النّفوذ الاجتماعيّة والدّينيّة** بتحديد **المساحات المعياريّة** لكلٍّ منهما، الآخذ في الحسبان التناغم والتّكامل بينهما، من دون أنْ يعيق النّفوذ الاجتماعيّ عمل النّفوذ الدّينيّ أو العكس. والمعنى التوصّل في سيرورة جهدنا الفكريّ في المنتدى إلى أُسس تطبيق **معادلة حضاريّة لكلٍّ من الدّين والدّولة، كي لا نقع بين براثن هذه الثنائيّة، وكي يكون الجهد منصبًّا في إطار الصالح العام**».

وأعلن سموّه هنا أنّه «في إطار حرصنا الكبير على تعزيز علاقة المنتدى بدولة قطر، بهذا الإقليم المبدع المعطاء، **قام المنتدى بتبنّي إنشاء مركز الكواكبي للتحوّلات الدّيمقراطيّة في العاصمة القطريّة الدّوحة ليكون بيت خبرة على المستوى الإقليميّ العربيّ**».

كما دعا سموّه إلى القيام **بمشروعات إنمائيّة من منظور شامل فوق قُطريّ**؛ مشيرًا إلى أنّ **التوجّه الإقليميّ** سيحقّق درجة أكبر من التّكامل السّياسيّ والاقتصاديّ، خصوصًا في مجال الطّاقة، وأنّه لا بدّ أن يتمّ ذلك من خلال إنشاء **هيئة فوق قُطريّة للمياه والطّاقة**. وكذلك نحن «بحاجة إلى تأسيس **صندوق عالميّ فوق قُطريّ للزّكاة والتّكافل** يعتمد على جمع الزّكاة كوسيلة لتقديم المساعدة الإنمائيّة للبلدان الإسلاميّة الأقلّ نموًّا». وأشاد سموّه في هذا الصدد بالمساهمة المتميّزة لدول الخليج في رعاية التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة

في العالم العربيّ من خلال صناديق التنمية وسلطات الاستثمار، التي تصل قيمة الاستثمار فيها إلى (٨٠٠) مليار دولار؛ موضحًا أنّه «بينما ارتفع معدّل دخل الفرد في بعض الدّول العربيّة المنتجة للنّفط إلى ما يقارب (٥٠) ألف دولار أو أكثر، نجد أنّه لم يتجاوز (١٠٠٠) دولار في معظم البلدان العربيّة»، وأنّه «حتّى في البلدان العربيّة التي يزيد معدّل دخل الفرد على (٢٥٠٠) دولار، فإنّها تعاني من الفقر والجوع والأميّة وضعف الرّعاية الصحيّة ونقص في البنى التحتيّة».

ودعا سموّه أيضًا إلى تكثيف الجهود المخلصة من أجل وضع ميثاق استقرار إقليميّ اجتماعيّ سياسيّ فيما بيننا ومع الآخر يتضمّن القواعد السّلوكيّة من أجل تفعيل الحوار بين الأطراف المعنيّة، وأُسس التّعاون الإقليميّ، وإنشاء صندوق إقليميّ للتّضامن يستند إلى فكرة الشّراكة، وبناء الصدقيّة والثّقة بين بلدان الإقليم، ما يساعد في تدعيم الاستقرار من خلال تحقيق التّكامل بين البلدان الغنيّة بالموارد النّفطيّة والبلدان الغنيّة بالموارد البشريّة.

وقال سموّ الأمير الحسن: «إنّ التركيز على رباعيّة: التربية؛ التّمكين أو التفويض؛ المشاركة؛ التّبادل، سيساهم في تحقيق الاستقلال المتكافل الذي يشكّل جزءًا من الدّعوة إلى نظام عالمي إنساني جديد، الذي تبنّته الجمعيّة العموميّة للأمم المتحدة بالإجماع في كلّ دورة من دوراتها منذ عام ١٩٨٨». وأنّه سيتمّ في هذه السنة (٢٠٠٧) إعادة تعريف الرّسالة الأمميّة والرّسالة الإقليميّة، وكذلك المسؤوليّات الملقاة على عاتق الأقاليم. لذلك «**نحن بحاجة إلى إعادة النظر في سياساتنا الإقليميّة؛ فنركّز على البُعد الآسيويّ وأهميّته البالغة لنا في المنظومة العالميّة الحاليّة**». وأشار سموّه في هذا السياق إلى مؤتمر «**أصوات من غرب آسيا: نحو سيرورة من أجل التعاون والأمن**»، الذي سيعقد في إسلام أباد خلال شهر شباط/ فبراير ٢٠٠٧. ويهدف إلى تأكيد ما هو مشترك بين بلدان آسيا بما يؤسّس أرضيّة مشتركة للحوار، ويساعد على التصدّي للقضايا الملحّة التي تواجه الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا بنهج متعدّد الأبعاد. وأشار كذلك إلى **هيئة مواطني الشرق الأوسط** MECA تحت رعاية سموّه وبمبادرة من هيئة هلسنكي للمواطنين HCA. وتهدف MECA إلى نشر الحوار والتّضامن وتبادل الخبرات بين مواطني البلدان الأعضاء على المستويات الثّقافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة.

وتساءل سموّه في حديثه عن محاربة الآفات التي تفتك بالإنسان، وعن إمكانيّة التجسير بين المنتدى الاقتصاديّ العالميّ (منتدى دافوس) في سويسرا والمنتدى الاجتماعيّ العالميّ في نيروبي «بما يخدم الإنسان الذي يعاني من الفقر والمجاعة؛ الإقصاء الاجتماعيّ؛ الإرهاب؛ التسلّح؛ اتساع ثقب الأوزون والاحتباس الحراريّ الذي سيؤدّي إلى هجرة أعداد كبيرة من البشر، كما يخبرنا آل غور في كتابه **حقيقة غير مطمئنة**».

وأجمل سموّه أسباب **دعوته إلى تفعيل المجتمع المدني في تسع نقاط** جاءت في ختام هذه الكلمة كالآتي: إنّ المجتمعات مصادر مهمّة للمعلومات، وعلينا أن نلاحظ إشاراتها في دقّ ناقوس الخطر؛ إنّ المجتمعات تكون أفضل مكان للفعل الاستباقيّ

من أجل إبعاد الشّباب عن دائرة التطرّف؛ يجب على المجتمعات أن تنهض بدورٍ قياديّ في التصدّي للإرهاب إلى جانب الدّولة؛ إنّ طبيعة الخطر الذي تشكّله التنظيمات الإرهابيّة تعني أنّ أجهزة الأمن بحاجة إلى التدخّل المتكرّر المبكّر، ما قد يزيد من احتمال ارتكاب الأخطاء؛ ضرورة فهم الاختلافات في المجتمع المسلم من أجل تصميم أشكال التدخّل والبنية التي ستمكّن كلّ المجتمعات من المشاركة في استراتيجيّة ضدّ الإرهاب تتجنّب النّتائج السلبيّة؛ على الحكومات أن تعمل على مراجعة دقيقة للسياسات المصمّمة لمحاربة مظاهر الحرمان من أجل تحديد أشكال التدخّلات الأكثر فعاليّة في الوصول إلى الفقراء؛ تشجيع المشاركة التطوعيّة في المجتمع من أجل الاستجابة لحاجات الأقليّات؛ العمل على إزالة الصور النّمطيّة وتعلّم التفاوض مع «الآخر»، خاصّة بالنّسبة للشّباب وتنمية مهاراتهم في هذا الجانب؛ إطلاق خطّة وطنيّة للشباب المسلم من أجل تمكينهم من الحصول على معرفة أعمق بإنجازات دارات الأفكار وأعمال الشخصيّات العامة السّياسيّة وغيرها. ■

جلسة العمل الأولى
«سُلطة الدّولة بين المبدأ والواقع»

أ. د. ناصيف نصّار

بعد ذلك أعلن عريف الحفل أ. **عبد العزيز محمّد العبد الغني** -من قطر- عن بدء جلسات اليوم الأوّل من النّدوة بجلسة العمل الأولى، التي ترأسها **د. عبد العزيز عبدالله تركي السبيعي** -من قطر- وقدّم فيها **أ.د. ناصيف نصّار**، أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانيّة، ورقة فيما يأتي خلاصتها:

أشار أ. د. نصّار إلى أنّ المقاربة الفلسفيّة لمشكلة السُلطة، خاصّة السُلطة السّياسيّة، تتميّز عن المقاربتين الدّينيّة والأيديولوجيّة. ويحتاج الفكر العربيّ حاجة جوهريّة إليها لأنه بفقدانها لمصلحة المقاربتين الدّينيّة والأيديولوجيّة يفتقد إلى القاعدة النّظريّة العقليّة الصّلبة اللازمة لتأسيس الحياة السّياسيّة ومؤسّساتها.

وبيّن الباحث أنّ السُلطة السياسيّة هي في واقع الأمر سلطتان: سُلطة الدّولة وسُلطة الحاكم. الأولى هي الأصل، والثّانية هي المظهر (الوكيل). وأكبر الأخطاء السّياسيّة يكمن في دمج هاتين السُلطتين لمصلحة الثّانية. وأنّ سُلطة الدّولة هي حق المجتمع المستقلّ في أمر نفسه (في مقابل حقّ الفرد المستقلّ في أمر نفسه)، ولهذه السُلطة وظائف أربع: أمنيّة (احتكار القوّة المسلّحة)؛ تنظيميّة (التّشريع وتطبيقاته)؛ تدبيريّة (إدارة المصالح العامّة)؛ إنمائيّة (زيادة القدرات وتحسينها).

كما أشار أ. د. نصّار إلى أنّ سُلطة الدّولة ليست سُلطة اعتقاديّة، وليست سُلطة فنّيّة، وليست سُلطة علميّة، وليست سُلطة أخلاقيّة لأنّ هذه السُلطات سُلطات أصليّة لها أنظمتها وشروطها، ولها مكانتها

الخاصّة في ثقافة المجتمع. لكنّ سُلطة الحاكم (بما أنّها سلُطة تشريعيّة وتنفيذيّة) تحتاج بالضّرورة العمليّة إلى مرجعيّة أخلاقيّة ومرجعيّة أيديولوجيّة لأنّها مضّطرة إلى اعتماد معايير معيّنة لاتخاذ قراراتها. على أنّ ذلك لا يكون إطلاقًا على سبيل الاحتكار والقهر.

وتناول الباحث الصّعوبات التي تواجهها سُلطة الدّولة لكي تستقيم بحسب ماهيّتها، وهي أربعة أصناف: صعوبات متعلّقة باحترام استقلاليّة أفرادها وحرّياتهم؛ صعوبات متعلّقة باحترام المساواة في ما بينهم، في الحقوق والواجبات الطّبيعيّة وأمام القانون؛ صعوبات متعلّقة بتفسير الشّؤون العامّة والمصالح العامّة؛ ضعوبات متعلّقة بتكوين الشّعب وتجانسه ووحدته ووعيه بأنّه حقًّا يحكم نفسه.

كما بيّن الباحث أنّ الواقع الذي تواجهه سُلطة الدّولة باعتبارها سلطة مبدئيّة صالحة للتحقُّق كليًّا أو جزئيًّا هو واقع متعيِّن تاريخيًّا، وذو مستويات متشابكة داخليًّا وخارجيًّا، ومقاومته لسُلطة الدّولة أمر طبيعيّ. إلاّ أنّها لا تحمل الإرادة السّياسيّة التي يمثّل العدل قضيّة لها. فالمسألة مسألة صراع، وهو بلا شكّ صراع قاسٍ وطويل ومعقّد.

وفي تناوله للواقع العربيّ، أوضح الباحث أنّه لا يمكن أنْ تنتصر سُلطة الدّولة كما هي محدّدة في الفقرات السّابقة إلاّ إذا تحرّر الفكر السّياسيّ العربيّ، ومن ثمّ العمل السّياسيّ العربيّ بصورة واضحة، من هيمنة الدّين على السّياسة وتسخير الدّين لأغراض سياسيّة، ومن فلسفة المُلك (الخلدونيّة) وأشكالها الاستبداديّة الحديثة، ومن التبعيّة الخانعة لاستراتيجيّة الدّول الرّأسماليّة الكبرى. وأكّد هنا أنّه ليس على الفلسفة أنْ تقرّر الخطط والوسائل العمليّة لتحقيق سُلطة الدّولة في الواقع العربيّ (بحسب مجتمعاته المختلفة)، إنّما عليها أنْ تكافح دفاعًا عن أسبقيّة النّظريّة والمعركة النّظريّة حتّى تتوصّل القوى الثّقافيّة إلى الاقتناع بمبادئها والقوى السّياسيّة إلى تبنّيها في برامجها.

في هذا السّياق، أبان أ.د. نصّار أنّه لا يخفى على المفكّر الواقعيّ الجذور أنّ تطوّرات الصّراع العربيّ الإسرائيليّ منذ نصف قرن ونيف، ولّدت أوضاعًا غير مؤاتية للفلسفة والفهم الفلسفيّ لمشكلة السُّلطة. لذلك لا يجوز ربط حظوظ الفلسفة بمآل هذا الصّراع، على أهميّة الاعتبار به وضرورتها؛ بل العمل على المدى التّاريخيّ الطّويل من أجل نهضة عربيّة ثانية تحقّق ما عجزت عنه النّهضة العربيّة الأولى، فتتجه نحو آفاق جديدة للعرب وسائر الشّعوب.

أهمّ النّقاط والأفكار التي طُرحت في المناقشة

- الحاجة إلى نظريّة بناء فلسفيّ متكامل لمفهوم سلطة الدّولة/ مفهوم بنية اتخاذ القرارات العامّة وامتلاك أدوات تنفيذها التي تفتقدها السلطة العربيّة.
- ثلاث أزمات تحكم السلطة العربيّة والفكر السياسيّ: أزمة إدارة الفعل وإرادة التغيير التي يُتنازل عنها للخارج؛ أزمة غياب الفكر المنهجيّ للسلطة؛ أزمة غياب الفكر المستقبليّ واتخاذ المبادرة.
- تأكيد دور المشروعات الاقتصاديّة الاستثماريّة في تحقيق سلطة الدّولة العربية، وهي التي تؤدي

إلى حكم القانون وسيادته وسلطة الدولة.

- دعوة منتدى الفكر العربي إلى تأكيد دور الاقتصاد ورأس المال العربي والشراكات الاقتصادية لتحقيق تواصل عربي أفضل، وانفتاح تجاريّ، وتنمية اقتصادية حقيقية للمواطن والوطن العربي.

- أُثيرت تساؤلات حول موقع الدين وموقع الدولة في السلطة. وهنالك ضرورة لفكر سياسي يرسم معالم علاقة غير صِداميّة بين السياسة والدين (توافق الدولة والدين). كما يلاحظ تراجع الفكر الليبرالي أمام سيطرة الفكر الديني في كل مرة تُجرى فيها انتخابات في كثير من أجزاء الوطن العربي.

- ضرورة التفريق بين السلطة المقرونة بالدولة والسلطة المقرونة بالحاكم. ففقدان السيادة يؤدي بالدولة إلى ممارسة القهر على الداخل تعويضًا عن فقدان السيادة.

- لا توجد قوى ثقافية وقوى سياسية صافية في الوطن العربي. لذلك ما زالت النظرية عاجزة عن إعطاء حل لمفهوم السلطة. ■

جلسة العمل الثانية
«خصائص السُّلطة في التصوّر الإسلاميّ»

أ. فهمي هويدي

ترأس هذه الجلسة أ. د. **عبدالله بن صالح العثيمين**، الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالميّة في المملكة العربيّة السعوديّة وعضو المنتدى. ونجمل ما ورد في ورقة أ. **فهمي هويدي**، الكاتب والمفكّر الإسلاميّ، بالآتي:

يحدّد الباحث خمسة أمور يرى من المهمّ الاتفاق حولها قبل رصد خصائص السلطة في التصوّر الإسلاميّ، وهي:

١- **يجب تجاوز الجدل حول ثنائيّة الدّين والسياسة**. ويشير في هذا المجال إلى حقيقة أن الإسلام نظام حياة تغطي تعاليمه مختلف أنشطة الفرد والمجتمع، **وسياسة الدولة جزء من تعاليم الدين**. ومنذ هجرة النبي محمّد ﷺ حتى إلغاء الخلافة (١٩٢٤) كانت للإسلام دولة صنعت حضارة عظيمة لا تزال بصماتها حاضرة بقوّة في سجل الحضارة الإنسانيّة.

٢- **السلطة في الدولة الإسلاميّة ليست سلطة دينيّة** بالمفهوم الشّائع في التجربة الغربية، **وليس في التصوّر الإسلاميّ مؤسسة دينية** لها كيان وسلطان يماثلان ما للكنيسة في الغرب. المتخصصون في العلوم الشرعيّة لا يشكلون طبقة سياسية؛ بل إنهم «خبراء» في مجالاتهم، **وفكرة سيطرة رجال الدين على الحكم** لا وجود لها ولا أساس في الدولة الإسلامية، وذلك يجب أن لا يمنعهم من المشاركة في المجال العام.

٣- **ليس صحيحًا أن للسلطة في التصوّر الإسلامي**

شكلاً محددًا أو هياكل ثابتة، ومن الخطأ اعتبار الخلافة شكلاً وحيدًا للنظام السياسي الإسلامي؛ إذ لا يوجد أساس شرعي لذلك. الخلافة تنظيم لرئاسة الدولة في مرحلة معينة، أي جزء من التاريخ المقدّر وليست جزءًا من التعاليم الملزمة. الإسلام حدّد قيمًا ومبادىء عامة يجب أن تلتزم بها السلطة، **وقياس مدى إسلامية السلطة بمقدار التزامها بتلك القيم أو المبادىء.**

٤- ضرورة الوعي بالفرق بين التصور الإسلامي للسلطة، وبين سياسة المسلمين لها (الفرق بين النموذج والمثل من جهة، والتاريخ من جهة أخرى). التصور الإسلامي يُناقَش اعتمادًا على المرجعيّة الإسلاميّة (القرآن الكريم والسنّة النبويّة) ولا يحتجّ فيه بالتاريخ. التعاليم هي التي تحاكم التاريخ وليس العكس.

٥- السلطة في التصوّر الإسلاميّ ذات طابع رساليّ تتفاعل مع المجتمع ولا تأمره، فترشده ولا تقهره، وتربّيه ولا تغصبه (حركة طالبان والمحاكم الإسلاميّة في الصومال مثلاً شوهت دور السلطة في إدارة المجتمع المسلم). اجتهادات الفقهاء ترسم صورة أكثر اتزانًا وإشراقًا في كيفيّة إدارة حركة التغيير **(التغيير يسترشد بقواعد ثلاث: التدرّج وضرورات تصديق السلوك الاجتماعي، وترتيب الأولويّات، والموازنة بين المصالح والمفاسد وبين المفاسد باختلاف درجاتها).**

يشير الباحث إلى أن السلطة بالمفهوم الإسلامي تتقرب إلى الله وتتعبّد له بإقامة العدل **(إقامة العدل هو الهدف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الوسيلة).** هذا التكليف الشرعيّ **من أكثر المعاني التي أُسيء فهمها وشوّهت صورتها** الممارسات المعاصرة (التضييق في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واختزاله في العبادات والمنكرات المباشرة)، فيما **مقصده تجاوز الانكفاء على الذات وحثّ خلايا المجتمع المسلم على أن تتضافر جهودها من أجل النهوض بالمجتمع**... والوفاء بواجب الاستخلاف في الأرض. فالنهوض بالمجتمع واجب شرعي.

الامتثال لأوامر الله - عزّ وجلّ - ونواهيه رأس خصائص السلطة (حاكميّة الله)، وهو الاصطلاح المستمدّ من الخطاب القرآني. هذه الحاكمية تجسّد الرباط المحكم بين العقيدة والشريعة، وتجسّد **فكرة التوحيد (الوجه الآخر لجوهر الحرية في العقيدة الإسلامية:** شهادة أن لا اله إلا الله، وأن أوامره ونواهيه هي المرجعيّة، يصبح ذلك إشهاراً لعتق الإنسان من الخضوع لأي سلطان غير سلطان الله؛ فضلاً عن أنه **يسلحه بشجاعة رفض الظلم من البشر).** حاكمية الله تعني مرجعيته فى القوانين ومنظومة القيم السائدة، وتسري الحاكمية على رأس الدولة كما أصغر مواطن فيها. وليس هناك شخص أو جماعة يمكن أن تدّعي تمثيلاً لتلك الحاكمية أو حصانة باسمها **(فكرة الحق الإلهي في العصور الوسطى في الغرب هي أمر شاذ مستهجن ترفضه وجهة النظر الإسلامية).** في التصور الإسلامي تتسلسل السلطة من الله أولاً، ثم الأمة ثانيًا والحاكم أخيرًا.

الأمة هي مصدر السلطة لأن قيادة المجتمع لا تتم إلا برضا الناس واختيارهم. (في النص القرآني

الحديثُ دائمًا عن «**أولـي الأمـر**»، وليس إلى دور أو طاعة ولي الأمر، في إيحاء واضح إلى أن **القرار يجب أن يكون لفريق وليس لفرد واحد)**. والأمة هي صاحبة الرئاسة العامة، كما ذكر الرازي. والاختيار شأن تفصيلي متروك لأهل كل زمان. **(التصويت في الانتخابات يمكن أن يؤدي الغرض ذاته للبيعة في زماننا)**.

تتفرع عن خصائص السلطة في المجتمع الإسلاميّ كما وردت هنا **خصائص أخرى** في مقدّمتها ثلاث، هي:

- **الإمامة عقد**. هكذا صاغ الفقهاء علاقة الحاكم بالمجتمع. عقد مبني على الرضا، والغاية منه أن يكون هو المصدر الذي يستمدّ منه الإمام سلطته. **(البيعة في الماضي كانت صيغة القبول. وسائط التعبير الحديثة وفّرت وسائل أخرى كثيرة للتثبُت من رضا الناس عن الحاكم** أو غيره من أركان السلطة).

- **الشورى واجبة وملزمة**. عرّفها بعض السلف بأنها **مذاكرة** (أهل الرأي وأتباعهم، وصيغة ذلك أمر متروك لأهل كل زمان). في سورة الشورى من القرآن الكريم هنالك **تلازم بين الصلاة والشورى** يمكننا من الادعاء بأنه إذا كانت الصلاة عماد الدين -حسب الحديث النبوي- **فإن الشورى هي عماد الدنيا، وأريد بها أيضًا أن تكون جزءًا من ثقافة المجتمع** ومنهجًا متبعًا في إدارة شؤونه.

- **تقنين مقاومة الظلم**. يترتب على اعتبار الأمة مصدر السلطات حقها في محاسبة السلطة ومساءلتها. (الغزالي، وفقهاء كثيرون غيره، اعتبروا أن محاسبة الحكام ورفض مظالمهم من أهم استحقاقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). **إن مواطني الدولة الإسلامية مطالبون بطاعة أولي الامر، ما لم يؤمروا بمعصية**، وإلا فلا سمع ولا طاعة. من ثَم فإن الاسلام **يقضي بربط الالتزام بطاعة القائمين على السلطة بالتزام هؤلاء بأحكام الشرع**. هذا الالتزام القانوني بمقاومة الجور بالنسبة للمسلم، فرداً أو جماعة، هو من أقوى **ضمانات الرقابة الشعبية**. فلا يترك الأمر في النهاية إلى أجهزة السلطة لتكون حكمًا وخصمًا معًا، كما هي الحال في ظل الدولة الغربية المعاصرة. **حق مقاومة الجور للمسلمين يخضع لضوابط** عدّة على النحو الذي يمنع تحول المقاومة المفترضة إلى مغامرة تشيع الفوضى في المجتمع، وتفسد بأكثر مما تصلح.

أهمّ النّقاط والأفكار التي طُرحت في المناقشة

- عند الحديث عن الدّين والدّولة في عصرنا يجب الانتباه إلى أنّ المؤسّسات الدّينيّة لا تقوم بدورها الشّموليّ، ورجال الدّين يجب أنْ يكونوا بين النّاس، لا أنْ يكونوا فئة مختصّة بنفسها.
- هنالك خلط بين مفهوم الشّورى وإلزاميتها (أي الفصل بين التّاريخ كعقيدة والتّاريخ كعلم).
- الدّعوة إلى دراسة المذاهب الإسلاميّة على حقيقتها للخروج بتصوّر إسلاميّ واضح متكامل لمفهوم السُّلطة.
- تناول أكثر من متحدّث موضوع «الحاكميّة». مفهوم الحاكميّة في القرآن الكريم اختصّ بالقضاء وليس بالسُّلطة، وجاء «الأمر» في

القرآن الكريم تعبيرًا عن السُّلطة. الدّعوة إلى تحميل هذا الاصطلاح «الحاكميّة» مضامين جديدة تفي بمتطلّبات العصر.

- إنّ السّائد في العالم العربيّ هو «قوّة» وليس «سُلطة»، وهذه القوّة أوجدت ثقافة الخوف.
- من المهمّ أنْ يتعامل الفرد/ المواطن مع السُّلطة بمفهوم مشترك، وليس من خلال مفهومين مختلفين.
- هنالك فجوة بين مفهومنا للسُّلطة والمفهوم العلمانيّ، وهي فجوة تحتاج إلى إثبات، مع ملاحظة ثلاثة أُسس إسلاميّة: طريقة الدّعوة (الحكمة والموعظة الحسنة)؛ عدم الإلزام خاصّة لغير المسلم؛ الاعتراف بحقيقة الاختلاف.
- النّموذج الأخلاقيّ هو الأساس في تطبيق الحكم. ومسؤولية ترشيد الحكم يجب أنْ لا تكون للحاكم وحده، لكن للمجتمع ككلّ.
- النّصّ المقدّس ومدى اختزانه المعرفة. وهل هناك تصوّر إسلاميّ للسُّلطة أم تصوّرات إسلاميّة.
- أهميّة البحث عن وسائل/ وسائط يعبّر النّاس من خلالها عن رأيهم في الحاكم (قبولاً أو رفضًا) بحيث يكون هنالك توافق بين التصوّر والممارسات الإسلاميّة في الماضي من جهة، والأشكال الحديثة من جهةٍ أُخرى.
- الدّعوة للكفّ عن الخطاب التجميليّ للتّراث والالتفات إلى تطبيق النّقد التاريخيّ بأصوله المنهجيّة.
- التفريق بين مفهوم الأمّة ومفهوم الدّولة أمام شعارات، من مثل (الإسلام هو الحلّ).
- ضرورة الاهتمام في التصوّر الإسلاميّ للسُّلطة بالعلاقة مع الآخر ودراستها (الصور الكاريكاتيريّة وما لها من عمق في قراءة الأدبيّات السّياسيّة الإسلاميّة).
- خصائص السُّلطة في التّراث الإسلاميّ ومدى تأثير التّراث السّياسيّ الفارسيّ في صوغ أدبيّاتها.
- الدّعوة إلى الاجتهاد في المصطلحات، وعدم الاعتماد على استعادة المصطلحات التي أوجدها السّلف لأنهم لم يعرفوا المعضلات التي نواجهها اليوم. ■

جلسة العمل الثالثة

أ- «الدّولة التسلطيّة ضد مجتمعها»

د. علي فخرو

بدأ اليوم الثّاني لأعمال النّدوة بهذه الجلسة التي ترأسها **د. عبد العزيز حجازي**، رئيس وزراء مصر الأسبق وعضو المنتدى، وقدّم فيها **د. علي فخرو**، الوزير السابق في البحرين وعضو المنتدى، و**د. كمال عبد اللطيف**، الأستاذ بكليّة الآداب/ جامعة محمّد الخامس في المملكة المغربيّة، ورقتين نلخّص مضمونهما في الآتي، بادئين بورقة د. فخرو:

يرى الباحث أنّه لا يمكن فصل ظاهرة التسلط في الدولة العربية الحديثة عن ظروف منشئها، فظروف المنشأ تحدّد إلى حدّ بعيد العلاقات بين المجتمع وسُلطة الدّولة.

إنّ أغلب الدّول العربيّة القُطريّة الحديثة الحاليّة هي حصيلة صُنع أجنبيّ استعماريّ، أي أنّها لم تكن حصيلة تطوّر مجتمعيّ تدرُّجيّ لتلبية حاجاته الذّاتيّة في تنظيم نفسه، وبناء مختلف جوانب حياته، والدّفاع عن كيانه ضدّ أعدائه.

يعرض الباحث في هذا المجال لمجموعة من الآراء حول علاقة سلطة الدولة بالمجتمع، منها:

– أنّ أغلب الدّول العربيّة الحاليّة القائمة هي مجتمعات قديمة تكوّنت كدول بذلك التّعريف في القرن التاسع عشر أو ما قبله بكثير، باستثناء بعض دول الهلال الخصيب، من مثل سورية أو العراق أو الأردن، التي تكوّنت بقرارات دول استعماريّة.

– الدّولة العربيّة الحديثة هي نتيجة لنضال وطنيّ تحرّري ضدّ الاستعمار.

– الدّولة العربيّة الحاليّة هي نتيجة لتطوّر ذاتي لمجتمعات عربيّة تقليديّة تطعّمت بأفكار وأنظمة حديثة جاءت في الأساس عن طريق الوجود الاستعماريّ في تلك المجتمعات.

يشير الباحث أيضًا إلى أنّ جميع الدّول هذه انتهت لتكون دولة تسلّطيّة بيروقراطيّة تمارس الاستبداد بنوعيه التّقليديّ والحديث، وتمارس احتكار كلّ مصادر السُلطة والجاه والنّفوذ في المجتمع، وتنتهي بتهميش مجتمعها وابتلاعه. وكان ذلك باسم ضرورة الإسراع في التّحديث والتّنمية والرّفاهيّة، التي ادّعت السُلطة بأنّها وحدها قادرة على القيام بها، ما يعدّ عدم ثقة في قدرة قوى المجتمع على القيام بتلك المهمّات، وبأنّ المجتمع يحتاج أنْ يُجَرّ رغمًا عنه نحو إقامة الدّولة العصريّة.

عوامل الهجمة الصهيونيّة واستيطان فلسطين، والمحاولات الاستعماريّة المستمرّة للرّجوع إلى المنطقة، وضرورة تحقيق شعارات القوميّة العربيّة الأيديولوجيّة، أُضيفت كلّها وغيرها من العوامل كمبرّرات لإعطاء الأولويّة القصوى لبناء الدّولة وترسيخها وتقويتها، وتأجيل الاهتمام بتطوير قدرات قوى المجتمع وتنظيمها وتقويتها إلى مرحلة تالية.

فيما يتعلق بعلاقة الدّولة العربيّة بمجتمعها المدنيّ، فإنّ الدّولة العربيّة الحديثة حينما تأسّست، بعد تحرّرها من الاحتلال الاستعماريّ، كانت أقوى بكثير من مجتمعاتها. فمجتمعاتها التي كانت منقسمة على نفسها في مجالات القبيلة والأديان والمذاهب والأعراف والجغرافيا والتّاريخ والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، وحتّى في علاقات مكوّناتها بالخارج، ما كانت قادرة على أن تنظّم نفسها بنفسها، أو أنْ تدخل معركة الحداثة والعصرنة والتنمية. فكان طبيعيًا أنْ تكون علاقة الدّولة بتلك المجتمعات علاقات القوي بالضّعيف.

الدّولة التي تحكّمت بها قوى اتّصفت بواحدة

أو أكثر من صفات الفئويّة الجشعة الأنانيّة الجاهلة، الفاقدة للالتزامات الوطنيّة أو القوميّة أو الأخلاقيّة، والتي ناءت بالحمل الذي ادّعت أنها قادرة على حمله بدأت تفقد شرعيّتها، ودخلت في صراع مع بعض مكوّنات مجتمعاتها المعارضة المكتوية بآثار فشل الدّولة الاقتصاديّ والاجتماعيّ والسّياسيّ. وبدلاً من أنْ تواجه سُلطات الدّولة الوضع بحوارٍ مع مجتمعها وإشراكه الفعليّ في تحمُّل جزء من المسؤوليّة، عمدت إلى مزيدٍ من البطش والتّهميش، وإلى مزيدٍ من التنازلات للخارج والاعتماد عليه. من هنا فإنّ تدمير المجتمع المدنيّ، وهو الوسيط بين الأفراد والدّولة والحامي للأفراد ضدّ تعسُّف الدّولة، أوجد قطيعةً بين الدّول ومواطنيها، وبذرَ بذور الفتن والاضطرابات العنيفة في المستقبل المنظور.

إنّ أيديولوجيّة «دولنة المجتمع» بإقحام الدّولة في كلّ صغيرة وكبيرة لم تؤدِّ إلى دولة قويّة متماسكة، إنّما أدّت إلى دولة ضعيفة أمام الخارج، عاجزة أمام الدّاخل، وحاملة لجرثومة تفتّتها وانهيارها في المستقبل. فالدّولة العربيّة الحديثة تُظهر ما لا تُبطن، وتُبطن ما لا تُظهر، وتعيش حياة الانفصام النّفسيّ والمسلكيّ، وتقدِّم المؤقّت على الدّائم، وبعد ذلك تستغرب تلك الدّولة وجود عنف سياسيّ وتطرّف، أو نشاطات غير علنيّة، أو احتماء مماثل لاحتمائها بالخارج، أو تقوقع خطر داخل القبيلة أو المذهب أو العرق أو الثّقافة. ذلك أنّ كلّ طُرق القانون والمؤسّسات غير المنحازة، والتّساوي في المواطنة والأمل في تداول السُّلطة قد سُدَّت في وجه الفرد والجماعات غير المستزلمة. ودخلت الدّولة العربيّة، من دون مبالغة ولا تجنٍ، في ظلام حضاريّ دامس، دمه الإحباط ولُحمته ضياع بوصلة الأهداف الوطنيّة والقوميّة. ويورد الباحث أربع خطوات مقترحة للخروج من هذا المأزق تتمثّل في: بناء نظام ديمقراطيّ سياسيّ اقتصاديّ اجتماعيّ ثقافيّ هو أحد أهمّ المداخل الكبرى؛ إقتناع المجتمع بأنّ حلّ معضلة علاقته بالدّولة لا يكمن في تدمير الدّولة أو حتّى إضعافها، إنّما يكمن في موازنة قوّتها والدّخول في ندّية معها؛ العمل من أجل تحقيق ما جاء في النّقطتين الأولى والثانية يحتاج أنْ يكون على المستوى الوطنيّ والقوميّ والدّوليّ لأنّ المستوى الوطنيّ من دون البُعد القوميّ والمظلّة العالميّة سيكون قابلاً للانتكاسة؛ العمل على المستوى القومي لا يزال هو المفتاح الرّئيسيّ الذي أثبتت العقود القليلة الماضية أنّ الاستغناء عنه سيقود الجميع إلى أتون الجحيم السّياسيّ والاقتصاديّ. كما أنّ العمل على المستوى المجتمعيّ الدّوليّ فيه إمكانات تضامنيّة خيّرة. أما العلاقة المحزنة للدّولة العربيّة بمجتمعها عبر التاريخ، والبائسة في الواقع الذي نعيش، فتمثّل سدًا منيعًا أمام النّهضة والتنمية العربيّتين. وسيحتاج الأمر لقيام ما يسميه البعض بالكتلة التّاريخيّة التي تضمّ أطيافًا مختلفة وأيديولوجيّات غير متماثلة وجماعات غير منصهرة، لكنّها تجتمع وتعمل من أجل هدف إنهاء هذه الإشكاليّة/ المفتاح حتّى تستطيع الانتقال بعد ذلك إلى أهدافها الأخرى التي قد تختلف حولها.

ب - «دولة المشاركة وسُلطة المؤسّسات»

د. كمال عبد اللطيف

من جانبه أشار **د. كمال عبد اللطيف** في ورقته إلى أنّنا لن نتمكّن من محاصرة تسلّطيّة الدّولة في العالم العربيّ إلاّ بمواجهتها بمطلب الإصلاح وسؤال الإصلاح في شموليّته. وقال: لا شكّ أنّ مجمل مشكلاتنا السّياسيّة في العالم العربيّ تعود إلى عدم قدرتنا على تشخيص ما جرى ويجري في بلداننا منذ انفراط المعسكر الاشتراكيّ، واختيار الولايات المتّحدة الأمريكيّة بناء قوّة ضغط عالميّة وداعمة للاحتلال الإسرائيليّ، كما تعود إلى عدم قدرتنا على الحسم في لحظات مواجهتنا للتحدّيات التي تواجهنا داخل الأقطار العربيّة جميعًا.

وأضاف د. عبد اللطيف أنّه إذا كان من المؤكّد أنّنا نواجه اليوم في عالمنا العربيّ وقائعَ وأحداث سياسيّة وتاريخيّة مركّبة ومعقّدة، فإنه يريد التّشديد في هذا السّياق على أهميّة مواجهة البهلوانيّات السّياسيّة التي يمارسها بعض حكامنا ونقدها. ذلك لتكسيرهم، بكثيرٍ من العنف المادّيّ والرّمزيّ، لمكاسب تاريخ من العمل السّياسيّ، وتاريخ من التضحيات السّياسيّة لمجتمعاتهم، ترضية لأطراف معيّنة، بحجج تمنح العوامل والتحدّيات الخارجيّة امتياز التحكّم في مسار التحوّل السّياسيّ في بلداننا، متناسين أنّ بناء المشروع الدّيمقراطيّ يجب أن يشكّل في ذاته هدفًا مركزيًّا يعلو على كثيرٍ من الخيارات التي تربط مصيرنا بتحليلات تدعو للعجب، تحليلات تبرر ما لا يقبل التّبرير إلاّ حينما نستغفل أنفسنا ونحتقر نخبنا وشعوبنا ونَنسى تضحياتها في التّاريخ. مقابل كلّ ذلك، نراعي مصالح فئات على حساب فئات أُخرى، متناسين أنّ الاحتكام في مجال الصّراع السّياسيّ يجب أنْ يكون مراعيًا لرهانات سياقات الحاضر وضغوطه، من دون إغفال لمكاسب التّاريخ التي نحرّض بواسطتها على رعاية التراكمات القادرة على توليد ما يطوّر مشروع الإصلاح الدّيمقراطيّ الحداثيّ في حاضرنا.

ولفت الباحث الأنظار إلى أنّه بدا لنا في مناسبات عدّة أنّ الوهن، الذي أصبح سمة ملازمة لواقعنا، يعكس شيخوخة أنظمتنا السّياسيّة العاجزة عن إيجاد المخارج التي تسعفها بتجديد نسغ الحياة في روحها. وشاخت أنظمة المعارضة بدورها وتجلّت مظاهر شيخوختها في التوجّهات التي ما تزال تحكم أنظمتها وقوانينها في العمل. ولعل هذه التنظيمات تستدعي بدورها تجديدًا يبلور صيغًا جديدة في العمل السّياسيّ المدنيّ.

وأوضح الباحث أنّ سعي كثير من تنظيمات الإسلام السّياسيّ اليوم لسدّ الفراغ القائم، ساهمَ في الزّخم التي تشهده بعض هذه التيّارات في أكثر من ساحة عربيّة، على الرغم من أنّها تستند في روحها العقائديّة لرؤية تتّسم بكثيرٍ من لغة الإطلاق المختلفة تمامًا عن لغة المواثيق السّياسيّة الوضعيّة والتّاريخيّة. وقال: إنّ شيخوخة أنظمتنا ونخبنا السّياسيّة لا تحيل إلى العجز وقلّة الحركة

فقط؛ بل إنّها تشير إلى الترهُّل أيضًا.

أهمّ النّقاط والأفكار التي طُرحت في المناقشة

- كون المجتمع المدنيّ في الأقطار العربيّة مرتبطًا بالعالم الخارجيّ من خلال المساعدات الأجنبيّة المقدّمة لمنظّمات هذا المجتمع، فإنّ الخشية كبيرة من تشكيل هذا المجتمع وَفْقَ الأجندات الخاصّة غير العربيّة.

- دور المثقّف: المثقّفون مقصّرون في أداء دورهم، سواء من حيث ما يقوم به بعضهم من تزيين للحكام، أو تبعية هذا البعض للعسكر على رأس السُلطة، أو من خلال الاستيزار والمستوزرين المنتشرين في المؤسّسات الثّقافيّة.

- هنالك حاجة لحركة عربيّة ثقافيّة قوميّة تعمل على وقف التّأثير الطّاغي للتيارات الهامشيّة والميول القُطريّة والطّائفيّة الضيّقة.

- الاستعانة بالشعارات الغربية ليس مثلبة. «دولة المؤسسات» شعار غربي، لكن المهم هو المضمون وليس الشعار. والمضمون يعني عدم غياب أو تغييب القانون وتعطيله، ويعني أيضًا عدم تغييب الرقابة الدستورية والإدارية وما إلى ذلك.

- تناول بعض المتحدّثين نماذج وممارسات مشرقة من ممارسات منظّمات المجتمع المدنيّ في بعض الأقطار العربيّة (الكويت وحقّ المرأة في الترشّح والانتخابات).

- ينطوي مشروع الشّرق الأوسط الكبير على تركيز في مسألتين: تمكين المرأة في المشاركة السّياسيّة؛ قوانين الأحـزاب. ويرى بعض المتحدّثين أنّ ذلك تسلّل إلى النّسيج العربيّ والأسرة العربيّة لتحقيق المشروع الكبير، من خلال الإيحاء – في موضوعة المرأة – أنّ التسلط اجتماعيّ وليس من الدّولة، وتتحالف من أجله القوى الدّينيّة وقوى التطرّف والرجعيّة.

- التّعليم والثّقافة لم يُتناولا في بحث «سلطة الدولة»، على أهمية ذلك، ومع ملاحظة أنّ التّعليم العربيّ تبرأ من دراسة التاريخ والتعمّق في أبعاده بجعله مادّة اختياريّة.

- تعليقًا على موضوع محاولة إيقاف تدمير التّماثيل البوذيّة في أفغانستان، تساءل المتحدث (د. محمد المسفر) عن محاولات، مثل هذه المحاولة، إزاء ما يحدث في فلسطين ولبنان والعراق من مجازر.

- المجتمع المدنيّ على المستوى العالمي تمّ الحسم فيه، فلماذا لا نفيد من تجاربنا ومشاركاتنا على هذا المستوى عمليًّا؟ فلا نعيد بحث المقاييس المتعلّقة بالمجتمع المدنيّ على انفراد في اللقاءات العربية، من مثل هذا اللقاء/ الندوة.

- عربيًّا، يوجد سلطة لكن لا يوجد دولة. والتحلّل المعياريّ (الادّعاء بشيء غير موجود) يؤكّد ذلك بشكل «حكم الأثرياء». وفي طرح مشابه أنّ الدّولة العربيّة تعيش حالة تمازج بين السُّلطة والثّروة لصالح الحاكم، وليس لصالح المجتمع والدّولة.

- دعوة لإسناد الجمعيّات العربيّة والإسلاميّة

في الخارج (المَهاجِر) وتفعيل التواصل معها، كجزء من منظّمات المجتمع المدنيّ.

■ اقتراح: تقديم كشف عن ممارسات عدد من منظّمات المجتمع المدنيّ العربيّة القائمة، التي تعاني من رفض القائمين عليها لتداول السُلطة داخل هذه المنظّمات نفسها.

اقتراحات للمنتدى

* القيام بجهود بحثيّة بالقراءة السوسيولوجيّة المعمّقة لما حدث في المجتمعات العربيّة من تحوّلات خلال الخمسين سنة الماضية، لكشف طبيعة التجمّعات والقوى التي تحول دون التحوّل إلى الدّيمقراطيّة الحقيقيّة.

* أنْ تخرج النّدوة والمنتدى بتوصيات نظريّة وعمليّة في مجال كيفيّة تحقيق نقلة نوعيّة من دولة السُلطة إلى سُلطة الدّولة.

* تخصيص ندوات تعنى باستعادة الحالة القوميّة، بعيدًا عن التعصُّب والانغلاق والادّعاء القطريّ بالقوميّة، يرافق ذلك طروحات عمليّة حول الحرّيّات الإعلاميّة، وتعزيز حقوق الإنسان، والموضوع الاقتصاديّ (أي تجمع قوميّ لا بدّ أنْ يبدأ بالاقتصاد والمشروعات المشتركة والاستثمارات). ■

جلسة العمل الرّابعة: المائدة المستديرة

المشاركون (الفبائيًا)

دة. بدريّة العوضي (الكويت)؛ **أ.د. عبدالله الكبيسي** (قطر)؛

د. مصطفى المصمودي (تونس)؛ **دة. منى مكرم عبيد** (مصر)

ترأست هذه الجلسة **دة. بدريّة العوضي**. وكان أوّل المتحدّثين **أ.د. عبـدالله الكبيسي**، الأستاذ في جامعة قطر، الذي تناول في مداخلته موضوع **«علاقة التصادم عبر المسار التّاريخيّ بين دولة السُلطة وسُلطة الدّولة»**؛ ممهّدًا بشرح مفهومي «سُلطة الدّولة» و «دولة السُلطة»، ومستعرضًا التّطوّر التّاريخيّ لهذين المفهومين. وجاء في حديثه: إنّ حالة التّنافس الاستعماريّ على معظم أجزاء العالم، التي تمخّضت عن ظاهرة الكشوف الجغرافيّة مع بداية القرن التّاسع عشر، أعادت من جديد الحياة لمفهوم دولة السُلطة لمصلحة المستعمِر، وأصبحت الأرض المستعمَرة وثرواتها ومواطنوها ملكًا له، ما أفقد الدّول الاستعماريّة منطقها الأخلاقيّ والإنسانيّ الذي أرست على أساسه نُظم الحكم فيها.

ورأى د. الكبيسي أنّ النّضال في العالم العربيّ،

الذي عانى أشدّ المعاناة من الاستعمار القديم، كان قويًا في محتواه القُطريّ، ضعيفًا في محتواه وامتداده القوميّ، الأمر الذي انعكس على التّكامل الوحدويّ للأقطار العربيّة. ثم لخّص مشاهد الواقع العربيّ منذ مطلع القرن العشرين بأربعة مشاهد كالآتي: نموّ المشاعر القوميّة الإسلاميّة؛ عودة الاستعمار الأمريكيّ البريطانيّ من جديد؛ الدّعم الغربيّ المطلق للكيان الصّهيونيّ؛ حيويّة الأمّة العربيّة وزخم تراثها الثّقافيّ.

من جانبها، أكّدت المتحدّثة الثّانية في الجلسة **دة. منى مكرم عبيد** ضرورة تفعيل معظم الدّساتير العربيّة عن طريق إنشاء مؤسّسات دستوريّة حقيقيّة، والفصل الفعليّ والعمليّ بين السُلطات الثلاث في الدولة. وتساءلت في معرض الإشارة إلى تدخُل السُلطة التّنفيذيّة في شؤون السُلطة التشريعيّة: كيف يمكن تحقيق استقلاليّة القضاء، مثلاً، ورئيس الدّولة هو الذي يعيّن القضاة؟

وطالبت دة. عبيد بتوفير أرضية صلبة للدّفاع عن الحقوق الاجتماعيّة والإنسانيّة؛ مشيرةً إلى أنّ المشكلة في الحالة العربيّة عمومًا هي في عدم وجود ثوابت لمقوّمات الدّولة التي يجب الالتزام بها وسط هذا التداول السّاخن لمسألة السُلطة.

وتحدّث **د. مصطفى المصمودي**، رئيس معهد ماسميديا بتونس، في ورقته التي حملت عنوان **«سلطة الدّولة السبرانيّة أو سلطة الدّولة في مجتمع المعلومات»** عن نظريّات الحكم السبراني وتطبيقاته، وما أنتجه من مفهوم جديد لعلاقات الدّولة بالمواطن وبالمؤسّسات الاقتصاديّة. كما تحدث عن صلاحيّات السُلطات المحليّة في ما يسمّى مدن المعرفة، وعن مساهمة الأحزاب السّياسيّة في تعزيز الدّيمقراطيّة المباشرة، والدّور الجديد للدّولة، كما حدّدته القمّة العالميّة لمجتمع المعلومات من حيث تطوير مفهوم المسؤوليّات السياسيّة، وضمان الأمن السبراني، وتركيز الحكومة الإلكترونيّة، والإشراف على برامج الشّراكة. وتناول في حديثه أيضًا أثر تطبيقات الحكومة الإلكترونيّة في المنطقة العربيّة، وانتهى إلى أنّ ما يشهده العالم من تحوّلات فرض مجموعة من الواجبات على الدّولة وعلى مؤسّساتها، حتّى تكون قادرة على مواكبة الأحداث وتلبية الحاجات المتجدّدة في جميع المجالات. وبالتّوازي مع هذه المضاعفات، تأكّد توجُه الدّولة الحديثة نحو ديمقراطيّة القرار من خلال تقاسم الأدوار بين السُلطة المركزيّة والإدارة المحليّة، وبين هياكل الدّولة والمؤسّسات العموميّة والقطاع الخاصّ والمنظّمات غير الحكوميّة. لذلك فإنّه لا يمكن تكريس مجتمع المعلومات من دون تأثير على نظام الحكم. ولا يعني ذلك نهاية عصر الدّولة وانحسار سلطتها؛ إذ إنّ هذه الدّولة لن تفقد كيانها ولن تتخلّى عن سلطاتها الأساسيّة الثّلاث. فالإدارة الوطنيّة هي الوحيدة القادرة على تلبية التطلّعات الدّيمقراطيّة. ولن تكون هنالك حكومة عالميّة إلكترونيّة، وإنّما مساهمة لكلّ حكومة في الإدارة العالميّة للإنترنت، وفي تصوّر ملامح المجتمع الإعلاميّ العالميّ.

الجلسة الختامية

كلمة سموّ الأمير الحسن بن طلال

اختُتِمَت النّدوة بكلمة لسموّ الأمير الحسن بن طلال، جاء فيها:

«أمّا بعد؛ نعم، أمّا بعد ثلاث جلسات عمل ومائدة مستديرة وجلسةٍ افتتاحيّة، ما الحصادُ أو المحصّلة أو الزّبدة؟ سيأتي التّحليلُ والتّفكيكُ والنّقدُ والتّقويمُ بعد التّأمّل والتّدبر والتّفكّر، وسيصدرُ كتابُنا بأوراقنا الرّئيسيّة ومناقشاتنا في حينه. لكنْ لا بدّ الآن من نظرةٍ أوليّة على حصيلة عملنا، بعد أنْ نمنا ونحنُ نحلُمُ بالسلطة وأبعادها وذيولها، واستيقظنا على إيحاءاتها وإيماءاتها وتداعياتها.

نعترفُ أوّلاً بأنّ موضوعنا أثارنا واستفزّنا. ويبدو أنه ضَرَبَ على أوتار حساسةٍ في نفوسنا. وإلاّ كيف نفسّرُ هذا التّفاعل الموصول مع الموضوعات التي أبرزتها الأوراق المقدّمة من أربعة مفكّرين أجلاء؟

لعل النّقطةَ الجوهريّة الأولى التي أُثيرت هي ثنائيّة السلطة الدّينيّة والسلطة السّياسيّة. أتساءل: أما آن الأوان لتجاوز هذه الثنائيّة وغيرها من الثنائيّات التي شرذمتنا وفرّقتنا؟ أهي المحنة الكبرى التي ابتُلينا بها منذ قرونٍ وقرون؟ ممَّ نستمدُّ شرعيّة السلطة؟ من الأرض أم من السماء؟ أليس الأجدى أن تتعانق الأرض مع السماء؟ هل صحيح أنّ السلطة في المجتمع الإسلاميّ لا بدّ أنْ تصطبغَ -ولو ظاهريًّا- بصبغةٍ من الشرعيّة الدّينيّة؟

أرى – كما قلتُ غيرَ مرّة – أنّ المشكلة ليست في ركود الفكر؛ وإنّما في غياب الفعل القادر على الفصل بين دوائر النّفوذ السّياسيّة والاجتماعيّة من جهة، والدّينيّة من جهةٍ أُخرى، بتحديد المساحات المعياريّة لكلٍّ منهما. والمعنى: أنّ نتوصّل – من خلال سيرورةٍ يمكن للمنتدى أن يكون جُزءًا أساسيًّا فيها – إلى معادلةٍ حضاريّةٍ لكلّ من الدّين والدّولة. والجامعُ بينهما هو القاعدة الفقهيّة: المصلحةُ غايةُ الحكم.

ثمّ إنّ السُّلطة سُلطات. فكيف تتعايشُ السلطات المختلفة معًا؟ وحتّى لا تتغوّلَ هذه السلطات وتَفْسُدَ وتُفسِد لا بدّ من ضوابط وكوابح. ولعل التقدّم يكمن في إيجاد «المعادلة الذّهبيّة» بين النّزوع للسيطرة واحترام الآخر؛ أي بين الأنانيّة والغيريّة.

نقطةٌ جوهريّةٌ أُخرى هي مرجعيّة السلطة: الأخلاقيّة والأيديولوجيّة. وهذه نقطةٌ حساسةٌ إلى أبعد الحدود، وبحاجةٍ إلى المزيد من الحوار النّاضج والمشاركة الفاعلة من المجتمع بأكمله. فلا يمكن التوصُّل إلى الوعي الجمعيّ والنّضج المجتمعيّ إلاّ على مراحل تكون فيها السّيادة للحرّيّة المسؤولة.

وهنالك أيضًا التسلُّطُ، حين تصبحُ السلطة استبدادًا؛ فتحتكر الجاه والسُّلطان والنّفوذ، وتنتهي بتهميش مجتمعها وابتلاعه، ومن ثمّ نصبحُ كلُّنا قبائل نجني الغلّة والغِلال من السُّلطة والسُّلطان. وهكذا تكبحنا القبليّة وتقزّمنا، ونؤولُ إلى نواد إقصائيّة تُقصي «الآخر» ولا تكون احتوائيّةً إلاّ لأصحاب المصالح المشتركة. حتّى النّقابات تتسلّط وتقمع الفرديّة وانطلاق الأفراد.

ولعلّ الموضوع الأكبر والأعمّ هو موضوع الإصلاح السّياسيّ في الوطن العربيّ، ومحاولة تحقيق المشروع الدّيمقراطيّ باعتباره البديل القادر على تجاوز دولة التسلُّط السّائدة فيه. والحقّ أنّ الهدف الدّيمقراطيّ المنشود لا يتعلّق فقط بالدّولة وأساليبها في ممارسة السلطة، وإنّما ينسحب كذلك على مؤسّسات المجتمع المدني التي يؤمّل أن تُمارسَ النّقد الحكيم. والامتحان الحاسم للدّيمقراطيّة والدّمقرطة يأتي دومًا حينَ يحين الوقت لتداول السلطة. تداول السلطة بسلاسةٍ وسلامٍ ونضجٍ هو المحكّ.

إنّه لمؤسف حقًّا أنْ تكبحَ الدّولة العربيّة مجتمعها المدنيّ؛ فلا يتنفّسُ ولا يتحرّك إلاّ من خلالها، بدلاً من أنْ يتمّمها ويكمّلها ويقوّمها وقت الضّرورة. وقد يكونُ هذا الكبح تعسفيًّا عنيفًا، أو قد ينشأُ عن نظامٍ أبويٍّ رعويّ.

ها قد وقعنا مرّةً أُخرى في فخّ التّشخيص والتّحليل النّاعم المسالم. ويبقى السّؤال يتأرجح فوق رؤوسنا: ما العمل؟ ما دور المفكّرين والمثقّفين؟ وما دور مُنتدانا؟ المسألة أكبر من ندوةٍ أو ندوتين، ومؤتمرٍ أو مؤتمرين، وكتابٍ أو كتابين. أقترحُ تشكيل «لجنة حكماء» دائمة في رحابِ المنتدى تدرسُ هذه القضايا بعمق، وتضعُها بأسلوبٍ ملائم أمام الرّعيّة والرّعاة، وترصدُ آخر المستجدّات، وتتابع الأمور حتّى تنتقل من دائرة القولِ إلى دائرة الفعل. فنحنُ نحترمُ الكَلِم؛ لكنْ ما فائدتهُ إن لم يؤثّر في الأنفس والذّهنيّات، ومن ثمّ يغيّرنا إلى الأفضل، وينقلنا إلى مجال الفعل البليغ؟ ما فائدته إنْ لم يؤدّ إلى السلطة المعنويّة، حين تتجرّد الأنفس من الأهواء والسفاسف، ومن الإغراءات والنّزوات فتصبحُ كِبارًا؟ أتحدّث هنا عن سلطة القيم والمعايير التي تسمو بنا وتصقلنا وتهذّبُنا.

لسنا بحاجةٍ إلى بلسمٍ أو سحر؛ وإنّما نحتاجُ إلى الإرادة الصُّلبة والعمل الدؤوب الذي لا يكلّ أبدًا. وإذ نستقبلُ ربع القرن الثّاني من منتدانا، فلا خيرَ فينا إنْ لم نتصدّ للقضايا الكبرى والمشروعات الطّموحة. لا خيرَ فينا إنْ لم نتّجه صوب الكُليّات، مع فهمٍ عميق للجُزئيّات.

إذًا، دعونا نفعّل مُنتدانا بتفعيل أعضائه وتفعيل المجتمعات التي تنتظر التّغيير النّوعيّ. ولنبدأ بحشد الآراء حول موضوع ندوتنا الفكريّة القادمة؛ ومن ثمّ نختار المكان والزّمان.» ■

أسماء المشاركين في
الندوة الفكريّة « دولة السّلطة وسلطة الدّولة»
٢٤-٢٦/١/٢٠٠٧؛ الدّوحة/قطر

[الترتيب: ألفبائيًا]

١-إبراهيم الجوير

أستاذ علم الاجتماع/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض – المملكة العربية السعودية

٢- إبراهيم بدران

مساعد رئيس جامعة فيلادلفيا /عميد كليه الهندسة

عمّان – الأردنّ

٣- إبراهيم بن حمود الصبحي

شاعر وأديب وكاتب

مسقط – سلطة عُمان

٤- إبراهيم عبد الرحيم الهيدوس

رئيس المجلس البلدي المركزي

الدوحة – قطر

٥- أحمد سعيد نوفل

أستاذ العلوم السياسية/ جامعة اليرموك

عمّان – الأردنّ

٦- أحمد عبد الملك

خبير وباحث إعلامي

الدوحة – قطر

٧- أحمد علي عتيقة

الممثل المقيم ورئيس بعثة مؤسسة التمويل الدولية – مجموعة البنك الدولي

عمّان – الأردن

٨- أسامة الأنصاري

رئيس مجلس أمناء شبكة العلماء والتقانيين السوريين في المغترب

دمشق – سورية

٩- أسعد العزوني

محرر الشؤون الدبلوماسية / جريدة العرب اليوم

عمّان – الأردنّ

١٠- أسعد عبد الرحمن

رئيس مجلس الإدارة /المدير العام

هيئة الموسوعة الفلسطينية

عمّان – الأردنّ

١١- إسماعيل الزبري

مدير عام مؤسسة التعاون

عمّان – الأردنّ

١٢- أغادير جويحان

مديرة مكتب سمو الأميرة تغريد محمد والسكرتيرة التنفيذية لسمو الأمير محمد بن طلال

عمّان – الأردنّ

١٣- أمير عبدالله خليل

مستشار التعاون الدولي

الهيئة العربية للاستثمار والإنماء

الخرطوم – السودان

١٤- إيهاب سرور

نائب رئيس المجلس المصري الأوروبي

القاهرة – جمهورية مصر العربية

١٥- أيوب أبو دية

رئيس جمعية حفظ الطاقة واستدامة البيئة

عمّان - الأردنّ

١٦- بدرية العوضي

محامية ومستشارة قانونية وبيئية

الصفاة - دولـة الكويت

١٧- تقي البحارنة

رجل أعمال / كاتب وشاعر

المنامة - مملكة البحرين

١٨- ثامر العاني

مستشار بالإدارة الاقتصادية /جامعة الدول العربية

ميدان التحرير/ الأمانة العامة/جامعة الدول العربية

القاهرة - جمهورية مصر العربية

١٩- جاسم النصر

قسم الاجتماع - كلية الآداب والعلوم / جامعة قطر

الدوحة - قطر

٢٠- جواد الحمد

مدير عام مركز دراسات الشرق الأوسط

عمّان - الأردنّ

٢١- جواد كاظم عصفور

مدير المعاملات المصرفية الإسلامية

بنك كرديت أكريكول اندوسويز

المنامة - مملكة البحرين

٢٢- حسن أبو نعمة

رئيس المعهد الملكي للدراسات الدينية

عمّان - الأردنّ

٢٣- حسن علي النعمة

مستشار للشؤون الثقافية بمكتب الأمير

قطر

٢٤- حسن علي الأنباري

مستشار الشؤون الدولية في المعهد الدبلوماسي

عمّان - الأردنّ

٢٥- حمد بن عبدالله الريامي

رجل أعمال

مسقط - سلطنة عُمان

٢٦- حمدي الطباع

رئيس جمعية رجال الأعمال

عمّان - الأردنّ

٢٧- حيدر أبو بكر العطاس

رئيس وزراء اليمن سابقاً

جدة - المملكة العربية السعودية

٢٨- خالد الشقران

مدير وحدة الدراسات والبحوث/مركز الرأي للدراسات

عمّان - الأردنّ

٢٩- خالد فهد الخاطر

مدير المركز الدولي للتحليلات الاستراتيجية

الدوحة - قطر

٣٠- خليفة محمد بخيت الفلاسي

شركة الكونية للاستثمار

سفير سابق

دبي - الإمارات العربية المتحدة

٣١- زهدي الخطيب

مستشار ثقافي /سفارة دولة الإمارات في عمّان

عمّان - الأردنّ

٣٢-زهير الخوري

رئيس مجلس إدارة شركة المستثمرون العرب المتحدون

عمّان - الأردنّ

٣٣- سالم الغيلاني

رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير مجلة السراج

مسقط - سلطنة عُمان

٣٤- سامي الخزندار

نائب رئيس جامعة فلسطين الدولية

عمّان - الأردنّ

٣٥- سامي قموة

رئيس مجلس إدارة

شركة الأردن الدولية للتأمين

عمّان - الأردنّ

٣٦- سعيد عبدالله حارب المهيري

مستشار مدير جامعة الإمارات

العين - دولة الإمارات العربية المتحدة

٣٧- سعيد محمد الصقلاوي

الرئيس التنفيذي /مكتب بيسان للاستشارات الهندسية

روي - سلطنة عُمان

٣٨- سمير الحباشنة

وزير الداخلية الأسبق/عضو مجلس الأعيان

عمّان - الأردنّ

٣٩- سيف المسكري

عضــو مجلس الدولـة

مسقط - سلطنة عُمان

٤٠- طارق أحمد حجي

خبير بترول دولي/ كاتب ومؤلف

القاهرة - جمهورية مصر العربية

٤١- طالب الصريع

مدير الجامعة العربية المفتوحة/فَرْع عمّان

عمّان - الأردنّ

٤٢- طاهر المصري

مفوض جامعة الدول العربية لشؤون مؤسسات المجتمع المدني/ رئيس وزراء سابق

عمّان - الأردنّ

٤٣- طاهر كنعان

المدير العام للمركز الأردني للأبحاث وحوار السياسات الوطنية

زهران - الأردنّ

٤٤- الطيب زين العابدين محمد علي

أمين عام مجلس التعايش الديني السوداني

الخرطوم - السودان

٤٥- عامر البشير

نائب أمين أمانة عمّان الكبرى

عمّان - الأردنّ

٤٦- عبد الحسين شعبان

مستشار قانوني وباحث

الجناح/شارع عدنان الحكيم/بناية الزهور/الطابق السادس

بيروت - لبنان

٤٧- عبد الحميد إسماعيل الأنصاري

أستاذ بكلية القانون/ جامعة قطر

عميد كلية الشريعة والقانون السابق

الدوحة - قطر

٤٨- عبد الحميد سيف الحدي

عضو المجلس الاستشاري / عضو اللجنة الدائمة

صنعاء - الجمهورية اليمنية

٤٩- عبد السلام المجالي

عضو مجلس أعيان/ رئيس مجلس إدارة الأكاديمية الإسلامية للعلوم / رئيس وزراء سابق

عمّان - الأردن

٥٠- عبد العزيز بن عبدالله بن تركي السبيعي

عضو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربي

الدوحة - قطر

٥١- عبد العزيز حجازي

رئيس مجلس وزراء مصر السابق

القاهرة - جمهورية مصر العربية

٥٢- عبد العزيز عبد القادر المغيصيب

جامعة قطر

الدوحة - قطر

٥٣-عبد القادر الذهب

أمين عام مجلس الشورى

السيب - سلطنة عُمان

٥٤- عبد الكريم الملاحمة

رئيس مجلس إدارة شركة توزيع الكهرباء المساهمة العامة

عمّان - الأردنّ

٥٥- عبدالخالق عبدالله

أستاذ جامعي / جامعة الإمارات العربية

العين - دولة الإمارات العربية المتحدة

٥٦- عبدالرؤوف التل

محامي

إربد - الأردنّ

٥٧- عبدالله العليان

كاتب وباحث

ظفار - سلطنة عُمان

٥٨- عبدالله الكبيسي

أستاذ بكلية التربية - جامعة قطر

الدوحة - قطر

٥٩- عبدالله بشارة

رئيس المركز الدبلوماسي للدراسات

الصفاة - دولة الكويت

٦٠- عبدالله بن الصالح العثيمين

أستاذ قسم التاريخ / جامعة الملك سعود

الرياض - المملكة العربية السعودية

٦١- عبدالله عباس أحمد

نائب مدير جامعة الإمارات لشؤون الطلبة سابقاً

العين- دولة الإمارات العربية المتحدة

٦٢- عثمان هاشم

وزير المالية والاقتصاد الوطني سابقاً/مستشار مستقل

الخرطوم - السودان

٦٣- عدنان أبو عودة

كاتب

عمّان - الأردنّ

٦٤- عدنان السيد حسين

أستاذ كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية/الجامعة اللبنانية

بيروت- لبنان

٦٥- عدنان بدران

عضو مجلس أعيان/رئيس وزراء سابق

رئيس لجنة إدارة منتدى الفكر العربي

عمّان - الأردنّ

٦٦- عدنان شهاب الدين

المدير التنفيذي - مدير إدارة الأبحاث/منظمة الدول المصدرة للبترول(أوبك) الأسبق

فيينا- النمسا

٦٧- عز الدين القرقني

أستاذ في المدرسة الوطنية للإدارة

الجمهورية التونسية

٦٨- عز الدين عمر موسى

أستاذ التاريخ الإسلامي

جامعة الملك سعود

الرياض – المملكة العربية السعودية

٦٩- عصام الجلبي

مستشار اقتصادي/ وزير الطاقة الأسبق في العراق

عمّان – الأردنّ

٧٠- عصام ملكاوي

باحث في مركز الدراسات الاستراتيجية

كلية الدفاع الوطني

عمّان – الأردنّ

٧١- علي المشاط

مستشار بجامعة أبحاث الفضاء الدولية

فرنسا

٧٢- علي خليفة الكواري

كاتب ومفكر

الدوحة – قطر

٧٣- علي عتيقة

أمين عام منتدى الفكر العربي الأسبق

عمّان – الأردنّ

٧٤- علي غندور

رئيس مجلس إدارة شركة الاستثمارات الدولية(ارام) وشركة الاستثمار السياحي الأردني

عمّان – الأردنّ

٧٥- علي محمد فخرو

عضو مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث

المنامة – مملكة البحرين

٧٦- عمر الرزاز

مدير عام مؤسسة الضمان الاجتماعي

عمّان – الأردنّ

٧٧- علي الشاوي

أستاذ في جامعة قطر

الدوحة – قطر

٧٨- عمر هاشم خليفتي

رئيس مجلس إدارة / الرئيس التنفيذي لشركة زكا

جدة – المملكة العربية السعودية

٧٩- غسان بهجت التلهوني

رجل أعمال

عمّان – الأردنّ

٨٠- فتحي درادكة

محاضر غير متفرغ /جامعة اليرموك

عمّان – الأردنّ

٨١- فخري صالح نواهضة

رئيس جمعية النُقاد الأردنيين

عمّان – الأردنّ

٨٢- فهد بن عبدالرحمن بن حمد آل ثاني

محامي وأستاذ مشارك في الجيوبوليتيكس وكاتب مقالة أسبوعية سياسية ومحلل سياسي ورجل أعمال

الدوحة – قطر

٨٣- فهد محمد الراشد

رجل أعمال

السالمية – دولة الكويت

٨٤- فهمي هويدي

كاتب وصُحافي

القاهرة – جمهورية مصر العربية

٨٥- فواز شرف

وزير وسفير سابق

عمّان – الأردنّ

٨٦- فيصل الفهيد

رئيس مجلس إدارة شركة فيصل المسعود للتجارة العامة

الصفاة - دولة الكويت

٨٧- كمال شفيق نجاتي

استشاري تطوير مشاريع

عمّان - الأردنّ

٨٨- كمال عبد اللطيف

شعبة الفلسفة /كلّيّة الآداب/جامعة محمّد الخامس - أكدال المغرب

٨٩- ليلى شرف

عضو مجلس أعيان/وزيرة سابقة

عمّان - الأردنّ

٩٠- ليما نبيل

إعلامية

عمّان - الأردنّ

٩١- محسن العيني

رئيس وزراء اليمن الأسبق

القاهرة - جمهورية مصر العربية

٩٢- محسن مرزوق

المنسق التنفيذي العام لمركز الكواكبي

تونس

٩٣- محمد الرميحي

أستاذ اجتماع - جامعة الكويت

الصفاة - دولة الكويت

٩٤- محمد الشرقاوي

مدير عام دار ورد للنشر والتوزيع

عمّان - الأردنّ

٩٥- محمد الطيب

رئيس لجنة حقوق الإنسان والحريات والمجتمع المدني بمجلس الشورى اليمني

صنعاء - الجمهورية اليمنية

٩٦- محمد الفنيش

مستشار اقتصادي

الولايات المتحدة الأمريكية

٩٧- محمد أحمد حمدان

مستشار الجامعة العربية المفتوحة

وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأسبق

عمّان - الأردنّ

٩٨- محمد علي النقي

رئيس مجلس إدارة شركة الصناعات الكويتية

الصفاة - دولة الكويت

٩٩- محمد عبد الرحيم كافود

نائب رئيس جامعة قطر

الدوحة - قطر

١٠٠- محمد فرج دغيم

أستاذ اللغة العربية في جامعة قاريونس

بنغازي - ليبيا

١٠١- محمد نعمان جلال

مستشار الدراسات الاستراتيجية

مركز البحرين للدراسات والبحوث

مملكة البحرين

١٠٢- محمد يحيى العاضي

أستاذ الاقتصاد/ كلية التجارة والاقتصاد/جامعة صنعاء

صنعاء - الجمهورية اليمنية

١٠٣- محمود أحمد القيسية

مستشار تربوي بديوان الرئاسة لأنجال صاحب السمو رئيس دولة الإمارات

دولة الإمارات العربية المتحدة

١٠٤- محمود عبد العزيز

مصرفي مصري

القاهرة - جمهورية مصر العربية

١٠٥- محيي الدين المصري

أستاذ في جامعة عمّان الأهلية

عمّان - الأردن

١٠٦- مصطفى المصمودي

رئيس الجمعية التونسية للاتصال ومدير مركز ماسميديا

تونس - الجمهورية التونسيه

١٠٧- مصطفى بوطورة

سفير الجزائر لدى الجمهورية العراقية

السفارة الجزائرية في عمّان- الأردنّ

١٠٨- منى مكرم عبيد

أستاذة / قسم العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية

القاهرة - جمهورية مصر العربية

١٠٩- موسى بريزات

مندوب الأردن الدائم بجنيف

جنيف - سويسرا

١١٠- ناصر النصر

الوفد الدائم لدولة قطر لدى الأمم المتحدة

لندن - المملكة المتحدة

١١١- ناصيف نصّار

أستاذ جامعي

بيروت - لبنان

١١٢- نعيمة الشايجي

مستشارة دولية في التنمية المتكاملة

الصفاة - دولة الكويت

١١٣- هالة صبري

قسم إدارة الأعمال / كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

جامعة الزيتونة

عمّان - الأردنّ

١١٤- هدى الزعبي

رئيسة مؤسسة جمعية الثقافة العربية

السويد

١١٥- هشام الخطيب

رئيس هيئة تنظيم قطاع الكهرباء

عمّان - الأردنّ

١١٦- هشام غَصِيب

رئيس جامعة الأميرة سميّة للتكنولوجيا

عمّان - الأردنّ

١١٧-هُمام غَصِيب

مستشار سمو الأمير الحسن بن طلال

مدير إدارة الدراسات والبرامج/منتدى الفكر العربي

عمّان - الأردنّ

١١٨- وجيهة صادق البحارنة

نائب رئيس جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

رئيس جمعية البحرين النسائية

المنامة - مملكة البحرين

١١٩- وسام الزهاوي

أمين عام منتدى الفكر العربي

عمّان - الأردنّ

١٢٠- يوسف الحسن

مدير عام المعهد الدبلوماسي

أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

١٢١- يوسف محمد عبيدان

جامعة قطر

الدوحة - قطر

١٢٢- السيد يوكيو ساتو

سفير

طوكيو - اليابان

برنامج العمل

اليوم الأول: الأربعاء ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧

[illegible]

١٠:٣٠ — ١١:٣٠ الجلسة الافتتاحية

- عريف الحفل: أ. **عبد العزيز محمد العبد الغني** (قطر)
- كلمة سعادة النائب الأوّل لرئيس الوزراء وزير الخارجيّة **الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني**
- كلمة سموّ رئيس المنتدى وراعيه **الأمير الحسن بن طلال**

١١:٣٠ — ١٢:٠٠ استراحة

١٢:٠٠ — ١٤:٠٠ جلسة العمل الأولى

١٢:٠٠ — ١٢:٣٠ رئيس الجلسة: د. **عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي** (قطر)

الورقة الرَئيسيَة (١): د. ناصيف نصَار (لبنان)

"سلطة الدَولة بين المبدأ والواقع"

١٢:٣٠ — ١٤:٠٠ **مناقشــة**

١٤:٠٠ — ١٦:٠٠ غداء

١٦:٠٠ — ١٨:٠٠ جلسة العمل الثانية

١٦:٠٠ — ١٦:٣٠ رئيس الجلسة: د. **عبد الله بن الصالح العثيمين** (السعوديّة)

الورقة الرَئيسيَة (٢): أ. **فهمي هويدي** (مصر)

"خصائص السُلطة في التَصوّر الإسلاميّ"

١٦:٣٠ — ١٨:٠٠ **مناقشــة**

٢٠:٣٠ — عشاء

اليوم الثاني: الخميس ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧

[illegible]

٩:٣٠ — ١٣:٠٠ جلسة العمل الثالثة

رئيس الجلسة: **د. عبد العزيز حجازي** (مصر)

٩:٣٠ — ١٠:٠٠ **الورقة الرئيسيَة (٣): د. علي فخرو** (البحرين)

"الدَوْلة التَسلَطيَة ضدّ مجتمعها"

١٠:٠٠ — ١٠:٣٠ **الورقة الرئيسيَة (٤): د. كمال عبد اللطيف** (المغرب)

"دوْلة المشاركة وسلطة المؤسَسات"

١٠:٣٠ — ١١:٠٠ استراحة

١١:٠٠ — ١٣:٠٠ **مناقشــة**

١٣:٣٠ — ١٦:٠٠ غداء

١٦:٠٠ — ١٨:٠٠ جلسة العمل الرابعة/ مائدة مستديرة

رئيسة الجلسة: - **دة. بدريّة العوضي** (الكويت)

المشاركون: (أَلفبائيًا)

- د. **عبدالله الكبيسي** (قطر)
- د. **مصطفى المصمودي** (تونس)
- دة. **منى مكرم عبيد** (مصر)

١٨:٠٠ — ١٨:٣٠ استراحة

١٨:٣٠ — ١٩:٠٠ الجلسة الختامية

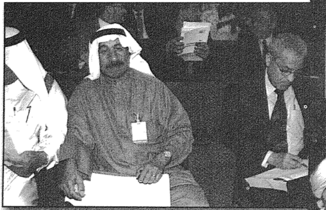
رئيس الجلسة: **سموّ الأمير الحسن**

٢٠:٣٠ — عشاء

السّجلّ المصوَّر





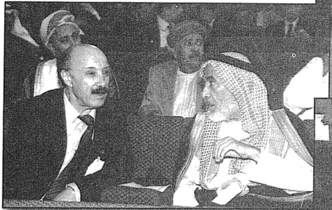















اجتماع لجنة إدارة المنتدى

رقم (١/٢٠٠٧)

الدوحة؛ ٢٠٠٧/١/٢٣

عقدت لجنة إدارة المنتدى اجتماعها الأول لعام ٢٠٠٧ في الساعة التاسعة من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٧/١/٢٣ في فندق شيراتون/ الدوحة. وحضر الاجتماع السادة الآتية أسماؤهم:

١- الدكتور عدنان بدران	رئيس اللجنة
٢- سيادة الشريف فواز الشرف	عضو اللجنة
٣- الدكتور إيهاب سرور	عضو اللجنة
٤- الدكتور عدنان السيد حسين	عضو اللجنة
٥- الأستاذ حسن الأنباري	عضو اللجنة
٦- الأستاذ وسام الزهاوي	أمين عام المنتدى؛ عضو اللجنة

كما حضر الاجتماع من الأمانة العامة للمنتدى:

١- الدكتور هُمام غَصيب	مدير إدارة الدراسات والبرامج
٢- السيد أحمد الخطيب	مدير الشؤون الإدارية والمالية
٣- الآنسة هنيدا القرالة	أمينة سر اللجنة

تدارست اللجنة جميع البنود الواردة في جدول أعمالها، واتخذت القرارات المناسبة بشأنها. وكان بين هذه البنود:

- مسوّدة تقرير الأمين العام السنوي لعام ٢٠٠٦.
- حصاد العام ٢٠٠٦ (السنة الفضية).
- مفكرة المنتدى [الأولية] للعام ٢٠٠٧.
- مذكرتان بعنوان «منتدى الفكر العربيّ: ماذا بعد سنته الفضّيّة؟» و«نحو استراتيجية مستقبلية لمنتدى الفكر العربيّ للسنوات الخمس المقبلة [مسودة أولية]» مقدّمتان من سمو رئيس المنتدى وراعيه [أنظر ص ٧٤-٧٩ من هذا العدد.]
- «خُطّة» مقدمة من الدكتور عدنان السيد حسين لتنشيط العلاقة بين أعضاء المنتدى وتفعيلها.
- مذكرة حول الصفة القانونية للمنتدى، وبحث إمكانية انضمامه إلى مظلة الجامعة العربية.
- الموقف المالي للمنتدى.
- حملة لتنمية الموارد وتفعيل العضوية المؤازرة للمنتدى وتعزيزها.
- المرشحون للعضوية العاملة.

الاجتماع الثلاثون لمجلس أمناء المنتدى

الدوحة؛ ٢٠٠٧/١/٢٥

عقد مجلس أمناء المنتدى اجتماعه الثلاثين برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، رئيس المجلس، في الساعة الثامنة من مساء يوم الخميس الموافق ٢٠٠٧/١/٢٥ في فندق شيراتون/ الدوحة. وحضر الاجتماع السادة أعضاء المجلس الآتية أسماؤهم:

١- الأستاذ طاهر المصري
٢- الدكتور عدنان بدران
٣- الأستاذ حيدر أبو بكر العطاس
٤- الدكتورة بدرية العوضي
٥- الشريف فواز شرف
٦- الدكتور مصطفى بو طورة
٧- الدكتور أسامة الأنصاري
٨- الدكتور عز الدين عمرو موسى
٩- المهندس سعيد محمد الصقلاوي
١٠- الأستاذ حسن الأنباري
١١- المهندس عصام الجلبي
١٢- الدكتور أسعد عبد الرحمن
١٣- الدكتور محمد فرج الدغيم
١٤- الدكتور عدنان السيد حسين
١٥- الدكتور إيهاب السرور
١٦- الأستاذ زهير الخوري
١٧- الدكتورة وجيهة البحارنة
١٨- الدكتور عبد الله عباس
١٩- الأستاذ وسام الزهاوي/ أمين عام المنتدى

وغاب عن الاجتماع السادة أعضاء المجلس الآتية أسماؤهم:

١- الدكتور عبد العزيز الدخيل
٢- الأستاذ إبراهيم شبوح
٣- الدكتور الشريف بسيوني
٤- الدكتورة فاطمة الحبابي
٥- الأستاذ ناصر عبد العزيز النصر

كما حضر الاجتماع من الأمانة العامة للمنتدى:

١- الدكتور هُمام غَصيب	مدير إدارة الدراسات والبرامج
٢- السيد أحمد الخطيب	مدير الشؤون الإدارية والمالية

تدارس المجلس جميع البنود الواردة في جدول أعماله، واتخذ القرارات المناسبة بشأنها. وكان بين هذه البنود:

- مسوّدة تقرير الأمين العام السنوي لعام ٢٠٠٦.
- ترشيح أمين عام جديد واختياره للفترة ٢٠٠٧/٣/١ - ٢٠١٠/٢/٢٨.
- حصاد العام ٢٠٠٦ (السنة الفضية).
- مفكرة المنتدى [الأولية] للعام ٢٠٠٧.
- مذكرتان بعنوان «منتدى الفكر العربيّ: ماذا بعد سنته الفضّيّة؟» و«نحو استراتيجية مستقبلية لمنتدى الفكر العربيّ للسنوات الخمس المقبلة [مسودة أولية]» مقدّمتان من سمو رئيس المنتدى وراعيه [أنظر ص ٧٤-٧٩ من هذا العدد.]
- «خُطّة» مقدمة من الدكتور عدنان السيد حسين لتنشيط العلاقة بين أعضاء المنتدى وتفعيلها.
- مذكرة حول الصفة القانونية للمنتدى، وبحث إمكانية انضمامه إلى مظلة الجامعة العربية.
- الموقف المالي للمنتدى.
- حملة لتنمية الموارد وتفعيل العضوية المؤازرة للمنتدى وتعزيزها.
- المرشحون للعضوية العاملة.

الاجتماع السنوي التاسع عشر للهيئة العمومية للمنتدى

الدوحة؛ ٢٠٠٧/١/٢٦

عقدت الهيئة العمومية لمنتدى الفكر العربي اجتماعها السنوي التاسع عشر في الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٧/١/٢٦ في فندق شيراتون/الدوحة.

ابتـدأ الاجتماع بالترحيب بأعضاء المنتدى الجدد الذين انضموا إلى العضوية العاملة للمنتدى خلال عام ٢٠٠٦.

كان عدد الحضور ٧٥ عضوًا من أعضاء الهيئة تدارسوا جميع البنود الواردة في جدول أعمالها، واتخذوا القرارات المناسبة بشأنها. وكان بين هذه البنود:

- مسوّدة تقرير الأمين العام السنوي لعام ٢٠٠٦.
- حصاد العام ٢٠٠٦ (السنة الفضية).
- مفكرة المنتدى [الأولية] للعام ٢٠٠٧.
- مذكرتان بعنوان «منتدى الفكر العربيّ: ماذا بعد سنته الفضّيّة؟» و«نحو استراتيجية مستقبلية لمنتدى الفكر العـربيّ للسـنوات الخمس المقبـلة [مسودة أولية]» مقـدّمتـان من سمو رئيس المنتدى وراعيه [أنظر ص ٧٤-٧٩ من هذا العدد.]
- «خُطّة» مقدمة من الدكتور عدنان السيد حسين لتنشيط العلاقة بين أعضاء المنتدى وتفعيلها.

مذكّرتان مقدّمتان إلى المنتدى

الدّوحة؛ ٢٦ كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٧

الحسن بن طلال

-١-

مُنتدى الفكر العربيّ
ماذا بعد سنتهِ الفضّيّة؟

نعم؛ ماذا بعد؟

بعد مرور خمسة وعشرين عامًا على مسيرة المنتدى، وتنامي إسهاماته في الحياة الفكريّة العربيّة، وتجربته في التّعامل مع التّحدّيات على مدى ربع قرنٍ مضى، لا بدّ من وقفة مراجعة **لإعادة ترتيب بيته الدّاخليّ**، من حيث الجوهرُ والمضمون. ولا بدَّ أنْ تتضمّن هذه الوقفة **إعادة النّظر في مقوّمات الفكر العربيّ المُعاصر**، الذي يطمح المنتدى أن يبقى جزءًا فاعلاً منه.

إنّ مثل هذه المراجعة لا بدّ لها حكمًا أن تبدأ من أهداف المنتدى وفلسفته ورسالته التي استندَ إليها في مسيرته طوال السنوات الماضية. وقد كان التّركيز في هذه المسيرة على جَسر الفجوة بين الفكر وصانعي القرار. وأمام **المِحنة** الكبرى التي تتكشّف أبعادُها وأخطارها يومًا بعد يوم لتفريغ الفكر العربيّ من مضمونه، وشرذمته وتشتيته بأساليبَ شتّى عبر تهجير العقول والأدمغة، والقمع والكبح بمختلف أشكالهما، فضلاً عن طغيان الضّغوطات الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، تتبيّن أهميّة التّفكير في ثلم الفجوة بين الفكر والمحيط الذي يُوجد فيه، وأهميّة العمل على تكامليّة الدّين والدّولة بالمعنى الإيجابيّ الذي يخدم الصّالح العام، ويزيل تدريجيًّا حدّة التّوتُّر في عَلاقتهما وفي مدلول هذه الثّنائيّة لدى الرّأي العام.

إنّ كون الإنسان/المواطن هو محور الفكر وروحه وغايته إنّما يعني أنْ يكون المنطلق تعميق **التّواصل والاتصال بين الفكر والمواطن، أو بعبارة أُخرى بين الفكر ومؤسّسات المجتمع المدنيّ**؛ من دون إغفال التحوّلات الجديدة في عالمنا، وما يلعبه الإعلام المعاصر بكلّ جوانبه وتأثيراته في البنى الاجتماعيّة والفكريّة. **هنا بالضّبْط تكمن نقطة التحوّل المقترح في مسيرة المنتدى لمقبل الأيّام**، من خلال ندواته ومؤتمراته وبرامجه المختلفة.

وضمن الخطوط العريضة لرسالة **تفعيل المواطنة**، تبرزُ ضرورة الحوار من أجل الصّالح العام لتكون في مقدّمة الوسائل العمليّة للتّواصل والاتصال بين الفكر والمواطن، وبين المواطنين أنفسهم، لتحريك المياه الآسنة المتمثّلة في الأغلبيّة الصّامتة أو المصمّتة، وحَفز هذه الأغلبيّة على المشاركة في بناء المستقبل العربيّ. أضف

إلى ذلك **الاعتناء بتأهيل المهمّشين والهشّين وتمكينهم وتفويضهم؛ أي مَنْ ليس له قدرة على المساهمة في الحياة العامّة**، بصرف النّظر عن الجنوسة -أكان ذكرًا أم أنثى- وعن الطّائفيّة والعرقيّة والمذهبيّة، وما إلى ذلك من تصنيفات.

إنّ غياب تلك المشاركة - في أوسع معانيها- معناه توغّل التّطرّف، والضّياع بين الغُلاة والغُزاة. فنحن بحاجة ماسّة إلى أنْ نُعيد الاعتبار هنا **لعلم المعاني** بعد أنْ استبدَّ بنا علمُ الكلام.

الهدف الأبعد والأسمى من ذلك أنّنا أصحاب مسؤوليّة فكريّة إزاء **حكمة الإشراق**. ومؤدّى هذه المسؤوليّة الإسهام بالرّؤى والأفعال في **تجديد حكمة الشّرق** وإعادة الفضل لها في نهضة الفكر، والخروج من دائرة التّأثُّر إلى دائرة التّأثير، ومن حومة الكلام إلى حومة الفعل. فالمشكلة ليست في ركود الفكر، وإنّما في غياب الفعل؛ الفعل القادر على الفصل غير التعسّفيّ بين دوائر النّفوذ الاجتماعيّة والدّينيّة بتحديد المساحات المعياريّة لكلٍّ منهما، الآخذ في الحسبان التناغم والتّكامل بينهما، من دون أن يُعيق النّفوذ الاجتماعيّ عمل النّفوذ الدّينيّ أو العكس. والمعنى: التوصُّل ضمن سيرورة جهدنا الفكريّ في المنتدى إلى أُسس تطبيق معادلة حضاريّة لكلٍّ من الدّين والدّولة، كي لا نقع بين براثن هذه الثّنائيّة، ولكي يكون الجهد منصبًّا في إطار الصّالح العام.

ما السّبيل إلى هذا كلّه؟ لا سبيل إلى الفعل المؤثّر إلاّ ببرامج عمل مرنة قابلة للتّنفيذ، تنبثقُ من أهدافٍ واضحة محدّدة؛ مع الاهتمام بأن تكون هذه البرامج قابلة أيضًا لأن تتحوّل إلى مقترحات عمليّة مُقْنعة، يمكن تقديمها إلى جهات التّمويل لضمان التّنفيذ الأمثل.

لقد بدأنا عمليًّا في منتدانا ببعض الخطوات لبلورة التّوجّه الجديد لمسيرتنا ووضع العناصر الجوهريّة لرسالتنا الإنمائيّة (الإنسان هو الأساس؛ فضلاً عن الانتماء والإنماء) موضع التّأكيد والقابليّة للتّنفيذ. فأملي أنْ تُكلّفَ مجموعة بحثيّة عربيّة ذات خبرات دوليّة متميّزة لرسم أُطر التوجّه الجديد. ولعلّ في مقدّمة وسائل التّنفيذ والمتابعة إنشاء مركز الكواكبيّ للدّيمقراطيّة الجاري إقامته في الدّوحة. وسيتولّى هذا المركز البحث في موضوعات مهمّة لجوانب المواطنة والمجتمع المدنيّ وتفعيل الحوار والمشاركة في صُنْع القرار.

إضافة إلى ما سبق ذكره، فإنّ إيجاد تحالف إقليميّ من أجل التنمية والاستقرار، يستند إلى **الدّبلوماسيّة العامّة** Public diplomacy محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا، وكذلك ابتكار شتّى الوسائل من أجل صياغة **استراتيجيّة عربيّة للاتصال والتّواصل** مع الذّات ومع إقليمنا ومع العالم، والعمل على مكافحة الأُميّة القانونيّة التي ما زلنا نعاني من عقباتها، هي من أولى الأولويّات للتنفيذ الذي يمكننا من خلاله إيصال رسالتنا، عربيًّا

وعالميًّا؛ مضافًا إليها البُعد التّعليميّ التّوعويّ (مثلاً التّعليم النّظير) بكلّ مراحله (التّعليم من المهد إلى اللّحد)، الذي يجيب عن الأسئلة: ماذا نتعلّم؟ وكيف نتعلّم أنْ نتعلّم؟

لقد حان الوقت لتحويل الفكر إلى استراتيجيّات عمل، والاستفادة من قوّة الفكر في إيجاد مجتمع مدنيّ متماسك وديناميّ يشكّل القاعدة العريضة لتعزيز الأنسنة بشقّيها: الطّلب من الآخر أنسنتنا في التّعامل مع قضايانا والنّظر إليها، وأنسنة أنفسنا والآخَر، ابتداءً من الحوار وتشخيص واقعنا المأزوم، وانتهاءً بصناعة قراراتنا وصون أمننا الإنسانيّ المشترك بشقّيْه: الأمن النّاعم Soft security والأمن الصّلب Hard security؛ بعبارة أُخرى: الأمن «الذّكيّ» Smart security.

من هذا المنظور، نستطيع أنْ نكتشف مكانتنا ودورنا المأمول في **إعادة اكتشاف إقليمنا ببعده الآسيويّ**، وما يعتملُ فيه من قضايا مشتركة ذات ارتباط بمعنى الأمن الإنسانيّ، مثل: الحروب، والنّزاعات الإثنيّة والطائفيّة والمذهبيّة والحقوق الدّينيّة، والإرهاب والتّطرّف، والهجرة والتّهجير، والفقر والبطالة، ومخرجات التّعليم، والفساد والإفساد، ونقص الغذاء والدّواء، والمياه والتصحُّر والبيئة، والطّاقة والتكنولوجيا والتصنيع، ودرء أخطار أسلحة الدّمار الشّامل؛ فضلاً عن قضايا الدّيمقراطيّة وتكافؤ الفرص والمشاركة السّياسيّة.

إنّ الحديث عن التكافل وحده لم يعد مجديًا إزاء ضعف الاهتمام بالحاجات الأساسيّة للإنسان. ما نحتاج إليه هو العودة إلى **بناء العقل العربيّ** والنّظر إلى أنفسنا عبر **التّفكير فوق القطريّ**؛ فقد أدى الاستقطاب إلى ذبح الفكر. وبالرغم من الاستقطاب، فإن عبء العلاج يقع على الفكر العربيّ لامتحان نفسه تحت سقف **الحرّيّة المسؤولة**.

علينا أن نبدأ بأنفسنا – مفكّرين ومواطنين – ليتسنّى لنا السّير في اتجاه الآخر والاستجابة لمتطلّبات العصر، ومحاذرة الوقوع في أحابيله وأحاييله، برؤى عقلانيّة واعية ومن خلال العمل على أرض الواقع. دعونا نحاول – **بالقول والفعل** – أنْ نُعيدَ لحواضِرنا ما تستحقّه من ألقٍ وإشعاعٍ فكريّ. ■

-٢-

نحو استراتيجيّة مستقبليّة لمنتدى الفكر العربيّ

للسنوات الخمس المقبلة

[مسوّدة أوّليّة]

الحسن بن طلال

١

يمرّ الوطن العربي بمرحلة بالغة الخطورة والتعقيد، ويطل على مفترق طرق لم يشهده على مدى الخمسين سنة الماضية. وتعود خطورة المرحلة إلى اعتبارات خاصة بالوطن العربي نفسه، وإلى التغيرات الدولية السريعة التي لم يستطع النظام العربي مواكبتها. فهو يعاني من «انكشافات» علمية وتكنولوجية وصناعية وثقافية وإعلامية ومعرفية وغذائية وأمنية هائلة. يكفي أنه لم يستطع أن يتجاوز حاجز الـ ١٠٪ في التجارة العربية العربية، كما تصاعدت المستوردات لتصل إلى ١٠٠٠ دولار للفرد في السنة مقابل صادرات محددة لا تتعدى ٦٠٠ دولار للفرد في السنة. وما زالت الكتب الجديدة الصادرة سنويا أقل من ٣,٣ كتاب لكل ١٠٠ ألف من السكان، ومتوسط الإنفاق على شراء الكتب أقل من ٥ دولارات للفرد سنويا، ومتوسط الإنفاق الرسمي على الثقافة أقل من ٢ دولار للفرد سنويا. ولا يزال الإنفاق على البحث العلمي والتطوير التكنولوجي أقل من ٥ دولارات للفرد سنويا، مقارنة بعشرات الدولارات ومئاتها في الدول المتقدمة.

لقد تحول العالم إلى حالة جديدة تمثلها العولمة بكل ما يعني ذلك من انحسار للحدود الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية والسلعية والتنافسية. وتغير النظام العالمي إلى نظام القطب الواحد. ونشأت حالة «الإرهاب الدولي» بكل خلفياتها الفكرية والعقائدية الزائفة وعبثيتها وتداعياتها السلبية على العلاقات الدولية عامة، وعلى العلاقات العربية والإسلامية الدولية خاصة.

وقد تفاقم التقهقر العربي بتأثير إغفال دور المواطن العربي - من خلال أحزابه ومؤسساته المدنية - في المشاركة في رسم التوجهات الوطنية، وغياب التوافق العربي الرسمي على الحدود الدنيا من الجوامع، والتغاضي عن المشكلات الوطنية الداخلية، وضغط القوى الدولية الكبرى. فتم احتلال العراق وتدمير بنيته الاقتصادية وتمزيق نسيجه الاجتماعي. وعلى الطرف الجنوبي للوطن العربي، يشهد السودان حالة معقدة من التداخلات السياسية والنزعات الانفصالية والمعاناة الإنسانية، سواء في دارفور أو جنوب السودان. وفي قلب هذا الوطن، ما زالت المسألة الفلسطينية تراوح مكانها. كذلك تصاعدت الأزمة اللبنانية منذ اغتيال الرئيس الأسبق رفيق

الحريري، وتفاقمت إلى الدرجة التي تهدد بالانفجار في أي لحظة بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان في شهر تموز/يوليو ٢٠٠٦.

وقبل هذا وذاك، لا تزال معاناة الإنسان العربيّ على أشدّها بين غياب الديمقراطية وبطء التحول نحو إدارة الدولة الحديثة، بما فيها التداول السلمي للسلطة، وبين اتساع مساحات الفقر لتتجاوز حاجز الـ ٢٠٪ وتفاقم البطالة ليتجاوز معدلها ٢٠٪، بما في ذلك بطالة الخريجين الجامعيين التي تصل في بعض البلدان العربية إلى ٣٠٪! أضف إلى ذلك ضعف منظمات المجتمع المدني وقلة أعدادها، فلا يتعدى معدلها منظمة واحدة لكل أربعة آلاف مواطن؛ وعجز الأحزاب السياسية عن ممارسة دورها في تطوير البرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعبير عن تطلعات المواطن؛ وقبضة السلطة القوية وبطء برامج الإصلاح السياسي وسيادة الإعلام والثقافة العولميّة التي لا تخاطب القضايا الجوهرية للمواطن؛ واغتراب الشباب النفسي والذهني؛ وارتفاع نموّ التزايُد السكّانيّ؛ والفجوة التكنولوجيّة، خصوصًا الفجوة الرقميّة؛ ومشكلات التعليم بمختلف مراحِله؛ والهجرة الداخلية والخارجية؛ إلى ما هنالك. لقد نجحت تحولات دول شرق آسيا لأنها كانت مدعومة بالتقدم الهائل في أنظمة التعليم، وجَسْر الفجوة بين العلم والإنتاج، وتسخير البحث العلمي والتطوير التكنولوجي لتعزيز القيم المضافة في منتجات السلع والخدمات التي أخذت تتمتع بمقدرة تنافسية هائلة؛ وهو ما عجزت الأقطار العربية عن النجاح في تحقيقه.

٢

والسؤال: أين نحن من كل هذا؟

هل يمكن التسليم أو الاستسلام للظروف لتصنع هذا المستقبل العربي كما يمكن أن يكون؟ إننا بكل ثقة نؤمن بأنه لا بد أن يكون للفعل العربي وللفكر العربي وللعلم العربي وللإنسان العربي دور فاعل في صياغة المستقبل العربي، ونؤمن بأن يكون للعرب دور في المساهمة في صنع مستقبل الحضارة الإنسانية.

وهذا يطرح المسألة بكل وضوح: ما الذي يمكن أن يفعله الفكر العربي في هذا المجال؟ وما هو دورنا في منتدى الفكر العربي؟ وما هي أدوار المنتديات المشابهة التي نتطلع إلى أن تنتظم جميعها في شبكة عربية متفاعلة تتقاسم الأدوار وتتكامل المهمّات وتتبادل المعلومات على طريق تشكيل تيار فكري عربي متقدم؟

ما هي الاستراتيجية التي نتطلع في منتدى الفكر العربي إلى رسمها؛ ومن ثم تنفيذها بالتعاون مع القوى العربية التي تؤمن بالفكر العربي المبدع الخلاق البعيد عن القولبة الجامدة والمواقف المسبقة؟ الفكر المتطلع إلى المستقبل بثقة رغم المصاعب، وبأمل رغم المشقة؟

ما هي خطة العمل التي سنضعها لمنتدانا حتى تتحول الأفكار إلى أعمال، والرؤية النخبوية إلى وعي جماهيري، والحوار بين المفكرين والعلماء إلى حوار مع السلطة وصانعي القرار؟

بمعنى آخر: كيف يمكن أن نجسر الفجوة بين العلم والفكر والعقل من جهة، وبين صنع القرار من جهة ثانية، وبين المواطن ومنظماته المدنية وقواه السياسية من جهة ثالثة؟ وما هي استراتيجياتنا؟

من حيث استراتيجية المنتدى للسنوات الخمس القادمة، فإنه يمكن التفكير في أربعة محاور رئيسية على النحو الآتي؛ على أنْ تشكّل هذه المحاور سيرورة تتشابك مع سيرورات أُخرى، إقليميّة وعالميّة:

الأول: مخاطبة مشكلات المواطن العربي في جوانبها الإنسانية المباشرة.

الثاني: البحث في القضايا الكبرى التي قد ترسم المستقبل العربي، سواء كانت هذه القضايا طبيعية كالموارد، أو تكنولوجية، أو سياسية اقتصادية.

الثالث: البحث في المشكلات السياسية التي تتطلب قاعدة فكرية جديدة أساسًا للتعامل معها.

الرابع: التجسير الفكري مع الثقافات الأُخرى.

ولتحقيق هذه الاستراتيجيّة، فإنّ المنتدى يجب أن يطوّر برامج جديدة تتمثّل بشكل رئيسيّ في المحاور الأربعة الآتية:

- إنشاء حالة متواصلة من الحوار الفكري العربي والدولي ليشمل مختلف الحلقات ذات الاهتمام.

- تنشيط حركة إعلامية رصينة حول مضمون الحوارات ونتائجها.

- نقل خلاصة الأفكار والبحوث والحوارات إلى مراكز صنع القرار.

- تعزيز حالة التشبيك Networking مع المؤسسات العربية والدولية المشابهة.

- إصدار تقرير سنوي حول «حالة الأمة من منظور فكري».

على محور الجوانب الإنسانية المباشرة للمواطن العربي، فإن قضايا الحريات والديمقراطية والأمن والتعليم والفقر والحركية واللجوء والهجرة يمكن أن تحظى بالعناية والتركيز.

وعلى محور القضايا الكبرى، فإن مشكلات المياه والبيئة والتصحر والطاقة والعلم والتكنولوجيا والتصنيع يتوقع أن تمثل الحلقات الرئيسية في هذه السلسلة.

وعلى محور المشكلات السياسية الكبرى تبرز قضايا الديمقراطية والأحزاب والسلطة والمؤسسية والقانون والحاكمية والتعايش والتنوع الديني والمذهبي والعرقي والثقافي في المقدمة.

وعلى محور التجسير الفكري، فإن حوار أتباع الأديان والثقافات وقضايا الهجرة والحقوق الدينية والإرهاب وصورة الآخر يمكن أن تكون مدخلا صحيحا في هذا الاتجاه. ■

إننا نقدم هذه الأفكار للهيئة العمومية للمنتدى لتدارسها والوصول إلى توافق على استراتيجية عمل للمنتدى تمتد للسنوات الخمس القادمة؛ آخذين بالحسبان أن سرعة الأحداث من حولنا تستدعي الالتزام بقضايا الأمة وتحقيق رسالة المنتدى بأن يكون جسرا فاعلا بين صانع القرار وبين الفكر العربي، وواضعين إنسانية الإنسان قيمة عليا تستحق التضحية والعمل من أجلها. *

* ونحن - بدوْرنا - ندعو قُرّاءنا الكرام إلى دراسة هاتيْن المذكّرتيْن دراسةً نقديّةً تحليليّة، وموافاتنا بتعليقاتِهم عليهما (رئيس التحرير).

أمين عام سابق وأمين عام جديد للمنتدى

حفل وداع لأمين عام منتدى الفكر العربي السابق

أ. وسام الزهاوي (١/٣/ ٢٠٠٤ - ٢٨/٢/٢٠٠٧)

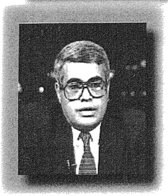


أقامت أسرة الأمانة العامة للمنتدى حفل وداع على شرف الأستاذ وسام الزهاوي، أمين عام المنتدى السابق (١ / ٣ / ٢٠٠٤ - ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٧). وقد قدَّمت له بهذه المناسبة درعًا خاصًا.



أمين عام جديد لمنتدى الفكر العربي

أ.د. حسن نافعة (١/٣/٢٠٠٧ -   )



السيرة العلمية والمهنية

١- البيانات الشخصيّة:

الاسم: د. حسن السيد نافعة

رئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

تاريخ الميلاد ومكانه: ١٢/١/١٩٤٧؛ البحيرة [ج م ع]

الحالة الاجتماعية: متزوج وله ولدان : أمين [١٣/٣/١٩٧٥] وأمل [٥/٤/١٩٧٩]

البريد الإلكتروني: *hnafaa47@yahoo.com*

atf@atf.org.jo

٢- التعليم العالي والجامعي:

- حائز جائزة الدولة للتفوق في مجال العلوم الاجتماعية عام ٢٠٠٤.
- حائز جائزة الدولة التشجيعية في العلوم السياسية عام ١٩٩٧ (عن كتاب **إصلاح الأمم المتحدة**).
- دكتوراه الدولة في العلوم السياسية من جامعة السوربون [باريس الأولى]؛ حزيران/ يونيو ١٩٧٧.
- دبلوم العلاقات الدولية من معهد الدراسات السياسية IEP [باريس]؛ أيار/ مايو ١٩٧٧.
- دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية DES من جامعة السوربون [باريس الأولى]؛ أيار/ مايو ١٩٧٤.
- بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من كلية التجارة - جامعة الإسكندرية؛ أيار/مايو ١٩٦٧.

٣- الخبرات الإدارية والأكاديمية:

- رئيس قسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة؛ ١ آب/ أغسطس ١٩٩٨-٣١ تموز/يوليو ٢٠٠٤. ثم من أول أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥ حتى الآن.
- عضو لجنة العلوم السياسية بالمجلس الأعلى للثقافة.

- أستاذ زائر بمركز فون غرونباوم لدراسات الشرق الأدنى ومنتدب للتدريس بقسم العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا -لوس أنجلوس [UCLA]؛ ١٩٩٦.
- مستشار بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر منذ ١٩٩٣.
- أستاذ زائر ومنتدب للتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة؛ ١٩٩١-١٩٩٣.
- أستاذ زائر بجامعة ميريلاند [الولايات المتحدة]؛ صيف ١٩٨٩.
- أستاذ زائر بجامعة كولومبيا [الولايات المتحدة]؛ صيف ١٩٨٦.
- محاضر بكلية الدفاع الوطني وأكاديمية ناصر العسكرية منذ ١٩٨٤ وحتى الآن.
- محاضر بالمعاهد الدبلوماسية التابعة لوزارة الخارجية في مصر وفي سلطنة عمان ودول عربية أخرى.
- أستاذ زائر بجامعة نورث كارولينا [الولايات المتحدة] Fulbright Scholar؛ ١٩٨٠ / ١٩٨١.
- عضو هيئة التدريس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة منذ ١٩٧٩ وحتى الآن: مدرس [١٩٧٩]، أستاذ مساعد [١٩٨٤]، أستاذ [١٩٨٩]، رئيس قسم العلوم السياسية منذ ١٩٩٨.
- رئيس قسم الهيئات والمنظمات الدولية بالشعبة المصرية لليونسكو ومحاضر منتدب في جامعة القاهرة؛ ١٩٧٧-١٩٧٩.

٤ - النشاط المهني والعام:

- عضو منتخب بمجلس إدارة المجلس المصري للشؤون الخارجية.
- عضو الهيئة الاستشارية لمجلة السياسة الدولية.
- عضو المجلس المصري للشؤون الخارجية.
- عضو المنظمة العربية لحقوق الإنسان.
- عضو منتدى الفكر العربي (عمّان).
- عضو عامل في عدد كبير من الجمعيات المهنية والأكاديمية المصرية والعربية والدولية.
- أمين عام الجمعية العربية للعلوم السياسية؛ ١٩٨٧/١٩٨٩.
- عضو منتخب بمجلس إدارة نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة؛ ١٩٨٤/١٩٨٧.

– أمين عام شعبة العلوم السياسية بنقابة التجاريين؛ ١٩٨٢/١٩٨٤.

– كاتب منتظم بصحيفة **الحياة** الدولية، و**الأهرام ويكلي**، و**المصري اليوم**.

٥ – لغات العمل والتدريس:

العربية والفرنسية والإنجليزية.

٦ – الكتب والأبحاث:

ألف باللغة العربية عددًا من الكتب، ونُشر له بالعربية أيضًا عدد كبير من الأبحاث في كتب ودوريات متخصصة. كما ترجم ثلاثة كتب باللغة الفرنسية، ونُشرت له أبحاث أخرى باللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية. وفيما يأتي قائمة بالكتب التي ألفها باللغة العربية:

١. **الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربيًا**، مركز دراسات الوحدة العربية -بيروت، حزيران/يونيو ٢٠٠٤.

٢. **دراسات في التنظيم العالمي: من الحلف المقدس إلى الأمم المتحدة**، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٧.

٣. **إصلاح الأمم المتحدة**، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥. (الكتاب الحائز جائزة الدولة التشجيعية في العلوم السياسية لعام١٩٩٧).

٤. **الأمم المتحدة في نصف قرن: دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ ١٩٤٥**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة [٢٠٢]، الكويت، تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٥.

٥. **الأمم المتحدة بعد نهاية الحرب الباردة**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، سلسلة كراسات استراتيجية[١٠]، الأهرام، القاهرة، تموز/يوليو ١٩٩٢.

٦. **معجم النظم السياسية الليبرالية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية**، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩١.

٧. **العرب واليونسكو**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة [١٣٥]، الكويت، آذار/مارس ١٩٨٩.

٨. **مصر والصراع العربي الإسرائيلي: من الصراع المحتوم إلى التسوية المستحيلة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

٩. **الاشتراكية الديمقراطية في فرنسا** [سلسلة تجارب الاشتراكية الديمقراطية في العالم]، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة، ١٩٨٠.

مقــــالات

- المستحاثات البشرية والحية (المتحجرات الحية) — د. عبد الكريم غرايبة
- هل للعدالة الدولية عنوان محلي؟ — أ. حسني عايش
- التحررية الاقتصادية الجديدة: الأبعاد والانعكاسات — د. حميد الجميلي
- الأصالة في فكر الكواكبي — د. جورج جبور
- الأدب المُترجم والتبادل الثّقافيّ في عصر العولمة — أ. محمد المشايخ

١

المستحاثات البشرية والحية
(المتحجرات الحية)

د. عبد الكريم غرايبة*

إن الحق سبحانه وتعالى خلق الخلق بالحق، ولا يقبل إلا بالحق. خذوا الحق وأعطوا الحق واعرفوا الحق تعرفوا أهله:

إن كنت للحق سيفًا كن ضحيته	يظفر الحق إلا عندما صلبا
السيف ينبو فلا حق يدوم به	السيف بالسيف مغلوب ولو غلبا
الحق لله والدنيا مجاهدة	وإن بالحب لا بالحق من غلبا

نعمة قازان

قد يبدو العنوان غريبًا ومتناقضًا؛ إذ كيف يصبح الإنسان حجرًا وهو على قيد الحياة؟ هل من الممكن أن يكون الفكر متحجرًا ومعاصرًا في آن معًا؟ وهل في العقل مستحاثة حجرية في أسلوب عملها وتاريخه؟ هل توجد حجرة متخلفة أو متحجرة تعمل بمنطق ما قبل التاريخ، وأخرى في التاريخ القديم، وثالثة في العصور الوسطى، على الرغم من وجود حجرة لفكر القرن الحادي والعشرين، وكلها تعمل على نمط يتجاهل فيه البعض البعض الآخر إلى مستوى الانقطاع أو الانفصام؟ لكن هذا ما سمعتُه من شيخ مهيب، ونحن وُقوفٌ في محل بيع كتب في القاهرة صيف ١٩٦٢م دون أن يعرف أحدنا الآخر. وحدّثني الشيخ طويلاً وطوّف بي، وأنا مأخوذٌ بكلامه ومعجب. وقال لي إن اليهود في عصرنا الحاضر مستحاثة بشرية يعيشون في القرن العشرين، ويحتلون أرفع مراكز الفكر والعلم والفن، ولكن تبرز بينهم نزعات تعود بهم قرابة ثلاثة آلاف سنة إلى الوراء. هم أهل الكهف في القرن العشرين.

وعرفتُ من صاحب المكتبة أن محدِّثي هو الكاتب الكبير عبّاس محمود العقّاد (أسوان ١٨٨٩ - القاهرة ١٩٦٤م)، الذي صنع نفسه بنفسه مفكرًا وناقدًا وأديبًا وكاتبًا وشاعرًا دون أن يتم في دراسته النظامية المرحلة الثانوية. وسجن في الأربعين من عمره لأنه تجرّأ وألّف كتابًا ونشر عن الحكم المطلق في عهد صدقي باشا. وأضاف صاحب المكتبة أن العقّاد أكبرُ

*أستاذ شرف؛ قسم التّاريخ/ الجامعة الأردنيّة؛ عضو مجلس الأعيان الأردني.

مُشترٍ للكتب، لكن بيته لم يعد يتسع للمزيد. لذا فإنه ما أن يتم قراءة الكتب حتى يعيد بيع أكثرها بأرخص سعر. وهذا ما سهّل على كثيرين بناء مكتبات خاصة بتكاليف قليلة.

وأنساني الزمن حديث العقّاد أكثر من أربعين سنة إلى أن ذكّرني به اثنان هما شيمون بيريز وقداسة البابا. وبيريز يهودي عتيق نال جائزة نوبل للسلام بعد أن شغل مناصب رفيعة في دولته كان منها وزارة الدفاع ورئاسة الوزراء. وكان أول رئيس وزراء يهودي يزور بلدًا عربيًا بصورة رسمية، مُثيرًا أزمةً بين بلدين عربيين هما المملكة المغربية وسورية. لكن هذا السياسي بعد طول ممارسة، وبالرغم من جائزة السلام، صرّح أنه (وقومه مثله) لا ينسى ما فعله الآشوريون والبابليون باليهود. وزاد الأمر تعقيدًا كلام رئيس وزراء اليهود، وهو يُطالب نوّاب دولته منحه الثقة ليتمكن من جعل دولته يهودية نقية العرق واللغة والدين والحضارة تقوم على أسس قومية دينية عنصرية يفصلها عن غيرها جدارٌ عازل. ونسي الإثنان في كهفهم القديم أن العالم أجمع على محاربة الأفكار النازية للقضاء على دعاة النقاء العرقي والقومية المتطرفة، وهذا ما أدخلنا إلى عصر العولمة. ونسي بيريز أن الآشوريين والبابليين الذين يحقد عليهم لا وجود لهم، ولا يوجد من يدعي أنه من سلالتهم، ولا يستطيع إلا القلائل جداً جداً، بالعشرات، قراءة ما كتبوه. وهذا جوهر فكرة المؤرخ الشهير برنارد لويس، الأستاذ السابق في جامعة لندن ثم برنستون، في دراسته عام ١٩٨٨م عن خريطة الشرق الأوسط الجديد، التي تبناها اليمين الأمريكي والغرب كلّه بعد ذلك بقرابة عشرين سنة.

وتحدث قداسة البابا هذه الأيام -أواخر عام ٢٠٠٦- من جامعة ألمانية حديثة نجحت بالتخلص من آثار القصف الأمريكي الوحشي. ولهذا السبب هي حديثة، بل أحدث من الجامعات البريطانية والأمريكية التي لم تتعرض لقصف مماثل. ومع أن الجامعات تفتخر عادة بالأناة وعدم التحرك بسرعة وضعف الرغبة بالتغيير، إلا أن الجامعات الألمانية تخطت هذا الوضع وتجاوزته بعد أن عانت ما عانته خلال الحرب العالمية الثانية. ونجحت في تحقيق بداية جديدة يصعب على الجامعات العريقة أن تقوم بها في الأحوال العادية. ولا يعني هذا الحديث أن تخريب الجامعات ضروري لتحقيق بداية جديدة ونقلة أكاديمية نوعية.

وأبرز برنارد لويس الفروق بين أسماء البلدان العربية (بلدان الشرق الأوسط، وهو اصطلاح كريه) والبلدان الأوروبية. وأوضح أن الأسماء في أوروبا تعكس تشابهًا بين اسم البلد واللغة والسكان، أي أن الألمان وألمانيا واللغة الألمانية كلها تعكس نسبة واحدة. وفاته أن أبرز دولة لاتينية وأول بلد قومي في العالم يحمل اسم خصومه التاريخيين. ويفرض الفرنسيون (الإفرنج، فرانك) لغتهم الفرنسية (فرانكيا، فرانسا) بالقانون. ويشفع لهم أن اسمهم بلغة خصومهم يعني الأحرار. كما أن أهم بلد عربي، والوحيد الذي ورد اسمه في القرآن الكريم وهو

مصر، يحمل معنى قطر أو بلاد. وهو البلد الوحيد في العالم الذي لم تتغير حدوده خلال ثلاثة آلاف سنة. وقد يكون الاسم مصر أفضل من كمت (الأرض السوداء)، أو دشراتا (الصحراء أو دزرت)، أو حتى الكلمة اليونانية التي اشتق منها قبط وإيجبت. وأعاد عراقيون استعمال اسم بلادهم القديم بلاد ما بين النهرين، أو نهارينا، أو بلاد الرافدين. ويبقى لويس محقاً بأن أول دولة أدخلت اسم العرب إلى اسمها كانت العربية السعودية عام ١٩٣٢م، وأن أقرب اسم فيه عروبة هو العربية السعيدة، أي اليمن، كما ورد في الروايات اليونانية، إلا أن الشريف الحسين بن علي أطلق على مملكته اسم المملكة العربية الهاشمية، ووقع في مراسلاته باسم ملك البلاد العربية. وعندما قامت الوحدة بين مصر وسورية، أطلق عليها عبد الناصر اسم الجمهورية العربية المتحدة. فلما انفصلت سورية، سمت نفسها الجمهورية العربية السورية. وأطلق أنور السادات على مصر اسم مصر العربية. كذلك أطلق على الاتحاد العراقي الأردني عام ١٩٥٨ اسم الاتحاد العربي الهاشمي.

وفاجأنا قداسة البابا بكلمته. وتحدّث عن كُلِّيتي لاهوت في جامعته، في حين لا يوجد مثل ذلك في أي بلد عربي أو إسلامي. ويستنتج من كلامه أن إحدى الكليات لوثرية والأخرى كاثوليكية. وتكلم قداسته من جامعة بافارية هي مهد العصبية الكاثوليكية المناقض فكريًّا للشيوعية السابقة التي تدير ألمانيا اليوم بعد عملية انقلاب فكري وصل إلى ١٨٠ درجة. لذا انبرت للدفاع عن قداسته. وهو يتحدث عن الإمبراطور البيزنطي الثاني قبل الأخير، وفي عهد السلطان العثماني بايزيد الصاعقة، أو أبو يزيد حسب المصادر العربية. ولم تتجاوز حدود إمبراطورية مانويل أسوار عاصمته، ولم يحلم قط بالوصول إلى أطراف أنقرة. وتقول الروايات إن الناس خارج الأسوار كانوا عبيدًا للأتراك، أما مَن هم داخلها فقد أرهقتهم الضرائب والإدارة الفاسدة. والفساد صفة تلازم بحق، أو بدون حق، كل حكم. والمخيم الشتوي في أطراف أنقرة أمر مستبعد لأن الشتاء بارد جدًّا وتغمر الثلوج الكثيفة كل المنطقة ذات الغابات الكثيفة. ولم أتحمَّلْ برودة الطقس فيها في تموز/ يوليو، فاكتفيتُ بيوم واحد، بالرغم من جمال الطبيعة الخلابة.

كان مانويل محاصرًا فترة حكمه الطويلة (١٦ شباط/ فبراير ١٣٩١م - ٢١ تموز/ يوليو ١٤٢٥م) لوقوع كل الأرض الآسيوية والأوروبية المجاورة بيد العثماني. وكان السلطان مراد قد جعل أدرنة عاصمة له، وهزم الإمارات البلقانية التي كان الطاعون الأسود قد أنهكها وألحق بها ضحايا بشرية كبيرة جعلتها عاجزة أمام العثماني. والطريف أن هذا الطاعون الذي ساعد العثمانيين على التوسع هو الذي قضى في الغرب، في الأندلس، على سكان عدد من المدن الإسلامية وجعلها عاجزة عن الصمود. بدا أن كل تقدم عثماني في الأناضول والبلقان وازاه ورافقه تراجع عربي إسلامي في الأندلس. وسقطت القسطنطينية قبل غرناطة بأربعين سنة.

شعر مانويل (عمانويل) أن طوق النجاة يجب أن يأتيه من الغرب، وتحديدًا من الفاتيكان، وفعل كما فعل والده يوحنا الخامس من قبل، أي العمل على إرضاء الفاتيكان. وقصد كل منهما روما للصلاة في كنيسة القديس بطرس. وأقسم يوحنا فيها الولاء للبابا يوم ٢١ تشرين أول/ أكتوبر ١٣٦٩م، على الرغم من أنه الحامي الرسمي للأرثوذكسية والرئيس الأعلى للكنيسة الأرثوذكسية. كذلك قام مانويل بزيارة البابا طويلاً في العاشر من كانون الأول/ ديسمبر ١٣٩٩، فأصدر الفاتيكان في ٢٧ أيار/ مايو ١٤٠٠م نداءً لملوك المسيحية يدعوهم فيه لمساعدة الإمبراطور. وتلقى مساعدات من فرنسا وإنجلترا. كذلك وصلته مساعدة مالية من دوق موسكو، على الرغم مما عانته موسكو على يد تيمورلنك الذي احتل موسكو مرتين وأمضى فيها أكثر عام ١٣٩٥م.

واشتد ضغط السلطان العثماني بايزيد (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م - ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م). تولى بايزيد بعد النصر العثماني في معركة كوسوفو (١٥ حزيران/ يونيو ١٣٨٩م)، التي أصيب فيها السلطان مراد بجرح بليغ أدى إلى وفاته. وواجه بايزيد أحلافًا معادية في البلقان والأناضول. لكن مانويل، الذي ساهم بايزيد في تنصيبه، بقي مواليًا للسلطان ورافقه في حملاته الآسيوية. ودعي الامبراطور إلى مخيم السلطان الشتوي عام ١٣٩٤م. وبدأ مانويل يتململ من هذه التبعية ويتصل بالغرب طلبًا للمساعدة. وقصد روما في ١٠ ربيع الثاني ٨٠٢هـ/ ١٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٣٩٩م، في الوقت الذي وصل فيه تيمورلنك إلى الأناضول.

برز السلطان تيمورلنك الشيعي المذهب (ولد سنة «الفار» ٢٥ شعبان ٧٣٦هـ، الموافق ٨ نيسان/ إبريل ١٣٣٦م-١٩ كانون الثاني/ يناير ١٤٠٤م) في كش من أواسط آسيا. وادّعى أنه من سلالة جنكيز (المحيط) خان عندما أعلن نفسه ملكاً في بلخ عام ١٣٧٠م. وأسّس إمبراطورية كبرى بأخذه موسكو عام ١٣٨٠م و١٣٩٥م، ودلهي عام ١٣٩٨م، وبغداد وحلب ودمشق عام ١٤٠١م، ومات وهو في طريقه لفتح الصين. وحدث صدام مع بايزيد في معركة أنقرة في ١٩ ذي الحجة ٨٠٤هـ/ ٢١ تموز (يوليو) ١٤٠٣م، نجح فيها بأسر بايزيد الذي مات بالأسر في ١٤ آذار/ مارس ١٤٠٣م. وقد حاول مانويل مؤيدًا من الغرب الإيقاع بين الشيعي تيمور، والسني بايزيد الحنفي، والسني الشافعي برقوق سلطان مصر والشام، وحقّق نجاحًا. وتعرضت مدن بغداد وحلب ودمشق إلى مذابح مدعومة بحماس طائفي ومال من الفاتيكان. والتقى تيمورلنك بعض علماء العصر، أمثال المؤرخ ابن خلدون والمعجمي الفيروزآبادي. واعتبر قائدًا عسكريًا كبيرًا شديد القسوة. وأراد السوفييت تخليد ذكراه بصفته سوفييتيًا فقرروا دراسة عوامل عبقريته العسكرية، ونقلوا رفاته إلى لينينغراد (بطرسبورغ). وحطّت الطائرة بها لحظة بداية الهجوم الألماني على المدينة في الحرب العالمية الثانية فاعتقد البعض أن مارد الحرب خرج من قمقم رفاة تيمور. وأسس حفيده بابور (ت ٢٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٥٣٠م) إمبراطورية

المغول في دلهي.

وتحسنت أحوال مانويل بعد أسر بايزيد. ونشبت حرب أهلية بين أولاد بايزيد وحاول كل أمير طلب مساعدة مانويل. واستعاد الإمبراطور بعض المقاطعات القريبة ولكن بروز مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١م) قضى على أحلامه. وبدا واضحًا أن نهاية بيزنطة قريبة. ووصلت الإمبراطور الأخير قسطنطين الحادي عشر (٦ كانون الثاني/ يناير ١٤٤٩م - ٢٩ أيار/ مايو ١٤٥٣م) مساعدات غربية تكاد تكون مماثلة لقوة بيزنطية. وأُقيم قُدّاس لاتيني في القسطنطينية في ١٢كانون الأول/ ديسمبر١٤٥٢م لإقناع الفاتيكان بزيادة المساعدات. ولكن بعض البيزنطيين فضّلوا «عمائم الأتراك على تيجان أساقفة اللاتين».

ويبدو واضحًا أن الذين أعدوا الكلمة لقداسة البابا لم يكونوا عارفين بحقائق التاريخ. كانون منساقين عاطفيًا مع أقوال الشاعر الإيطالي دانتي (١٢٦٥-١٣٢٠م) المتوفى قبل مانويل بقرن. لكن أفكاره تحجرت في عقول كثير من العلماء ورجال السياسة. وعدد المراسيم التي تدعو للقتل الصادرة عن الفاتيكان لا تحصى. والحروب الصليبية، مثل حروب ما يسميه الإسبان حروب الاسترداد، حدثت تنفيذًا لرغبات الكنيسة. وتسبّبت هذه المراسيم في عمليات قتل وحرق وإبادة، أو ما يُسمى اليوم بالهولوكوست (=القتل مع الحرق)، في فلسطين والأندلس في القرون الوسطى.

وتحدّث قداسته عن عالم فارسي دخل في نقاش مع الإمبراطور. وكلمة فارسي لا تعني أنه فعلاً كذلك. فقد أشارت سجلات شارلمان حوالي ٨٠٠م إلى هارون الرشيد بأنه ملك الفرس. وأطلق الأوروبيون كلمة تركي على أكثر العرب، بمن في ذلك أهل المغرب الأقصى الذين لم يدخل الأتراك بلادهم. وعندما ذهب الأوروبيون إلى أمريكا الشمالية لم يجدوا فيها كثيرًا من حيوانات العالم القديم، مثل الدجاج والأغنام والماعز والخيل. ولمّا شاهدوا طيرًا قليل الطيران، كبير الحجم، له عرف أحمر وصوت ضخم، شبهوه بالانكشارية الأتراك، وسمّوه الطير التركي. وذكر قاموس أكسفورد الكبير أن التركي هو إرهابي عضو في الجيش الجمهوري الإيرلندي، وذلك قبل الحديث عن إرهاب القاعدة. وسبق لونستون تشرشل أن ألقى كلمة في لندن في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٢٠م، علّقت عليها التايمس مؤيدة في عددين أو أكثر، أغدق فيها على رمضان شلاش لقب إرهابي، بن لادن الأول، واعتبره أحد أركان محور الشر الثلاثي مع لينين ومصطفى كمال.

ونظر العالم العربي إلى أهل الشمال بأنهم روم وعلوج. أما العلوج فهم منسوبون إلى الإنسان الخرافي الذي عاش في رملة عالج، التي تُدعى اليوم صحراء النفود في شمال السعودية. وحديث العلج مشابه للحديث عن الإنسان الثلجي، الذي ادعى أناس رؤية آثار رجليه على الرمل والثلج، ولم يره أحد، ولم يثبت وجود أي منهما. أما الروم فهم في

رأي العرب القدماء سكان بيزنطة، بل جميع الإفرنج حتى الأندلس. واستمر إطلاق اسم الروم على السلاجقة الذين دخلوا الأناضول بعد ملازكرد ثم على العثمانيين. وغنت أسمهان افتخارًا قبل قرن «عمر طوط الروم ما خوف أهاليك»، وأطلقنا على الديك التركي اسم ديك رومي. وتحدث كثير من العلماء عن رحلاتهم إلى عاصمة الروم، أي العاصمة العثمانية. وقال المؤرخ المصري ابن إياس قبل حوالي خمسة قرون إن الروم انتصروا على الأتراك في مرج دابق. والأتراك هم المماليك الذين حكموا مصر من نهاية العصر الأيوبي إلى مجيء برقوق على رأس المماليك الشراكسة عام ٧٩٢هـ/ ١٣٨٠م. وبويع برقوق سنة وفاة تاجر العبيد الذي جلبه وأتى بأبيه أنص بعده. وقيل عن برقوق الشركسي إنه السلطان الخامس والعشرون من ملوك الأتراك ممن ملك الديار المصرية، والثالث والعشرون ممن ملك مصر والشام، والثامن من السلاطين الذين مسهم الرق. ووصل أيضًا إلى القاهرة ذلك العام «شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المالكي الإشبيلي المغربي»، الذي تولى منصب قاضي القضاة المالكية يوم الإثنين ١٩ جمادى الآخرة عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٥م، وأُطلق عليه لقب وليِّ الدين، ثم عُزل يوم السبت السابع من جمادى الأولى ٧٨٧هـ. وساد رخاء في القاهرة، على الرغم من الرعب من تهديد تيمور وانتشار الطاعون ووباء البقر وكثرة الحرائق في دمشق. وبالرغم من مرور قرون على الحكم التركي في مصر، فإن السلطان برقوق لم يجد في القاهرة من يقرأ له رسالة تيمور في ربيع أول ٧٩٦هـ الموافق كانون الثاني/ يناير ١٣٩٤م. وتجمدت فكرة الروم في عقول كثيرين، فدعا أبو أيوب المصري، خليفة الزرقاوي، قبل زمن قصير لقتل الروم ناسيا أن الروم ليس لهم وجود. ويطلق الأتراك وبعض العرب اسم الروم على كل شيء يوناني، لذا دعي أتباع الكنيسة الأرثوذكسية روم أرثوذوكس بدلاً من يونان.

وأشار قداسته إلى العنف الذي رافق نشر الإسلام. ولا يمكن أن ننكر أن المسلمين خاضوا حروبًا لنشر عقيدتهم ودينهم، مثلهم في ذلك مثل كل من نشر عقيدة جديدة في كل عصر ومكان. وهكذا نشر الإسبان المسيحية في أمريكا، بل في بلدهم أيضًا. لكن الإسلام انتشر في بقاع أوسع في العالم بصورة سلمية وبدون مبشرين. وأرجو أن يتذكر قداسته أن المسلمين قضوا بعد تردد طويل وشديد على دولة وطنية واحدة فقط هي الإمبراطورية الساسانية الفارسية. وأخذوا الأقطار الأخرى من محتلين أغراب عنها. وشكّلت الأرض العربية ثلثي البلاد المفتوحة، فاعتُبِر احتلالها تحريرًا. وأصبحت بلاد الفرس الذين قضى الإسلام على دولتهم الوطنية أكثر البلاد تمسّكًا بالإسلام، بل أكثر تمسّكًا به من الأقطار العربية.

وتحدّث قداسته عن الآية (٢٥٦) من سورة البقرة. واعتقدَ قداسته أنها مكّيّة نزلت أيام ضعف المسلمين. لكنّها لم تكن كذلك، بل هي مدنية نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم رئيس دولة يملك قوة عسكرية. وجاءت في القرآن الكريم مباشرة بعد آية الكرسي

التي تتمتّع بمنزلةٍ خاصة عند المسلمين. وتُظهر آية الكرسي قدرة الخالق إله الجميع بدون استثناء-ربّ المسلمين وغير المسلمين. وهذا ما يُميِّز المسلمين عن غيرهم، وهو أن دينهم جاء للبشر كافة دون تفريق على أساس اللون أو الجنس أو اللغة. الإسلام أول دين وعقيدة جعل العالمية أساسًا لدعوته.

أما الآية (٢٥٦) التي جاءت بعدها، فقد شرحتها أسباب النزول وأوضحتها. إنها تمنع الأنصار من إجبار أبنائهم على دخول الإسلام والتخلّي عن عقائد أخرى ارتضوها، مثل اليهودية والنصرانية. هذه دعوة ليس لها مثيل في الأديان والعقائد الأخرى، بل ولا في الأحزاب والجمعيات السياسية والاجتماعية. وتُشكِّل مبادئ هذه الآية شعارًا إنسانيًا يصلح تبنّيه عالميًا ليصبح أحد مبادئ حقوق الإنسان وشعارًا إنسانيًا للأمم المتحدة.

ولعل أغرب لقاء بين العرب والمسلمين من جهة، والأوروبيين والمسيحيين من جهة أخرى، كان في الأندلس أو إسبانيا. وتمسك العرب باسم الأندلس، على الرغم من أن الدلالة ليست حلوة لاشتقاقها من الفاندال والفاندالزم. ولم يكن غريبًا أن يخرج العرب من الأندلس بالصورة المُحزنة التي خرجوا بها. الأشد غرابة هو استمرار الوجود العربي الإسلامي الأمازيغي (البربري) فيها ثمانية قرون أقاموا خلالها حضارة مزدهرة شارك فيها الجميع. وكانت في الواقع حضارة أندلسية إسبانية متميزة. وقضى على هذه الحضارة جيوش قادمة من الشمال، لا من الشمال الأندلسي أو الإسباني، بل من أوروبا ومن فرنسا وألمانيا وإيطاليا . . . وأقام العرب وإخوانهم الأمازيغ (الأحرار) من الشمال الإفريقي دولة مستقلة منفصلة عن دولة الخلافة في بغداد والقاهرة والمهدية، وأحيانًا معادية لها. وعاشت الدولة في عزلة قارية يعاديها العرب والبربر والمسلمون عبر البحر والإفرنج في الشمال. وبالرغم من قلة العدد، فإنهم تعايشوا مع متكلّمي اللاتينية في البلاد، واندمجوا وشكّلوا معهم مجتمعًا فريدًا فيه الكثير من التعاون والألفة. ولم تقم ثورات مسيحية مهمة ضد الدولة باستثناء ثورة عمر بن حفصون الذي تلقى العون من مسلمي إفريقيا، لا من إفرنج الشمال. وتقلّصت الدولة الإسلامية بموازاة التقلص البيزنطي في الأناضول، وانتهت القسطنطينية قبل حوالي أربعين سنة من انتهاء غرناطة. هكذا كانت الأندلس نموذجًا رائعًا للتعايش بين الأديان والأعراق لم يقم مثله في أي مكان. نعتز به بالرغم من نهايته المأساوية الطبيعية والمتوقعة حسب رأي الخليفة عمر بن عبد العزيز.

وتحالف هارون الرشيد وأولاده في حربهم ضد بيزنطة مع مجموعة دينية غريبة هي حزب الله، أو البوغومل، أو البوليشيان، في شرق الأناضول، التي اتبعت عقيدة ثنائية مسيحية. وعندما تخلى عنهم المعتصم، نقلهم البيزنطيون عنوة إلى البلقان وأسكنوهم في مناطق البوسنة اليوم. واستاء منهم الفاتيكان، كما استاء الأرثوذكس من قبل، فصدرت تعليمات إلى ملك المجر الكاثوليكي

المؤمن بإبادتهم. وطلبوا حماية العثماني، الذي بادر إلى حمايتهم بدون شروط. وأدهشهم هذا العمل الإنساني العثماني، واعتقدوا أن سببه الدين الإسلامي، فدخلوا الإسلام بدون إكراه وضغط، وأصبحوا اليوم يُعرفون بالبوسنيين.

وفرض العثمانيون، كغيرهم من الفاتحين، على جيران البوسنة في الشمال، وهم الكروات الكاثوليك، لباسًا مميزًا يرضاه الكروات أنفسهم. واختار الكروات ربط مناديل على رقابهم عُرفت بالكروات، أو الكرافات، أو ربطات العنق. وفرض الإسبان المسيحيون على بقايا المسلمين لباسًا مميزًا هو منديل أزرق حول الرقبة تطور لاحقًا ليصبح الشرابة الزرقاء في عمائم مصر والشمال الإفريقي. هكذا أبرز علماء المسلمين في إفريقيا الألوان الثلاثة، الأبيض والأحمر والأزرق، التي أصبحت بعد عدة قرون شعارًا للهيج الكبير المعروف باسم الثورة الإفرنسية. ودخل اللون الأزرق أكثر أعلام الغرب، ولكنه لم يظهر إلا في علم مسلم واحد وآخر عربي مسلم هما ماليزيا والصومال. وعندما حزن المغاربة على خسارة العرائش، لبسوا الأحذية السوداء، مع أنها كانت شعار الملّة من اليهود. وتحوّلت كلمة ملّة في المغرب إلى ملاح بعد مرورها بالأحرف اللاتينية. وعاد المغاربة المسلمون إلى الأحذية الصفراء بعد استعادة العرائش.

واحتار المسلمون في كيفية التعامل مع المسيحيين إلى الجنوب من مدينة السوق، أي أسوان، ومعناها في المصرية القديمة السوق. ولم يكن بالإمكان تحويلهم إلى مسلمين أو ذمة، ولا مجال لعقد صلح وتبادل اعتراف في ذلك الزمن. فابتدعوا كلمة يونانية لاتينية الأصل هي البقط، أو الهدنة المؤقتة، أو بالتعبير العثماني، المتاركة. وتحجرت فكرة عدم جواز عقد سلام دائم واعتراف متبادل، فطرح فلسطينيون فكرة هدنة طويلة الأمد مع اليهود، أي بقط بديلاً للاعتراف ولا سلام.

وإنّي أدعو قداسة الحبر الأعظم إلى التطلّع إلى صورة واضحة لوقوف المسلمين على عرفة في يوم شديد الحرّ والتدقيق فيها. إنها تنطق بقدرة الخالق ربّ الجميع الذي لا يُفرّق في حبّه للبشر ورعايته لهم بين أبيض وأسود وأصفر وأحمر. لا يفرق بين أبناء الشمال وأبناء الجنوب. وأن الكون كلّه له ولكلّ البشر. ولا يحقّ لأحدٍ أو لدولةٍ ضمّ القمر ولاية ثانية وخمسين لكبّ النفايات النووية عليه، ولا جعل الفضاء الخارجي الولاية الحادية والخمسين. الكون للبشر كافة، ولا يحقّ لأحدٍ أن يحتكره أو يحتكر جزءًا منه، والفيصل في العلاقات هو المحبّة لله ولعباده.

ونحن أكثر شعوب الأرض توجُّعًا من أذى التاريخ، إذ لم يُجمع الغرب بزعامة أمريكا على شيء مثل إجماعهم على تأييد تشريد الشعب الفلسطيني وحرمانه من أبسط حقوقه. ولم تتفق شعوب متحضرة متمدّنة عبر التاريخ على إيذاء شعب مثل إجماعهم على حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه

الطبيعية. ونتج عن ذلك قيام كيان يتمسك بالنّقاء العرقي الديني، مخالفًا للمبادئ الأساسية السائدة. وأقدم هذا الكيان على أغرب إجراء عندما أقام جدارًا عازلاً يفصله عن جيرانه ويكرّس غربته في محيطه وانعزاله الحضاري. وعلى الرغم من كل ذلك، فإننا نردد مع السيدة أم كلثوم كلامها الإنساني الجميل: فتعّلم كيف تنسى وتعلّم كيف تمحو. نحاول أن ننسى أو نتناسى ونصفح «كي لا يتجدّد بالتذكار جرح»، ولا نُصبح أسرى ذكريات تتحوّل إلى أحقاد وأعباء علينا وعلى أبنائنا وأحفادنا وأبنائهم وأحفادهم. إلا أن الغرب لا يسمح بذلك. لكن لماذا يا قداسة الحبر الأعظم تنكأون الجروح؟

ويُلاحَظ من هذا الاستعراض المتباعد المتداخل أن التاريخ مستودع للحسنات والسيئات، للإصلاح والبناء والتخريب، للمحبة والكراهية. ونجد في ثناياه نماذج تدعو إلى المحبة والتسامح والتعاون، وأخرى تُنمّي العداوات وتبني الأحقاد وتُشجّع على الشر. وشعرت دول بخطورة هذه النماذج التاريخية فسعت لتلافي ضررها. وهذا ما دفع الدول الإسكندنافية في النصف الأول من القرن العشرين إلى الاتفاق على وضع تاريخ مشترك يركز على التعاون بدلاً من الخلاف بلا تزوير للوقائع. ورأى الجنرال دي غول والمستشار أديناور أن هدم جدار العداء التاريخي بين الألمان والفرنسيين ضروري لتعاون الأمّتين. وتبنّى الفكرة زمناً ملك الأردن الراحل الحسين بن طلال، فأرسل ولي عهده رسالة حول الأمر إلى شاه إيران الذي لم يتجاوب معتذرًا بقلة المخصصات. والمؤسف أن الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو لم يقوما بعمل في هذا المجال.

وبرزت دعوات مريضة تستعين بالتاريخ لإذكاء الخصومات. وكان من بينها الرسومات الكاريكاتورية في الدنمارك وفرنسا وغيرها، وأقوال أستاذ فلسفة فرنسي، وكاتب إنجليزي من أصل مسلم، ورجل دين إنجليزي من اللوردات، وزلات لسان لعدد من كبار القادة والساسة. وأقر مجلس النواب الفرنسي قانونًا غريبًا للدفاع عن الأرمن. وشجب عمليات القتل والإبادة أمر ضروري، ولا نقبل بقتل الأرمن ولا اليهود ولا الغجر ولا الأفغان ولا العراقيين ولا اللبنانيين ولا الفلسطينيين ولا أهل رواندا والكونغو ودارفور. كل قتل مستنكر مهما كانت هوية القاتل أو المقتول.

وقام الملك عبد الله الثاني بخطوة عملية جريئة على طريق الحب الإنساني. فقد أصدر إرادة ملكية في ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥م إلى رئيس الوزراء يدعوه إلى تخصيص أرض لإقامة معرض الأمل الإنساني. وحوّل رئيس الوزراء الأمر إلى أمين العاصمة بتاريخ ١٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦م للتنفيذ. وسيتم بحول الله المباشرة بالعمل مطلع العام الجديد عام ٢٠٠٧م ليكون أول مؤسسة رسمية للأمل الإنساني في العالم وفي التاريخ.

وأنا أسترحم من قداسة البابا ورؤساء دول العالم العمل على تجذير الأمل الإنساني بالمحبة والسلام بين الشعوب في جميع أرجاء العالم. وأن يوجه

البابا ورؤساء الدول وزعماء العقائد اعتذارًا عامًا للإنسانية عن كل عمل حدث في الماضي وتسبب، عن قصد أو غير قصد، بإساءات لأي مجموعة بشرية في أي ركن وزمان. وأن يقرروا جميعًا أن كل من ينشر تحريضًا على الكراهية والحقد والأذى يعتبر خارجًا على العرف الإنساني. وعلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، بدعم معنوي من قداسة البابا ورجال الأديان، استنكار الأعمال المعادية للإنسانية. لكن لا يجوز جعل الاستنكار وسيلة وأداة لمزيد من الكراهية وعمليات القتل. ولا يجوز أن نعاقب أبرياء بحجة أن حكومتهم منحرفة بنظر البعض.

وتوقّعتُ من قداسة البابا غير هذا. وكُنتُ على وشك كتابة رسالة له على نمط رسالة أرسلتُها للرئيس شيراك بعيد ميلاده، ولبلير بمناسبة إعادة انتخابه، دعوتُهما لتطبيق توصية أقرّتها مجموعة عمل بريطانية في ٢٧ حزيران/ يونيو ١٩٨٩م حول تدريس التاريخ. وفوجئتُ بكلمة قداسته التي خيّبت أملي. أعتقدُ أن قداسته هو الشخص المثالي الذي يمكن أن يدعو الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الحالية لتبني قرار لا يفرض عقوبات أو حظر على دولة، بل يدعو الدول إلى إرساء قواعد المحبة وأسس السلام بكتابة تاريخ موحّد يقرأه الأطفال دون سن معين في جميع بلاد العالم.

إنّني أدعو إلى وضع ميثاق للحب والأمل الإنساني يدعو إلى نبذ العنف والقسوة وكل أنواع القتل مهما كانت أسبابه ومبرراته. وهذا أهم من الدعوة لمحاربة الإرهاب. دعوة إلى الألفة والمحبة، لا إلى المحاربة والعقوبات والحصار. وأن ندعو من نتّهمهم بالإرهاب إلى التوبة والاعتذار للإنسانية والعودة إلى حظيرتها، بل يجب أن يعتذر الجميع عما فعلوه وعمّا لم يفعلوه، وهذا ثمن رخيص لنشر المحبة والسلام.

وليعتذر قداسة البابا أولاً. ليعتذر لا لأنه ملوم أو متهم، بل لأن الاعتذار شيء رخيص جدًا إذا أدى إلى نشر المحبة والوفاق والألفة بين بني الإنسان. واعتذار قداسته العام الشامل للجميع، لا للمسلمين وحدهم بل للمسيحيين وغيرهم، أشد وقعًا من أي عمل آخر وأكثر تأثيرًا. دعونا نصلي جميعًا، كلٌّ حسب عقيدته وأسلوبه، ونبتهل إلى الله لينشر المحبة بين الناس مع الألفة والعمل من أجل العيش المشترك. والأمل هو أهم ما نملك، ولا يجوز السماح بدفنه. وعلى العالم أن يؤّيد الفكرة الأساسية التي جاء بها الإسلام وهي أنّ الناس كلّهم أمّة واحدة.

﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾ سورة الحجرات. ■

هل للعدالة الدولية عنوان محلي؟

أ. حسني عايش*

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة لوري كنغ إيراني، المحررة السابقة لمجلة **ميدل إيست ريبورت** والمحاضرة حاليًا في جامعة فكتوريا بمقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا، مقالاً في المجلة نفسها (عدد الشتاء لسنة ٢٠٠٣) تندب فيه العدالة الدولية في العالم، إثر فشل ضحايا مجزرتي صبرة وشاتيلا في مقاضاة شارون وعصابته على جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبوها في المخيمين سنة ١٩٨٢. تقول الكاتبة:

يؤكد العرف والقانون الدولي، كما يتجليان في اتفاقيات جنيف الأربع (١٩٤٩) وميثاق (١٩٨٤) المناهض للتعذيب والقسوة والمعاملة اللاإنسانية، أن بعض الجرائم شنيعة لدرجة تهدد العنصر البشري بأجمعه. وأن مرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية تبعًا لذلك أعداء للبشرية جمعاء . وأن سلطة القضاء لمحاكمتهم يجب أن تكون عالمية، وليست مقصورة على المناطق التي ارتكبت فيها، أو حيث يقيمون.

عندما يكون للعدالة العالمية عنوان محلي، أي عندما يكون بالإمكان محاكمة المتهمين بالجرائم في أي دولة أخرى غير دولهم، فإنه لا يبقى لهم ملاذ آمن ينجون فيه بجرائمهم. إذا تحقق هذا المبدأ بالممارسة، فإنه سيقوم بدور رائع في الحملة العالمية ضد حصانة مرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية. وتضيف: لو أن جميع الدول تحترم هذا المبدأ وتعمل به، فإن إطارًا عالميًا للعدالة سيبرز لأنه من دون هذا لن يكون بقدرة الضحايا سوق المجرمين إلى القضاء. لقد تم العمل بهذا القضاء في إسبانيا ضد الدكتاتور أوغستو بنوشيت التشيلي، والرواندييين المتهمين بالإبادة الجماعية لنحو مليون إنسان، والدكتاتور التشادي حسين حبري الذي تسبب بقتل نحو خمسين ألف شخص من شعبه بالتعذيب وغيره.

لقد كان هذا المبدأ أحد الخيارات المتاحة للراغبين بمحاكمة جرائم ارتكبت قبل إنشاء محكمة الجرائم الدولية، التي دخل ميثاقها حيز التنفيذ في الأول من تموز/ يوليو سنة ٢٠٠٢، لأن صلاحية هذه المحكمة محدودة، فهي لا تتمتع بالمحاكمة بأثر رجعي. كما أن المدعين فيها هم الذين يملكون الحق بتقديم الشكاوى إليها. ومالم تأمر الأمم المتحدة بإنشاء محاكم مؤقتة، كالمحكمة التي أنشأتها لمحاكمة مجرمي الحرب الأهلية في رواندا، ثم يوغسلافيا، فإنه لا يمكن عرض جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت قبل سنة

*مفكّر وكاتب أردنيّ.

٢٠٠٣ عليها. ولعل ذلك هو الذي دفع ضحايا مجزرتي صبرا وشاتيلا إلى اللجوء إلى المحكمة البلجيكية لأن صلاحيات المحكمة الدولية محدودة بالجرائم التي تقع على أرض دولة طرف فيها، أو على جرائم متهم بها أناس من دولة طرف في الاتفاقية. ولما كانت إسرائيل غير موقعة على ميثاقها، وفلسطين ليست دولة ذات سيادة بعد، فإن الفلسطينيين لا يستطيعون اللجوء إليها لمقاضاة الإسرائيليين على جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي يرتكبوها في فلسطين.

وكما ترون، فإنه وإن كانت محاكمة مجرمي الحرب والمجرمين ضد الإنسانية من خلال مبدأ العدالة العالمية قضائية في المقام الأول، إلا أنها بحاجة إلى التزام سياسي قوي أيضًا. فالقضايا أو الشكاوى التي تقوم على هذا المبدأ يمكن أن تتسبب بما يأتي:

أولاً: التوتر الدبلوماسي بين الأطراف المعنية.

ثانيًا: تغيير مجرى الأحداث السياسية.

ثالثًا: طرح أسئلة تتعلق بسيادة الدولة.

رابعًا: ظهور أشكال جديدة من القوة السياسية تتمثل بالتضامن الدولي بين المنظمات المدافعة عن هذا المبدأ، والبرلمانيين، والعلماء، والصحفيين، وخبراء القانون.

خامسًا: تحرك ممارسة العدالة الدولية الناجين من الوحشية، الذين غالبًا ما يكونون أضعف المواطنين وأكثرهم هامشية، للقيام بدور سياسي مهم على المستوى الدولي. وهذا قد يشكل تهديدًا لبعض الناس أو المسؤولين.

لقد اتهم ثمانية وعشرون من الناجين من مذابح صبرا وشاتيلا التي وقعت في لبنان سنة ١٩٨٢ أرائيل شارون، وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق ورئيس الوزراء السابق، والجنرال عاموس وغيرهما من الإسرائيليين واللبنانيين، في محكمة بلجيكية، بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وبالإبادة الجماعية. إلا أنه بعد عدد من الإفادات والإحجامات، تم إغلاق ملف الدعوة فجأة عندما قام البرلمان البلجيكي في حزيران/يونيو سنة ٢٠٠٣ بإبطال مبدأ قانون العدالة الدولية الذي أقره سنة ١٩٩٣، ثمّ عززه سنة ١٩٩٩. وهكذا تفوقت الحصانة على العدالة، وأصبح وضعها في العالم أسوأ منه قبل أكثر من عقدين حين ارتكبت تلك الجرائم.

ومع أن مئات اللبنانيين قتلوا في المخيمات على يد لبنانيين، ولا يزال نحو سبعة عشر ألفًا منهم مفقودين، لم تهتم الحكومة اللبنانية إلى اليوم بمساءلة أحد عن موت أي منهم أو اختفائه، تنفيذًا لأحد أول القرارات التي اتخذتها الحكومة اللبنانية بالعفو الشامل عن كل الجماعات والأفراد عن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية المرتكبة بين شباط /فبراير ١٩٧٥ وأيار/ مايو ١٩٩١ لكن القانون الدولي الإنساني لا يعترف بهذا العفو كما تقول الكاتبة.

وعندما قررت محكمة العدل العليا البلجيكية في ١٢ شباط /فبراير سنة ٢٠٠٣ قبول الشكوى ضد شارون وعصابته، قامت قيامة أمريكا وإسرائيل. وقد تجلى ذلك في قرار لمحكمة الاستئناف في ٢٦

حزيران/يونيو هدد كل جهود الضحايا عندما أوجب حضور المتهمين إلى قاعة المحكمة لتتم المحاكمة. وقد أطلق هذا القرار شرارة قوية من التضامن مع الضحايا في بلجيكا وخارجها، خاصة أن البرلمان البلجيكي والحكومة البلجيكية كانا مصرين على إنقاذ القانون، على الرّغم من معارضة إسرائيل وأمريكا والمصالح التجارية البلجيكية المرتبطة بهما.

لكن المفاجأة الكبرى، خاصة لأمريكا، وقعت عندما تقدم عدد من العراقيين برفع شكوى ضد بوش (الأب) وأركان إدارته تتهمهم بارتكاب جرائم ضد المدنيين العراقيين الذين قتلهم صاروخ في ملجأ العامرية في كانون الثاني/يناير سنة ١٩٩١. وعلى أثر ذلك أصيب المسؤولون السابقون والقائمون في الولايات المتحدة بالرعب من احتمال نظر المحكمة البلجيكية في الدعوى. لم يأت التهديد من بلجيكا نفسها بتعديل القانون او إلغائه، بل من دولة أخرى خشيت أن ينتهي الأمر باعتقال عسكرييها الموجودين في مركز حلف الأطلسي في بروكسل. وكان ذلك هو السبب الرئيسي الذي جعل وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد يزور بلجيكا في ١٣ حزيران/ يونيو ٢٠٠٣ لتلقين بلجيكا درسًا، كما قال، وتهديدها بنقل مقر حلف الأطلسي من بروكسل إلى وارسو في بولندة، ما لم يقم البرلمان البلجيكي الجديد في الحال بإلغاء القانون المؤيد للعدالة الدولية.

وبضغوط من وراء الستار من غرفة التجارة الأمريكية والشركات الأمريكية الكبرى ذات العلاقة بحلف الأطلسي، أتت تهديدات رامسفيلد بنتائج فورية. فعندما فشلت الحكومة البلجيكية في الحصول على أي دعم من شركائها الأوروبيين، استسلمت وأبطلت القانون وسقطت الدعوتان.

وتعلق الكاتبة على هذه التطورات فتقول: إن التأييد الشعبي البلجيكي والافتراضي (الإنترنتي) لقضية ضحايا مذبحتي صبرا وشاتيلا لم يسد مسد التأييد الشعبي العالمي والحقيقي لها. وكان يلزم تعبئة العالم ضد المجرمين لأنهم أعداء للإنسانية كلها، وحتى لإبراز الجامع أو المشترك بين سكان بروكسل ولاجئي صبرا وشاتيلا. لقد لفت انتباه محامي الضحايا والكاتبة عدم صدور (كلمة) تأييد رسمية عربية واحدة للمشتكين. وتضيف: وهكذا نرى أنه لا يوجد بعد عنوان محلي في العالم للعدالة الإنسانية أو الدولية بعد إلغاء بلجيكا لقانون العدالة الدولية، وأن البلجيكيين الأوروبيين خذلوا إخوانهم «البلجيكيين» الفلسطينيين، وأنهم، كانوا، مثلهم يواجهون عدوًا مشتركًا قويًا واحدًا هو أمريكا، أذلهم وأركعهم. وتختتم الكاتبة مقالها بالقول: «إنه على الرغم من التقدمات الراهنة في المحاكمات الدولية، لم يصبح العدل عالميًا في المبدأ والممارسة.»

لكن ذلك يجب أن يكون درسًا للمقاومة الفلسطينية فترتقي إلى مستوى القانون الدولي الإنساني الذي يحرم ضرب المدنيين والبنية المدنية التحتية عمدًا أومباشرة في أوقات الحرب أو النزاع المسلح أو الاحتلال. يجب أن لا تساوي المقاومة نفسها بإسرائيل، أو تتعادل معها في المنهج، حتى لا تفقد مشروعيتها وتتعرض للمساءلة القانونية الإنسانية، وحتى لا تمنع يومًا جلب زعماء

إسرائيل للمثول أمام محاكم جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية.

تقول ميشيل جانسن (جريدة **الرأي** الأردنية في ٢٠٠٤/٣/٢٩) في تعليقها على اغتيال الشيخ أحمد ياسين بعنوان «وصمة عار على جبين إسرائيل»: انتحبت إسرائيل وأصدقاؤها لسنوات طويلة، وكان لها الحق في ذلك بسبب قتل الفلسطينيين لامرأة يهودية طاعنة في السن ومقعدة، فألحق هذا الاغتيال العار بالفلسطينيين وبقضيتهم العادلة. وإن قتل الشيخ ياسين على يدي شارون، الذي أصدر أمره بالعملية وقام على تنفيذها، ألحق العار بإسرائيل.

إن ما تقوم به إسرائيل من فظائع وجرائم وإبادة جماعية للسكان والنبات والحيوان والجماد في فلسطين هو انتهاك صريح ومرئي للقانون الدولي الإنساني يجعلها عصابة خارجة على القانون لا دولة محترمة. ويجب على الفلسطينيين توثيق جرائمها بالصوت والصورة لأن يوم المحاكمات لا ريب فيه. لقد فعل اليهود ذلك بمن اضطهدوهم وحرقوهم. وعندما جاء اليوم الموعود قدموا وثائقهم إلى المحاكم. ويجب أن نتعلم لعبتهم وأن نلعبها ضدهم. إن المقاومة تخسر بمجاراة إسرائيل في انتهاك هذا القانون. وإن مقاومة الاحتلال ليست حربًا لأن المقاومة الفلسطينية ليست دولة لتشن الحرب. إن معظم الإبادات الجماعية في التاريخ لم تكن نتيجة أفعال حربية، كما يقول أستاذ الفلسفة دوغلاس لي لاكي، فهتلر لم يعلن الحرب على اليهود عندما عمل على إبادتهم. وكان شعار المستوطنين البيض في أمريكا: الهندي (الأحمر) الجيد هو الهندي الميت. وهو كلام يعبر عن أمل القتلة، وليس الجنود أو الجيوش. إن شارون نسخة متطورة عن هتلر، والصهيونية الإسرائيلية عن النازية الألمانية.

إن إسرائيل تبيد الفلسطينيين، بيولوجيًا وجغرافيًا وسياسيًا وثقافيًا، لأن إسرائيل وجيشها ومخابراتها لا يتصرفون كدولة، بل كعصابة من المستوطنين (البيض) في فلسطين. ويجب على المقاومة أن تعمل بكل ما في وسعها لقصر جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية على إسرائيل وحدها بعدم ارتكاب أي منها. يجب أن تثبت للعالم أن الفلسطينيين هم ضحايا لهذه الجرائم، وأن اليهود الإسرائيليين والصهاينة الذين يؤيدونهم هم قتلة. فلا تمحوا جرائمهم بعمليات مضادة في المدنيين لنصبح وإياهم متعادلين أو متساوين: صفرًا لصفر، أو مئة لمئة.

لقد قال أحد مفكريهم بمناسبة قيام إسرائيل بقتل بعض الفتيان في بداية الانتفاضة الثانية: لن نغفر لكم تحويلنا إلى قتلة، لأنهم جعلوا العالم يعتقد أنهم ضحايا، فلماذا نعطي لهم الفرصة ليحولونا إلى قتلة ونحولهم إلى ضحايا، مع أننا نحن الضحايا؟

يقول الشيخ نعيم قاسم، الأمين العام المساعد في حزب اللّه اللبناني، في حوار مع جريدة **الدستور** بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٢: إن حزب الله يعمل وفق التوجهات الأخلاقية الإسلامية التي تؤكد وجوب مجابهة المحتل والقاتل والمعتدي، ولا تقبل بأي حال أن يكون المدنيون محل استهداف ابتدائي أو مباشر. ■

التحررية الاقتصادية الجديدة: الأبعاد والانعكاسات

د. حميد الجميلي*

منذ بداية الثمانينيات بدأت مراكز الرأسمالية المتقدمة تروج لطروحات تنموية جديدة تعاني من الأحادية والاختزالية والأدلجة. وجاءت هذه الطروحات تحت شعار إعادة هيكلة الاقتصاد وإجراء إصلاحات جذرية فيه. وسرعان ما تحول هذا التيار الداعي لإعادة هيكلة الاقتصاد إلى تيار كاسح يطالب بتفكيك القطاع العام ونقله إلى القطاع الخاص. وأخذ هذا التيار ينتقد مجمل النظريات التي كانت تؤكد على قيادة القطاع العام للنشاط الاقتصادي وعملية التنمية، وأخذت مؤسسات برتن وودز ومراكز الرأسمالية المتقدمة تروج لهذا التيار. فأخذت بدورها تدعو بلدان الجنوب لتفكيك القطاع العام على أساس أن التنمية ستتحقق بشكل أفضل لو تم تقليص التدخلات الحكومية في الاقتصاد، وأن القطاع العام هو سبب الاختلالات البنيوية التي تعيق التنمية، وأنه هو سبب تدني الكفاءة والإنتاجية الاقتصادية، وأنه يتسبب في الفساد الإداري والمالي والتضخم. لذلك ولتصحيح كل هذه الاختلالات، لا بد من تفكيك القطاع العام وبيعه، وإتاحة الفرصة لازدهار القطاع الخاص وتشجيع آليات السوق. لقد حصل هذا التيار التنموي على دعم كبير من المؤسسات المالية الدولية، كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

إن هذا التيار الكاسح الذي يطالب بتفكيك القطاع العام لم يثمر عن أية نتائج إيجابية، إذ إن عملية الخصخصة حسب التيار الأيديولوجي لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي لم تؤد إلى توفير النجاعة لأن التحررية الاقتصادية المفروضة من مؤسسات برتن وودز على الكثير من دول العالم النامي اقتصرت على إجراءات ترمي إلى إزالة متسرعة وغير واضحة لنظم الرقابة المركزية السائدة. كما لم تتمكن تلك التحررية الاقتصادية المفروضة (اللبرلة المؤدلجة) من إعادة هيكلة الاقتصاد وترتيب الدواليب الاقتصادية على الوجه المرضي.

إن اللبرلة المؤدلجة تركز على إزالة القوانين والتشاريع والإجراءات الإدارية، وانسحاب الدولة من الكثير من الأنشطة الإنتاجية والتجارية دون أن يواكب ذلك أطر مؤسسية كافية تحكم نشاط القطاع الخاص الذي أصبح غير مقنن. لذلك لم تؤد عملية إزالة القوانين والتشاريع والإجراءات الإدارية، وانسحاب الدولة من الكثير من الأنشطة الإنتاجية والتجارية والمالية إلى إيجاد اقتصاد حقيقي قائم على الطاقة التنافسية الداخلية والخارجية للاقتصاد الوطني، وعلى خلق مزيد من مواطن العمل ومصادر الدخل في الكثير من دول العالم النامي، ومنه عالمنا العربي.

واللبرلة المؤدلجة تعني تطبيق التحررية الاقتصادية وفق رؤية البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وهي إصلاحات ذات طبيعة مالية ونقدية لا تتطرق إلى تنشيط عملية التنمية والاستثمار والاستخدام وإعادة توزيع الدخول، ولا ترمي إلى إجراء

* أستاذ الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية الدولية/ أكاديمية الدراسات العليا / طرابلس-ليبيا؛ عضو المنتدى.

تغييرات جذرية في هيكل الاقتصادات الوطنية. وهي لم تأت لمعالجة مشكلات التنمية بعيدة الأمد، ولا لمعالجة الأصل التاريخي للتنمية، وإنما انصبت على إلزام بلدان الجنوب بتطبيق الوصفات الجاهزة والقرارات الاقتصادية التي من شأنها إضعاف دور الدولة المركزي في إدارة الأنشطة الاقتصادية، وتسهيل مهمة تسلل الشركات عبر الوطنية إلى مفاصل الاقتصاد الوطني لإعادة هيكلة الاقتصادات الوطنية، لا وفق الخيارات التنموية لشعوب تلك البلدان، لكن وفق مقتضيات التوسع الرأسمالي والأقلمة والعولمة.

فالتحررية الاقتصادية المفروضة على بلدان الجنوب (اللبرلة المؤدلجة) لا تتعلق باعتبارات الكفاءة الاقتصادية والربحية، وتحسين كفاءة توزيع الموارد في بلدان الجنوب. وهي هجمة اقتصادية جديدة يشنها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي تحت شعار حرية الأسواق، وإصلاح الاختلالات الاقتصادية في اقتصادات دول الجنوب، وتحسين الإدارة الاقتصادية، وزيادة الكفاءة الاقتصادية، وتخليص الدولة من العبء المالي الكبير الملقى على عاتقها جراء ترهل القطاع العام وتحكمه باقتصاد البلد. وهذه الهجمة هي جزء من إعادة هندسة اقتصاد الجنوب لتلبية متطلبات تطور الاقتصاد العالمي في القرن الحادي والعشرين من وجهة نظر مراكز الرأسمالية المتقدمة وتحقيق مصالحها.

إن الذين يلهثون وراء اللبرلة المؤدلجة، ويبشرون بها على أساس أنها الطريق الذي يوصل اقتصادات الجنوب إلى مصاف الدول المتقدمة لا يعرفون عمَّ يتحدثون لأن اللحاق بركب الرأسمالية عن طريق اللبرلة المؤدلجة ما هو إلا جري وراء سراب وأحلام يقظة.

إن نهج التقدم عن طريق اللبرلة المؤدلجة هو في نهاية الأمر مشروع فاشل. وإن مشورة الصندوق لتطبيق اللبرلة المؤدلجة هي في حقيقة الأمر تجريدات اقتصادية فنية تخلو من كثير من الاعتبارات السياسية والاجتماعية، فضلاً عن القيود التي تفرضها هذه اللبرلة، والتي تحد من المرونة الاقتصادية المطلوبة.

لا شك أن مقدرة البرامج التي تفرض على بلدان الجنوب في إطار اللبرلة المؤدلجة على تحقيق تغييرات جذرية في بيئة الاقتصاد الحقيقي وحل معضلات التنمية محدودة جدًا، ناهيك عن السلبية على القضايا الاجتماعية، خاصة مسألة توزيع الدخول. كما أن اللبرلة المدلجة في الكثير من دول الجنوب تأتي متزامنة مع نهج الأقلمة (الموجة الإقليمية الثانية) الرامية إلى ربط اقتصادات الجنوب بالفضاءات الاقتصادية التي يجري تشكيلها استعدادًا لاقتصاد القرن الحادي والعشرين في إطار الخريطة الاقتصادية الجديدة لاقتصاد القرن الحادي والعشرين. وضمن هذا الإطار، فإن اللبرلة المؤدلجة تشكل التمهيد والمدخل الضروري للإقامة الجديدة، أي تسهيل دخول اقتصادات الجنوب في الموجة الإقليمية الثانية.

فاللبرلة المفروضة على دول المشرق تأتي لتهيئة اقتصادات هذه الأقطار للارتباط بالدائرة الشرق أوسطية، أي الفضاء الاقتصادي الشرق أوسطي. كما أن اللبرلة المؤدلجة المفروضة على أقطار المغرب العربي تأتي ضمن توجه مراكزالرأسمالية المتقدمة لربط أقطار المغرب العربي بالفضاء المتوسطي. لذلك فإن اللبرلة المؤدلجة هي جزء من عملية تدويل الوحدات الإنتاجية والخدمية لهذه الأقطار، تسهيلاً لتنفيذ الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية والمتوسطة.

لذا فإن اللبرلة المؤدلجة في بعض أقطار المشرق

العربي وأقطار المغرب العربي تشكل التمهيد والمدخل الضروري لإقامة الفضاء الاقتصادي الشرق أوسطي والفضاء الاقتصادي المتوسط.

وإذا كانت بعض الدول تسمي الإجراءات التي قبلت اتخاذها في اتفاقها مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي «إصلاحًا اقتصاديًا»، فإن هذا التعبير هو صناعة محلية. فالاسم الرسمي لبرنامج البنك الدولي هو التكيف الاقتصادي وإعادة هيكلة الاقتصاد، أما برامج الصندوق فتسمى برامج «التثبت». وطبقًا لبرامج الصندوق والبنك الدوليين، فإن المطلوب من دول الجنوب أن تغير أوضاعها ومناهج تفكيرها الاقتصادي لكي تنسجم مع أيديولوجية هاتين المؤسستين، امتثالا لما يراه كل من الصندوق والبنك الدوليين.

إن برامج الصندوق والبنك الدوليين تتجاهل طبيعة اقتصادات الجنوب، إذ فيها تحيز واضح ضد القطاع العام وتدخل الدولة. كما أن نظرة هاتين المؤسستين قصيرة الأجل لا تأخذ في الاعتبار برامج التنمية طويلة الأجل، وتتجاهل الدور الرائد الذي يقوم به القطاع العام في الدولة النامية.

إن قراءة متأنية لهذه الإجراءات توصلنا إلى عدم إمكانية الفصل بين المنطلقات الأيديولوجية لهاتين المؤسستين وبين دعوتهما إلى برامج التكيف الهيكلي وإعادة الهيكلية والتثبيت.

ومما يزيد من أثر اللبرلة المؤدلجة هو أن الدول المدينة لا تستطيع التوصل إلى اتفاق مع الدول الدائنة من خلال نادي باريس لإعادة الجدولة، أو تخفيف أعباء الديون والفوائد، أو الحصول على قروض جديدة من الدول الغنية إلا بعد أن تقوم بتطبيق الشروط التي تفرضها مؤسسات برتن وودز. ولا شك أن اللبرلة المؤدلجة التي تفرضها مؤسسات برتن وودز في مجال تقليص دور الدول أو الإجراءات التحررية الأخرى هي بمثابة تخريب.

إن التحركات المحمومة لدفع عمليات التحررية إلى أبعد مدى ممكن من أجل تدويل الوحدات الإنتاجية والخدمية ستفضي إلى نوع من الاختلالات العميقة الجذور في معظم الاقتصادات العربية. وإن الهجمة الاقتصادية التي تشنها مراكز المنظومة الرأسمالية على القطاع العام تحت شعار حرية الأسواق وشعار أهمية الاندماج بالاقتصاد العالمي لا علاقة لها بإصلاح الخلل في تلك الإقتصادات النامية، بقدر ما ترتبط بالعولمة الاقتصادية.

وسوف تدرك الكثير من الاقتصادات العربية حقيقة الطريق المسدود للتنمية عبر آلية دخول الاستثمارات الأجنبية بلا قيود، وعبر آلية التحررية الاقتصادية الجديدة، التي تحقق مصالح اقتصاد المنظومة الرأسمالية على حساب اقتصادات الدول النامية عمومًا، ومنها الاقتصادات الوطنية.

إن ما تطالبنا به المنظومة الرأسمالية لا علاقة له بالكفاءة، بل بإبعاد دور الدولة عن إدارة الأنشطة الاقتصادية حتى لاتكون عقبة أمام هيمنة الاستثمار المباشر والشركات متعددة الجنسية، وحتى لا تكون عقبة أمام سيطرة رأس المال متعدد الجنسية على مجريات الأمور في الاقتصاد النامي.

لقد حمَّل هذا التيار الأيديولوجي الذي يدعو إلى التحررية وفق شروط المنظومة الرأسمالية القطاع العام مسؤولية فشل برامج التنمية، في حين أن المنظومة الرأسمالية، وتدهور شروط التنمية العالمية، وتدهور البيئة الاقتصادية العالمية، والخلل في هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية، وعدم

تنسيق السياسات الاقتصادية الكلية للبلدان النامية، ومحاولات الدول الرأسمالية نقل عبء أزمة اقتصادها إلى بلدان الجنوب، وتدهور التعاون الاقتصادي متعدد الأطراف، وتنصل الدولة المتقدمة من التزاماتها تجاه التنمية العالمية، وعدم تنفيذ ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية، والسياسات الاقتصادية القصيرة الأجل والضيقة الأفق للبلدان الرأسمالية وغيرها-كلها هي العوامل الحقيقة وراء إضعاف برامج التنمية في البلدان النامية، ولا علاقة لها بدور القطاع العام في إدارة التنمية في الاقتصاد النامي. لذا فإن إلقاء اللوم في الإخفاق التنموي على القطاع العام فيه إخلال بوحدة التحليل الاقتصادي. وإن إلقاء اللوم على القطاع العام في البلد النامي ما هو إلا محاولة من المنظومة الرأسمالية لإبعاد التهمة عنها فيما سببته من ويلات واختلالات اقتصادية عالمية انعكست سلبًا على البلدان النامية.

لقد تناست المنظومة الرأسمالية مبدأ الترابط في الاقتصاد العالمي الذي يؤكد أن مشكلات البلدان النامية هي جزء من مشكلات الاقتصاد العالمي، وأن حل مشكلات هذه البلدان يساعد على إنعاش الاقتصاد العالمي. لذا فإن دعوة المنظومة الرأسمالية لتفكيك القطاع العام وتصفيته كعلاج شافٍ لمشكلات التنمية تخفي وراءها أهدافًا سياسية معروفة، وإن الدعوة للتحررية قد ركزت على أطروحة زيادة الكفاءة الاقتصادية عن طريق نقل شكل الملكية، لا عن طريق إعادة هيكلة القطاع العام وإصلاحه. ولقد أشارت الكثير من تجارب التخصصية إلى أن الكفاءة الاقتصادية لم تتحقق في الكثير من البلدان النامية بعد نقل الملكية من القطاع العام إلى القطاع الخاص.

إذا كانت النظريات التنموية والسياسات الاقتصادية التي تبنتها الدول النامية قد أضرت باقتصاداتها ولم تحقق لها تنمية تعالج الأصل الحقيقي للتخلف، فإن التحررية الاقتصادية الجديدة ليست أحسن حالاً. فهي لا تقدم حلولاً جذرية لمشكلات التنمية طويلة الأمد. وتلك السياسات تعاني من الأحادية، وهي أكثر التصاقًا بواقع اقتصادات الدول المتقدمة منه بواقع الاقتصادات النامية.

وإذا كانت الدعوة للتحررية الجديدة وسياساتها الاقتصادية قد تسللت إلى الاقتصادات العربية تحت ذرائع عدم كفاءة مشروعات القطاع العام، ودعوات إعادة الهيكلة الاقتصادية، ودعوات برامج الإصلاح الاقتصادي، ودعوات تنشيط تشجيع القطاع الخاص الأجنبي، فكلها دعوات محلية لغرض تسويق اجراءات هذه الدعوة بعد إخراجها بعبوات محلية جيدة الصنع والإخراج. ويحاول الخطاب المعاصر للتحررية الاقتصادية إقناع البلدان النامية بأن السبب في اختلالات اقتصادها يعود إلى القطاع العام، وإلى سياسات تدخل الدولة. وهذه الدعوة المؤدلجة تروج لتيار أيديولوجي جديد يطالب (تحت ذرائع متعددة) بتفكيك القطاع العام، ونقل ملكيته إلى القطاع الخاص الأجنبي.

ولقد أخذ هذا التيار التنموي المؤدلج ينتقد مجمل نظريات التنمية التي تؤكد على دور القطاع العام، ويدعو إلى تبني نظريات وسياسات تنموية بديلة تقوم على آلية السوق بلا قيود (الرأسمالية الطليقة). ويذهب هذا التيار المؤدلج إلى القول بأن الموارد الاقتصادية يمكن أن تستخدم بشكل أكثر كفاءة عن طريق آلية السوق الرأسمالية والاستثمار الأجنبي، مشيرًا إلى أن الاستثمار الأجنبي الخاص أكثر كفاءة في إدارة التنمية من القطاع العام، وأن منجزات التنمية تتحقق بشكل أفضل لو تم تقليص دور الدولة في الاقتصاد، وتم فسح المجال للشركات متعددة

الجنسية والاستثمارات الأجنبية.

ولقد أخذت الملامح الأيديولوجية للتحررية الجديدة تتضح شيئًا فشيئًا لتكشف عن نفسها من خلال:

- التأكيد على الوصفات الجاهزة لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

- الدعوة لتبني التحررية الاقتصادية طبقًا لرؤية المنظومة الرأسمالية.

- الترويج لتحرير التجارة الداخلية والخارجية طبقًا لوصفة منظمة التجارة العالمية.

- الترويج للاندماج بالاقتصاد العالمي طبقًا لشروط العولمة الاقتصادية.

وهكذا أخذ هذا التيار المؤدلج يتجاوز انتقاد دور القطاع العام ليشن هجومًا على دور الدولة الاقتصادي، وعلى الإخفاقات التي نتجت عنها وما آلت إليه من اختناقات اقتصادية، وما أدت إليه من تدنٍّ في مستويات الكفاءة الاقتصادية، وتفشي الفساد الإداري، والهدر في الموارد الاقتصادية.

لقد حصل هذا التيار الجديد على مباركة المنظومة الرأسمالية والمؤسسات الاقتصادية العالمية، وأخذت الدعوات تتزايد لدفع الدول للإسراع في الحصول على وصفة، أو تعويذة، صندوق النقد الدولي، راعي هذه الدعوة. هكذا هرولت الاقتصادات النامية، ومنها العربية، لتبني هذه الوصفات، معلنة هزيمتها واستسلامها لهذه الوصفات باعتبارها المنقذ التربوي الجديد. وهكذا أُسقطت بعض ركائز القطاع العام في العالم النامي، الواحدة تلو الأخرى، مسايرة لهذا التيار الأيديولوجي الجديد، ولكي لا يقال إن هذا البلد أو ذاك قد تخلف عن ركب العصر وروحه، وسيبقى يعاني من الاختلالات والتخلف. ولقد فات دعاة التحررية الجديدة أن ما يحدث في ظلها هو تنمية حقيقية للتخلف سوف تفضي إلى نوع من التبعية الجديدة، وسوف تدمج اقتصادات تلك البلدان كعالم ثالث مصنّع، أو كعالم رابع غير مصنّع، في السوق العالمية عبر العولمة الاقتصادية كأطراف وتخوم مهمشة مندمجة في السوق العالمية من موقع متخلف، وتحت سيطرة المنظومة الرأسمالية تؤدي وظائف محددة.

وبتزايد بناء هذه الدعوة أصبح القطاع العام في البلد النامي هو العدو المختلق، وأصبح الخطر الأكبر هو الخطر القادم من هذا القطاع، والتخلص من هذا القطاع هو شرط من شروط التنمية في اقتصاد القرن الحادي والعشرين. وأصبحت الشركات متعددة الجنسية والاستثمارات الأجنبية (بعد أن تم إعادة الترحيب بها في الاقتصاد الثاني) تشترط إبعاد القطاع العام عن طريقها، فهو مُعرقل. ويحاول الخطاب المعاصر الداعي لتقليص دور الدولة الاقتصادي أن يظهر تمسك الدولة القومية بعناصر السيادة الاقتصادية التقليدية ومقوماتها بأنه نوع من التخلف عن روح العصر، ونوع من القومية المتعصبة والمنغلقة. وهنا يحصل الوعظ بفتح الحدود، وتحرير الاقتصاد والتجارة العالمية، وإلغاء القوانين المقيدة للاستثمارات الأجنبية، وتقليص دور الدولة الاقتصادي. وقد يأتي هذا الوعظ من الخارج، ويردده حفنة من دعاة الكونية الاقتصادية.

ويقدر تعلق الأمر بالعلاقة بين العولمة الاقتصادية وتقليص دور الدولة الاقتصادي، فإن العولمة الاقتصادية (عالمية الاقتصاد) تقوم على مرجعية النظام الرأسمالي النيوليبرالي. وهذه المرجعية تقوم على تنحي الدولة عن الحضور في الميدان الاقتصادي

والاجتماعي كخطوة أساسية لإحكام الإدارة الشديدة المركزية على مجريات الأمر في الاقتصاد العالمي، أي أن العولمة الاقتصادية القائمة على أطروحة الليبرالية الاقتصادية الجديدة كعلاج لمشكلات الاقتصاد العالمي تعلن العداء المطلق للدولة والقطاع العام، وتعلن مشروعية اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية في ظل غياب دور الدولة الاقتصادي.

وفي ظل تقليص دور الدولة الاقتصادي لصالح المؤسسات الكونية المرتبطة بالاقتصاد العالمي والشركات متعددة الجنسية، تصبح الاقتصادات العربية مرتبطة بالمنظومة العالمية وتحت سيطرة الاقتصاد العالمي. وطبقًا لعملية الإلحاق، تقوم تلك الاقتصادات بوظائف اقتصادية معينة، وفقًا للخريطة الاقتصادية العالمية والإقليمية الجديدة. وستؤدي عملية الإلحاق إلى جملة نتائج من أبرزها:

- أن التنمية التي ستتم عبر عملية الإلحاق، بالرغم من أنها ليست ظاهرة وهمية، إلا أنها تتسم بكونها تنمية بالإنابة، وليست بالأصالة. والتنمية لا تتم بالإنابة وإنما بالأصالة، أي عدم إمكانية تحقيق التنمية وفق رؤية استراتيجية عربية، تنمية غير قادرة على معالجة الأصل التاريخي للتخلف الاقتصادي، وغير قادرة على معالجة الاختلالات البنيوية التي عانى منها الاقتصاد.

- استمرار المستوى المتدني للتنمية العربية في ظل هذا الإلحاق، وتمسك الاقتصاد العربي بأذيال الشركات عبر الوطنية.

- فتح أبواب الاقتصادات العربية من الشركات والاستثمارات الأجنبية والتجارة السلعية والخدمية الوافدة بحرية كاملة، وأخذ الشركات دورًا اقتصاديًّا متزايدًا في إدارة الأنشطة الاقتصادية الوطنية على حساب دور الدولة الاقتصادي.

ولعل أكبر الخطايا التي رافقت الدعوة الجديدة للتحررية، بالإضافة إلى تجاهل هذه الدعوة إصلاح القطاع العام وإعادة هيكلته، هو اختزال الإجراءات التحررية على الاقتراح بنقل الملكية إلى القطاع الخاص الأجنبي، بما في ذلك الإجراءات المشرعة لإزالة القوانين والتشريعات لتسهيل الاستثمارات الأجنبية دون تبني برامج اقتصادية شاملة ومتوازنة للإصلاح الاقتصادي. لذلك اقتصرت معظم برامج الإصلاح المرافقة للتحررية الرأسمالية على الأطروحات المالية والنقدية والتجارية، طبقًا لمتطلبات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وشروط نمو الاستثمارات الأجنبية.

لقد تمكنت المراكز المتقدمة من خلال تقليص دور الدولة الاقتصادي من احتلال موقع متقدم في إدارة الأنشطة الاقتصادية لتلك الاقتصادات، وعن طريق هذا الموقع تمكنت من إدارة هذه الاقتصادات إدارة اقتصادية مركزية من الخارج، وبذلك تحطمت أسوار الأمن الاقتصادي، وأصبحت هذه الأسوار شديدة الانخفاض. والليبرالية الاقتصادية الجديدة تدعو الدولة إلى التخلي عن بعض سيادتها الاقتصادية وسلطة القرار الاقتصادي. فهي تلزم الدول التي تلجأ إليها بأن تغير منهجها وتفكيرها ونمط تنميتها. وهذه الدعوات تعبر عن الفلسفة الاقتصادية للدول الكبرى، بعيدًا عن مشكلات التنمية طويلة الأجل للبلدان المعنية، وهي فلسفة رأسمالية للاقتصادات المتقدمة.

ويمكن القول: إن الوصفات الجاهزة التي تقدمها التحررية الاقتصادية الجديدة تعالج مشكلات نقدية ومالية من منظور رأسمالي صرف ينصب على

تقليص العجز في موازين المدفوعات، وإلغاء دعم الأسعار، وحرية التجارة، ورفع القيود على الاستثمار الأجنبي، وتحرير أسعار الصرف وأسعار الفائدة؛ وهذه المعالجات وجدت أصلاً لظروف غير ظروف البلدان النامية، ولا تتعلق باعتبارات الكفاءة الاقتصادية، أو بآفاق التنمية بعيدة المدى.

ولاشك أن تحريك مصادر النمو بتطبيق مناهج التحررية الجديدة لا يعد استراتيجية طوبائية بحتة لأن مثل هذه السياسات لا ينتج عنها سوى هياكل طرفية أكثر اندماجًا في المنظومة العالمية، وأن التمسك بهذه السياسات سيؤدي في نهاية المطاف إلى التمسك بأذيال الشركات متعددة الجنسية. لذا ترفع الشركات متعددة الجنسية شعار فتح الأسواق كاملة لكي تتمكن من الحصول على مواقع إنتاجية بأقل تكلفة، ويتمكن رأس المال متعدد الجنسية من السيطرة على الاقتصاد الوطني.

إن اللحاق بركب التنمية العالمية عبر آليات اللبرلة المؤدلجة ما هو إلا مشروع طوبائي. ونخلص من تحليلنا للبرلة المؤدلجة إلى ما يأتي:

- دعوة لسيادة النموذج الأيديولوجي للاقتصاد الليبرالي في دول الجنوب.

- إجبار دول الجنوب على تغيير منهجها وتفكيرها الاقتصادي.

- خطوة نحو تدويل الوحدات الإنتاجية والخدمية في اقتصادات الجنوب وعولمتها، تمهيدًا لدمج هذه الوحدات بالاقتصاد العالمي دمجًا تبعيًا.

- تركيز السلطوية والديكتاتورية الاقتصادية في مراكز المنظومة الرأسمالية.

- الإدارة الشديدة مركزية لمقدرات الاقتصادات الوطنية.

- إشاعة الفوضوية الاقتصادية داخل الاقتصادات الوطنية.

- تعميق التفاوت الداخلي في الدولة الواحدة، والتنموي بين مناطق الدولة.

وتشهد الكثير من دول العالم النامي تيارًا كاسحًا يدعو إلى تقليص دور الدولة الاقتصادي، والإزالة المتسرعة للقوانين والتشريعات والإجراءات الإدارية، وانسحاب الدولة من إدارة الأنشطة الاقتصادية، وفسح المجال للاستثمار الخاص الأجنبي وللشركات متعددة الجنسية لممارسة فعالياتها دون تدخل حكومي. وقد أخذ هذا التيار يدعو إلى تقليص مجمل أنشطة دور الدولة الاقتصادي، واصفًا هذا الدور بأنه السبب في الاختلالات الاقتصادية الداخلية والخارجية. وضمن موجة الليبرالية الاقتصادية الجديدة، أخذ هذا الدور ينحسر في الكثير من دول العالم النامي، تاركًا المجال للشركات والاستثمار الأجنبي لملء الفراغ، بعيدًا عن أي اعتبار يتعلق بالكفاءة الاقتصادية في تخصيص الموارد، وأي اعتبار يتعلق بمشكلات التنمية طويلة الأجل، خصوصًا التنمية الوطنية. ■

الأصالة في فكر الكواكبي*

د. جورج جبور**

أولاً: أهمية البحث ومخططه

يظل فكر عبد الرحمن الكواكبي خصبًا مولدًا للأفكار، بالرغم من كثرة ما كتب عنه. وإذا كان مبعث هذا الخصب حياة الكواكبي الفاعلة، فإن في طبيعة عنايته بفكره ما يخصب، لاسيما في تلاقح حياته مع فكره. عرف العرب في تاريخهم من اشتهروا بلقب عبيد الشعر، وهم طائفة من الشعراء كانت تعيد النظر في شعرها مرات على مدار الحول قبل أن تذيعه. ومن الحق أن أطلق على الكواكبي صفة أنه من عبيد الفكر الذين عتّقوا أفكارهم -أي نقحوها- عبر عقود. واستمرت عملية التنقيح بعد النشر، فإذا بالطبعات الثانية تختلف عن الأولى بحسب تطورات الظروف[1]. تضيف هذه الحقيقة إلى أعباء الباحث الجاد الذي يود أن يقدم خدمة حقيقية لفكر الكواكبي.

عنوان بحثي: «الأصالة في فكر الكواكبي»، وموضوعه يبقى بالغ الأهمية، على الرغم أنه عولج مرات كثيرة. وقد يصعب أن يؤتى فيه بجديد، مع أنني آمل ذلك، وأنا الأخير زمانه.

ومخطط البحث تقليدي يبتدئ بالنظر إلى مفهوم الأصالة في الفكر، لينتقل بعدها إلى التعريف بأفكار أصيلة لدى الكواكبي، ثم ليحاول اكتشاف أسباب هذه الأصالة. أما خاتمة البحث فاقتراحات في كيفية متابعة دراسة الأصالة في فكر التنويري العملاق.

ثانيًا: نظرة إلى مفهوم الأصالة في الفكر

بعيداً عن الخوض اللغوي والفلسفي في تعبير الأصالة، يمكن القول إن الأصالة هي الإبداع أو الابتكار أو الخلق، وهي نقيض الاقتباس أو الاتباع أو التقليد أو التكرار.

وفي حقلي التاريخ والفلسفة علم يعرف منذ عقود باسم علم تاريخ الأفكار. وهو يختلف عن علم تاريخ الفلسفة، من حيث أن العلم الأول يعنى بتناسل الأفكار، في حين يعنى الثاني بتتابعها. ويمكن التعمق في الفرق بين العلمين والتطويل في شرحه إذا أحببنا استعمال ما يسمى «لغة الفلاسفة الفنية» التي تحيط نفسها بهالة من الغموض الممجد أو المتمجد. إلا أنني لن أفعل ذلك.

في علم تاريخ الأفكار هشاشة لا يمكن تجاوزها، وفي المقابل ثمة قوام لهذا العلم لايجوز نكرانه، والشواهد كثيرة.

في العربية وصلنا بيت شعر جاهلي يقول: ما أرانا تقول إلا معادًا. ومع عنترة ننشد حتى اليوم: هل غادر الشعراء من متردَم.

وفي العالم الغربي، الذي يعزو أصل الأفكار إلى أثينا، ثمة حقل علمي يزداد رسوخًا وتألقًا يطلق عليه اسم علم **أثينا السوداء**، أي أن أصالة أفكار أثينا إنما أتت من الشعوب الأقل ابيضاضًا القاطنة إلى الجنوب من

* ألقي هذا البحث في ندوة «**الرؤى الإصلاحية للمفكر النهضوي عبد الرحمن الكواكبي**» التي عقدت في حلب خلال الفترة ٢٥ - ٢٧ / ٧/ ٢٠٠٦.

** أستاذ في قسم الدراسات العليا بكلية حقوق جامعة حلب؛ عضو مجلس الشعب؛ رئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة؛ عضو المنتدى.

أثينا في بلاد الرافدين ووادي النيل.

وفي تاريخنا الفكري العربي نشأ عن الانفتاح على فلسفة الآخرين علم الكلام وقمته المعتزلة[٢]. وما زال البعض يعتبر أن الازدهار الفكري العربي في فترات الأوج إنما كان كله، أو معظمه، اقتباسًا ولم يكن أصالة. ولا يخفى أنه إن كان في هذا الكلام صحة، **فإن جانب الصحة فيه يتم التأكيد عليه من قبل من لا يحب العرب، في حين يتم التقليل من شأنه من قبل من يحبهم. بتعبير أوضح: يخضع التمييز بين الأصالة في الفكر وبين اقتباسه إلى بعض الضوابط الموضوعية التي تطغى عليها في العادة الأهواء الذاتية المتلفعة بالضوابط الموضوعية**[٣].

وفي عصر النهضة العربية اكتسبت مسألة الأصالة والاقتباس أهمية خاصة. لقد تأخر العرب والمسلمون وشعروا بذلك، فأخذوا يطلعون على علوم الغرب التي اعتبروها سبب تقدمه. وحين تطلع على علم غيرك النافع لك، فلا مندوحة لك عن التأثر به، بل وعن تبنيه، أو كما نقول اليوم: عن توطينه. وتشبه هذه العملية عملية أخذ التلميذ عن معلمه. لكن هذا لا يعني أن باب الأصالة موصد. والسؤال هنا: **كيف يفتح باب الأصالة وباب الاقتباس مفتوح؟ والجواب سهل: يفتح باب الأصالة حين يتم تعديل الاقتباس لينسجم مع الواقع الذي نود التأثير فيه.**

ولنلاحظ أن كثيرًا من المفكرين العرب الذين تأثروا بالغرب إنما جرى اعتبارهم إما مقتبسين نقلة شبه مغفلين إن صحت نيتهم الوطنية، أو عملاء للأجنبي إن لم تصح تلك النية. وآخر مثال على الاتهام بالعمالة ما يتعرض له منذ أشهر فيلسوف الفريكة أمين الريحاني[٤].

وعانى الكواكبي من هذا الاستعداد الفكري النفسي. ألبرت حوراني، في كتابه الشهير القيم بعنوان **الفكر العربي في العصر اللبرالي** (١٩٦٢)، يظلم الكواكبي، إذ يعتبره، في معظم أفكاره، مقتبسًا [٥]. ولعل الكواكبي، بأمانته العلمية التي يهنأ عليها، ساهم في ظلم نفسه، إذ تحدث في الطبعة الأولى من طبائع **الاستبداد** عن فحوى ما جاء فيه موضحًا أن من الأفكار الواردة فيه «**ما درسته ومنها ما اقتبسته**». وفي الطبعة الثانية من **الطبائع** حذف تعبير: «**ما اقتبسته**»[٦]. وبالطبع نعلم أن الحوراني، وغيره ممن جاراه، ظلم الكواكبي في موضوع أخذه عن كتاب الإيطالي فيتوريو ألفيري Vittorio Alfieri وعنوانه في **الاستبداد** *Della Tirannide* المنشور عام ١٨٠٠، على الرغم من أن الحوراني يشير إلى أن رشيد رضا، في رثائه الكواكبي، أوضح بطلان القول بالاقتباس.

ومن المثير للقلق الفكري أن موضوع الأصالة والاقتباس ما يزال معنا بكل جدية، لاسيما أننا نحاول الدمقرطة باعترافنا بضرورتها وبالضغط الخارجي علينا لتبنيها. من نحب أفكاره من المدمقرطين نميل، في الغالب، إلى وصفه بأنه مفكر أصيل، و من لا نحبه منهم نميل، في الغالب، إلى وصفه بأنه مقتبس، وقد نتجاوز ذلك فنصفه بأنه عميل. ثم، من يدري؟ قد يكون بعض المدمقرطين عملاء. وبالمقابل: من يدري! قد يكون غيرهم كذلك.

ثالثًا: التعريف بأفكار أصيلة لدى الكواكبي

كثيرة هي الأفكار الأصيلة لدى الكواكبي. وأكتفي هنا بالتعريف بثلاثة منها.

١ - التيقظ للقومية العربية، وبناؤها على اللغة

يمكن التأريخ لجذور المشاعر القومية العربية في بلاد الشام بالعودة إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر. و نجد المثال الأبرز للتعبير عن هذه المشاعر لدى

الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى عام ١٧٣١ . إلا أن هذه المشاعر الجنينية لم تبرز على نحو واضح إلا مع قدوم إبراهيم باشا إلى سورية . ومن المعلوم أنه ينسب إلى إبراهيم باشا قوله في حلب بأن جيوشه سوف تتوقف حين يبلغ أرضًا لايتكلم سكانها العربية . ومع بدء عهد التنظيمات الرسمي في ١٨٣٩ ازداد ظهور المفاهيم القومية(٧). والتقط الكواكبي هذا الاتجاه فعبر عنه بأساليب متعددة . وبالطبع ثمة علاقة دقيقة وملتبسة بين القومية العربية والدين الإسلامي . فالقومية العربية تضم المسلمين والمسيحيين، والدين الإسلامي يضم مسلمين غير عرب . وهذه العلاقة كانت دقيقةً وملتبسةً أيضًا بين الهوية العثمانية والدين الإسلامي، وقد حسمها نظريًا الخط الهمايوني عام ١٨٥٦ ، ثم الدستور العثماني عام ١٨٧٦ .

وإذا كان علينا- بمقتضى تقاليد الصرامة العلمية- أن نعمق بحثنا في التفاعل بين حياة الكواكبي وفكره لكي نتبين مدى تيقظه للقومية العربية وبنائها على اللغة ، فإن من الثابت في مقاربته الموضوع أن الود كان مفقوداً بينه وبين الفكرة العثمانية التي حاولت زرع مفهوم الأمة العثمانية . كما أن من الثابت أيضًا أنه استعمل كلمة أمة للدلالة على الأمة العربية التي لم يحدد مداها الجغرافي- وكلامي هنا يتطلب توثيقًا أدق .

ثم إن من الثابت أن الكواكبي، في **أم القرى**، قدم وجهة نظر عالية القيمة الفكرية والقومية حين فضل العرب على غيرهم من الشعوب الإسلامية، كما في هذا المقتطف الذي ينسبه الكواكبي إلى اجتماع الوداع الذي عقدته جمعية أم القرى في رابع أيام العيد :

«١٩- العرب عمومًا لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من أن تموت .

٢٠- العرب لغتهم هي اللغة العمومية بين جميع المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون .

٢١- العرب لغتهم هي اللغة الخصوصية لمئة مليون من المسلمين وغير المسلمين .

٢٢- العرب أقدم الأمم اتباعًا لأصول تساوي الحقوق، وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية .

٢٣- العرب أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية .

٢٤- العرب أهدى الأمم لأصول المعيشة الاشتراكية .

٢٥- العرب من أحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة إنسانية، واحترام الجوار شهامة، وبذل المعروف مروءة .

٢٦- العرب أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعًا في الدين وقدوة للمسلمين، حيث كان بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداءً، فلا يأنفون عن اتباعهم أخيرًا .

فهذه هي الأسباب التي جعلت جمعية أم القرى أن تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية، بل الكلمة الشرقية . »(٨) .

ومما يذكر هنا أن الكواكبي حين أوضح «أسباب ميل الجمعية للعرب»، وضع قائمة من (٢٦) سببًا تحدثت السبعة الأولى منها عن فضل جزيرة العرب (١-٧)، وتحدثت إحدى عشرة منها عن فضل عرب الجزيرة (٨- ١٨)، في حين تحدثت الثمانية الباقية منها عن فضل العرب، وهي التي أدرجناها أعلاه .

ومن الأمور التي يجب التوقف عندها في تأريخنا لتبلور فكرنا القومي أمر المقارنة بين إسهامَي الكواكبي وساطع الحصري . وكفرضية أولى أقول : وضع الكواكبي بذورًا أنبتت جذورًا وثمارًا لدى فيلسوف

القومية العربية الكبير، وأنه، أيضًا، استلهم، أكثر مما فعل الحصري، علاقة العرب الفريدة بالإسلام. وفي هذا المجال يحسب للكواكبي أن التيار، الذي يحاول «التآخي» بين القوميين والإسلاميين، يردد اليوم بعض ما قاله التنويري الكبير قبل أكثر من قرن.

٢- محاولة ضبط العلاقة بين الدين (وهو الإسلام) وبين الدولة

كان من الصعب، عبر العصور، ضبط العلاقة بين الدين، أي دين، وبين الدولة و/أو السياسة. عرف التاريخ أنموذج الدولة الدينية، كما عرف أنموذج الدولة التي تجعل الدين، أو تحاول جعله، خادمًا لمصالحها. كذلك عرف التاريخ أساليب مختلفة لضبط العلاقة بين الدين والدولة، ومنها محاولة الفصل بينهما.

ولعل أوضح محاولة للفصل بين الدين والدولة هي تلك التي قامت بها فرنسا بعد الثورة الفرنسية بقليل، وفشلت فيها. ففي يوم ٢٢/ ٩/ ١٧٩٢ أُعلن التقويم الثوري، وبموجبه أُلغي الأسبوع لما له من دلالة دينية، وأقيم مكانه الأعشور الذي يتكون الشهر (وهو ثلاثون يومًا دائمًا) من ثلاثة منه. وأُلغي التقويم الأعياد الدينية، ومُعظمها- وربما كلها- مرتبط بالتقويم القديم غير الثوري. إلا أن كل «ثورة جنون العقل» هذه (والتعبير لي) لم تدم إلا قليلاً، وعاد الدين ليتصل بالدولة، على الاقل، عن طريق التقويم وما يتضمنه من أعياد(٩).

ومسألة ضبط العلاقة بين الدين والدولة ليست سهلة. وهي تجلت في نقاشات سياسية كثيرة عرفتها فرنسا، خاصة بين بدء مسألة دريفوس عام ١٨٩٤ وحتى صدور قانون العلمنة عام ١٩٠٥. ومن المعلوم أيضًا أن هذا القانون خضع لمناقشات مجددة في فرنسا بمناسبة الذكرى المئة لصدوره في عام ٢٠٠٥، ولم تسفر هذه المناقشات المجددة عن شيء على حد ما أعلم.

أين يقف الكواكبي من هذه المسألة التي دخلت في صلب الفكر السياسي كما تطور في الدولة العثمانية منذ عام ١٧٩٢، حين طرح السلطان سليم الثالث على ٢٢ شخصية من الحكماء السؤال الأساس: لماذا تخلفت الإمبراطورية(١٠)؟

ليس سهلاً تقديم جواب شاف عن موقف الكواكبي من موضوع العلاقة بين الدين والدولة. وإذا كان الباحث جان داية قد أبدع في تبيانه أن ذلك الموقف اعتمد على فصل الدين عن الدولة، فإن ثمة، في مواقع متعددة من كتابات الكواكبي، ما يفيد بوجود صلة ما بين الدين والدولة، والشاهد كتابه **أم القرى**.

إن الثابت أن الكواكبي كان أول المفكرين العرب المسلمين اقتراباً من فصل الدين عن الدولة، ومن مبدأ ضرورة تبني العلمانية في السياسة، أي ضرورة ابتعاد رجال الدين عن السياسة.

وتبقى كلماته الذائعة في هذا الشأن واضحة لا تقبل الالتباس: **«دعونا ندير حياتنا الدنيا، ونجعل الأديان تحكم في الأخرى فقط. دعونا نجتمع على كلمات سواء، ألا وهي: فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن»**. أما الضوابط التي وضعها للعلاقة بين الإسلام وبين الدولة، فهي واضحة في أماكن من كتاباته، كما في المقتطف قبل قليل، وملتبسة في أماكن أخرى. **وتكمن أصالته في اضطلاعه بشرف ريادة البحث الجاد بهذا الشأن** الذي مايزال معنا حتى اليوم، بل ولعله بحث يزداد راهنية عقلية وعاطفية معًا(١١).

ومن الثابت، بعد هذا، أن الكواكبي لم يلغ مبدأ الخلافة، وهو مبدأ لم يكن مطروحاً إلغاؤه في عصره، بل جعل «للعرب الخلافة»، وضيق من صلاحيات الخليفة. وهنا أيضًا دلّ إسهامه على أصالة فكره.

٣- الكشف عن طبائع الاستبداد

لاريب أن كشف الكواكبي عن طبائع الاستبداد، في كتاب قليل عدد الصفحات، أنيق اللغة دقيقها، عميق الأفكار، حافل بالتأملات التاريخية والمستقبلية، مشبع بالإشارات إلى الخبرة العربية، إنما هو أصالة بكل ما في الكلمة من معنى، بالرغم من محاولات قام بها البعض، من الذين يحبون تقزيم هامات المفكرين النهضويين العرب، لتصويره على أنه لم يكن سوى مقتبس عن مؤلف إيطالي هو فيتوريو ألفيري.

وفي سيرة الكواكبي ما يدحض محاولة التقزيم هذه. ترجم كتاب ألفيري إلى التركية في جنيف عام ١٨٩٧. إلا أن بعض معاصري الكواكبي في حلب ذكروا أنه أطلعهم على صفحات من كتاب **طبائع الاستبداد** في أواخر السبعينيات. ثم إن الكواكبي أورد في كتابه أسطرًا من كتاب المؤلف الإيطالي ونسبها إليه، وليست الإشارة إلى كتاب أو مؤلف مقتبس منه «شيمة» من شيم من يود الاقتباس دون ذكر المصدر[١٢]. كذلك فكتاب الكواكبي حافل باستخلاص العبر من التاريخ العربي والإسلامي، وبتنزيل أحكامه في الاستبداد على وقائع تاريخية عربية وإسلامية، فهل استخلص المؤلف الإيطالي العبر من تاريخنا؟ ثم إن الكواكبي يهنأ، إذ كتب في صدر الطبعة الأولى من كتابه أنه اقتبس بعض المباحث. ولعل أمانته العلمية، باعترافه أنه اقتبس، هي التي جرأت عليه ضعاف النفوس فاتهموه بأنه «عرّب» كتاب ألفيري. ولعله ضاق في حياته بضعاف النفوس هؤلاء فحذف من الطبعة الثانية إشارته إلى الاقتباس.

في كل حال يبقى كتاب **طبائع الاستبداد** كتابًا رائعًا رائداً في النهضة العربية، ويبقى له سحره الأخاذ، وتبقى له منافعه في توسله من قبل من يرون أنهم وقعوا ضحية استبداد. ولعل في الاستنجاد بالطبائع الذي قام به الأديب زكريا تامر، حامل وسام الاستحقاق السوري (وقد منحه إياه السيد الرئيس بشار الأسد، رئيس الجمهورية)، لعل في ذلك الاستنجاد الذي تم أواخر السبعينيات[١٣]، دلالة على عمق أثر كتاب الكواكبي في وجدانات المثقفين العرب.

ثم إن من الصرامة العلمية أن نقارن بين نص كتاب المؤلف الإيطالي ونص كتاب الكواكبي، وهذا لم يحصل بعد. كما أن من المفيد أن نقارن بين **طبائع الاستبداد** وبين **الصحائف السود** لولي الدين يكن (١٨٧٣ - ١٩٢١) لنرى مدى تأثر يكن بالكواكبي. وبالطبع من المفيد دائمًا أن نقارن بين ما كتبه الكواكبي عن الاستبداد وبين الكثير الذي كتب عن الاستبداد الحميدي. وذلكم كله عمل للمستقبل وضعته تحت الجزء الختامي من هذا البحث.

رابعًا: ما أسباب الأصالة في فكر الكواكبي؟

ولد الكواكبي قبل عام واحد من صدور الخط الهمايوني، الذي ألغى نظام أهل الذمة وأعلن مبدأ المساواة في المواطنة. وأصدر **الشهباء** عام ١٨٧٨ بعد أقل من عامين من صدور الدستور العثماني الأول عام ١٨٧٦ [١٤]. ثم غادر إلى مصر بعد نيف وعقدين من حكم عبد الحميد الثاني الذي كانت سلطته المطلقة تترسخ كلما رسخت قدمه في الحكم. أبصر النور في عهد بزوغ فجر التنظيمات، وعاش في عهد كسوفها الكلي. لكنه لم يكن مع السلطة حتى في أوج انفتاحها العام، أو في أوج انفتاحها الخاص عليه أيام حاولت استرضاءه.

تميزت حقبة الكواكبي بالبحث الجاد في موضوع الهوية. قبل ١٨٥٦ كانت الدولة دولة المسلمين، فأصبحت بعد ذلك التاريخ دولة المواطنين.

في دولة المسلمين بقي غيرهم خارج إطار الشأن العام.

في دولة المواطنين يعامل الإطار العام الجميع دون تمييز. ولكن هل يكفي صدور فرمان، هو الخط الهمايوني، ثم الدستور، ليتحول ولاء الناس من دولة ذات فلسفة معينة إلى دولة ذات فلسفة مغايرة (١٥)؟

ثم إن دولة المواطنة العثمانية تضم خلائط من الأقوام، وللعرب حصة محترمة. وفي العرب مسلمون ومسيحيون، وليس في الأتراك مسيحيون. ألم يكن طبيعيًا إذن أن يشعر الكواكبي بأن العرب كيان قائم بذاته يتضمن، فيما يتضمن، أخوة إسلامية مسيحية؟

وهذه الأخوة الإسلامية المسيحية القائمة على مبدأ المساواة في المواطنة، أليست مدخلاً لفصل الدين عن الدولة؟ أو على الأقل لوضع ضوابط في العلاقة بين الدين والدولة؟

يؤرخ لاصطدام الكواكبي الأول مع السلطة العثمانية نقله عام ١٨٧٧ في جريدته **الشهباء** مظلمة تعرض لها بعض الارمن حين طلب منهم تغيير أسمائهم (١٦). كان الكواكبي، في نقله المظلمة وحماسته لدفعها مواطناً وفياً للخط الهمايوني وللدستور العثماني حديث الولادة. إلا أن المسؤول الحكومي الذي اصطدم الكواكبي به لم يكن مخلصاً لما تعهدت به حكومته.

وفي الحقيقة منذ صدر الدستور العثماني الأول، ثم منذ بدأت تجربة مجلس المبعوثان، عام١٨٧٧، أصبح البحث في الهوية، المرتبط بالبحث في الديمقراطية، مسألة الفكر السياسي الأولى. جوبه مجلس المبعوثان بمشكلة اللغة. وفرضت مشكلة اللغة مسألة الهوية القومية. وفرضت مسألة الهوية القومية الأمر الأكثر دقة: العرب في دولة الخلافة العثمانية هم المجموعة الإسلامية الأكبر، إذ يفوق عددهم عدد الأتراك. وهم مادة الإسلام الأولى، فلماذا لا يكونون، باسم الديمقراطية، ولاة الأمر في الدولة؟ ضمن هذا الإطار من التفكير سريعًا ما نتوصل إلى طبائع الاستبداد وأم القرى.

كان عصر الكواكبي مترعًا بمناقشة المسائل الأساسية التي تشغل رعايا الدولة العثمانية، إلا أن تلك المناقشة لم يسمح لها بأن تكون واضحة المعالم عن طريق العلنية. كانت تلك أيام غرائب المكتوبجي التي قدمها لنا الصحفي سليم سركيس في كتيبه الذي نشر لأول مرة عام ١٨٩٦ (١٧). ولم يقنع الكواكبي بأن ينسجم مع الغرائب، فارتحل إلى مصر التي لولا ارتحاله إليها، لما أتيحت له -في الارجح- فرصة أن يوصل إلى معاصريه وإلى الأجيال التي أتت بعدهم رائعتيه: **الطبائع وأم القرى**.

ثم إن الكواكبي، سليل الدوحة النبوية الشريفة، كان منشغلاً بمكان الإسلام في عالمنا المعاصر (١٨). وقد ابتكر لهذا المكان صيغتين تأتلفان مع قوميته العربية، ومع فصله الدين عن الدولة. فللعرب الخلافة، وللإسلام، كناظم عام للمجتمع، قواعده «العامة التشريعية التي تبلغ مئة قاعدة وحكم كلها من أجلّ وأحسن ما اهتدى إليه المشرّعون من قبل ومن بعد».

قدم الكواكبي إجابات أصيلة عن المسائل الفكرية السياسية التي أثيرت في عصره، والتي كانت أثيرت قبل عصره واستمرت إثارتها بعد عصره. ولأنه كان فاعلاً سياسيًا (ألم يكبر عمره لكي يتسنى له خوض انتخابات عام ١٨٧٧؟) فعلينا أن ننظر بجدية إلى ما يقال من أنه لم يكن رجل حسين توفيق أو رجل إيطاليا، بل كان يسعى لكي يكون هو نفسه الخليفة (١٩). وبالإمكان أن ننظر إلى ما وصلنا منه على أنه بيانات انتخابية سياسية أطلقها ليأخذ بالزمام العام. وليس في هذا الإمكان أي انتقاص من قيمته الفكرية، بل على العكس من ذلك. إنها شهادة بعلو تلك القيمة، فالعالم إنما يُمتدح بأنه عامل، وقد عرف رشيد رضا قدر الكواكبي حين وصفه في مطلع رثاء له بأنه العالم العامل.

خامسًا: كيف نتابع؟

لمزيد من البحث الأصيل في أصالة فكر الكواكبي يحسن القيام بجهدٍ علمي مدقق. وتدقيقنا هذا مبرر لأنه يصح اعتبار الكواكبي المفكر التنويري الأول، بإطلاق، في بقعة جغرافية عرفت تاريخيًّا باسم بلاد الشام، ويعرف بعضها الآن باسم سورية، ولأنه يصح اعتباره المفكر العربي والإسلامي الأول في مواضيع ذات أهمية استثنائية في أيامنا هذه، مثل مكان الدين في الدولة، ومثل كيفية التخلص من الاستبداد.

من أوائل ما ينبغي القيام بجهد علمي مدقق فيه دراسة مدينة حلب وموقعها في الحركة التنويرية أيام الدولة العثمانية. كانت حلب إحدى ثلاث مدن تنويرية في الدولة العثمانية، وإلى جانبها إزمير وتسالونيك. تميزت هذه المدن الثلاث بقربها من مقر السلطنة، ولكنها تميزت أيضًا بارتفاع هاماتها الفكرية، وبوجود أقليات دينية وإثنية نافذة فيها، وبوتيرة عالية من تدخل الأجانب في شؤونها[٢٠]. في حلب كانت قومة أبناء البلد بما تحمله من تفسيرات مختلفة[٢١]. ومنها قبل أكثر من نصف قرن انطلق سليمان الحلبي إلى مصر ليقتل الجنرال كليبر في عمل بطولي رائع مستمر في استثارته بالإعجاب[٢٢]. وفيها، وقبل ذلك، كان انتشار القنصليات الأجنبية، وكان استقطابها للتجارة الدولية. ثمة ما أطلق عليه اسم «علم حلب» Aleppologie والحاجة ماسة للتعمق في هذا العلم.

إلى جانب دراسة مدينة حلب وموقعها في الحركة التنويرية، علينا دراسة الإصلاحات العثمانية، ليس من بدء الإطلاق الرسمي لهذه الإصلاحات عام ١٨٣٩، بل قبل ذلك أيضًا. علينا أن ندقق في كيفية الاستجابة الحكومية والشعبية لهذه الإصلاحات ذات المعالم البالغة في الأهمية، من قبول غير المسلمين في الجيش العثماني، إلى إصدار مجلة الأحكام العدلية، وهي القانون المدني العثماني الذي تصدرته القواعد الكلية[٢٣] (وإليها يشير الكواكبي، في بعض كتاباته)، إلى إصدار قانون الجزاء العثماني الذي قطع الصلة بالعقوبات الجسدية المنصوص عليها في النصوص الشرعية[٢٤]، إلى إصدار قانون الجمعيات الذي حاول تنظيم قطاع النشاط الأهلي، بما في ذلك من صعوبة. ولا يستهين أحد بما حصل من تطوير آنذاك، وفي عهد عبد الحميد الثاني نفسه، بطل الاستبداد، الذي أراد أن يكون الرمز الأعلى للإسلام والمسلمين، والذي يشكر له موقفه في التمسك بعروبة فلسطين وإسلامها. في عهده كانت القواعد الكلية التي أشرت إليها قبل قليل، ولؤلؤتها تلك القاعدة التي نصها: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان». وليس من الخطأ هنا أن نقول بأن الكواكبي كان ينتمي إلى مدرسة الفكر العثماني الرسمي في عملية التطوير، فآراؤه لا تختلف عن آرائها في شؤون كثيرة- وإن اختلفت عنها في شؤون أخرى أهمها عدم تبنيه لمفهوم الأمة العثمانية. إلا أنه لم يكن يثق بحسن نية النظام في تنفيذ أفكار التطوير، ولم يكن يثق بآليات النظام المعتمدة لذلك التنفيذ.

ثم إن هنالك جوانب غامضة في حياة الكواكبي علينا استجلاؤها وقد لانستطيع. لقد كبر عمره لكي يخوض معركة انتخابات عام ١٨٧٧، فهل خاضها؟ ثم: صدر الدستور العثماني الأول عام ١٨٧٦ وعلى أساسه جرت الانتخابات. كان الكواكبي في صدر اندفاعته. هل علّق عليه؟ ثم صدرت سلسلة قوانين علمانية لم يكن مصدرها حكم الشرع، بل إرادة الحاكم التي تحاول تقليد قوانين الدول الغربية[٢٥]. ماذا كان موقفه منها؟ وفي باريس كانت ثمة مسألة دريفوس عام ١٨٩٤ التي بدءًا منها انطلقت أهم سلسلة أحداث مؤثرة في المنطقة العربية ككل. هل علم بها؟ هل اهتم لها؟ لماذا تحفل كتابات رشيد رضا بالإشارة إلى موضوع فلسطين،

وتخلو منها كتابات الكواكبي؟ ألم يسجل رشيد رضا بدءًا من عام ١٨٩٨ - وهو العام الذي به وصل الكواكبي إلى مصر - وباستمرار قلقه من المشروع الصهيوني في فلسطين بعد مؤتمر بال عام ١٨٩٧ [٢٦]؟

وتطول الأسئلة وتتكاثر إن أحببنا أن نتقن متابعة موضوع الأصالة في فكر الكواكبي. وأكتفي هنا بذكر ثلاثة اقتراحات يقودنا السير فيها إلى مزيد من الإتقان.

١- من المفيد أن نقارن فكر الكواكبي بفكر من عاصره من المفكرين في بلاد الشام وفي البلاد العربية. أذكر بعض الأسماء مرتبة بحسب تاريخ الولادة: جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨-١٨٩٧، عبدالله النديم ١٨٤٥-١٨٩٦، محمد عبده ١٨٤٩- ١٩٠٥، شبلي شميل ١٨٥٠- ١٩١٧، رشيد رضا ١٨٦٥- ١٩٣٥، شكيب أرسلان ١٨٧١- ١٩٤٦، ولي الدين يكن ١٨٧٣- ١٩٢١، فرح أنطون ١٨٧٤- ١٩٢٢، أمين الريحاني ١٨٧٦- ١٩٤٠، ساطع الحصري ١٨٨٢- ١٩٦٨ [٢٧]. ما هي المواضيع التي عالجها الكواكبي ولم يعالجها غيره وبالعكس؟ ولماذا؟ أين يتقاطع فكر الكواكبي مع هؤلاء، وأين يفترق؟ ولماذا؟

٢- تعرّض الكواكبي لتشويه سيرته من قبل سيلفيا حاييم، الأستاذة في جامعة لندن، وهي، وزوجها إيلي خضوري، الأستاذ في الجامعة ذاتها، من المناهضين الأشداء لمفهوم القومية العربية. وقد قرأت لها، أو لهما، دراسات موثقة توثيقًا ممتازًا (ولكنه يفصح عن غرض) عن أبرز التنويريين العرب من جمال الدين الأفغاني إلى جورج أنطونيوس. وكان لهذه الكتابات التشويهية أثر. ألبرت حوراني مثلاً، وهو من هو علو قامة والتزامًا بأساسيات الثقافة العربية، أبدى اهتمامًا واسعًا شبه تعاطفي مع ما حاولته حاييم من سلب الأصالة عن فكر الكواكبي في دراستين لها ظهرتا في مجلة *Oriente moderno* عامي **١٩٥٤ و١٩٥٥**. ظهر كتاب الحوراني الشهير عن **الفكر العربي في العصر الليبرالي** عام ١٩٦٢، وكان لي حظ مجالسته مرارًا لدى إلقائي محاضرات في جامعة أوكسفورد مطالع عام ١٩٧٦. فاتحته بانطباعي بأنه ظلم الأصالة في فكر الكواكبي، لاسيما باعتماده على دراستي حاييم. وكان مما قاله أنه تابع تلك المجلة وغيرها من المجلات المتخصصة آملاً أن يرى انتقادًا للدراستين من محبي الكواكبي فخاب أمله. وقد سررت لأن الأستاذ سعد زغلول الكواكبي، الحفيد، أشار مطولاً إلى محاولات تشويه صورة الكواكبي، كما سررت لأنني ذات يوم اعترضت على «تعظيم» قيمة إيلي خضوري في مؤتمر عقد عام ١٩٧٧، ونجحت في عزله ضمن ذلك المؤتمر على نحو ما أوردت في كتابي نحو علم عربي للسياسة [٢٨]. وأتساءل: هل قام أحد بترجمة الدراسات التي حاولت تشويه فكر الكواكبي بسلب الأصالة عنه؟ لاأدري ولكنني لاأظن.

٣- حين احتفلت الجمهورية العربية المتحدة بالكواكبي عام ١٩٥٩، اعتبرت مناسبة الاحتفال ذكرى مرور خمسين سنة على وفاته، وهذا خطأ بالطبع [٢٩]. أرجو أن يتعمق اهتمامنا بمفكرينا. وفي موضوع الكواكبي أقترح أن يكون ثمة مركز لدراسات الكواكبي في جامعة حلب [٣٠]، وأن يصدر كتاب بيبليوغرافي بالدراسات الجادة عنه، وفي الطليعة منها دراسات حفيدين له [٣١]، ودراسات الدكتور محمد جمال طحان والأستاذ جان داية. كذلك أقترح أن يكون ثمة مؤتمر سنوي عنه في ذكرى وفاته، وأن تنشأ حلقة فكرية تعنى به تحمل اسم: «جمعية أصدقاء الكواكبي». ثم لماذا لا ننشئ كرسيًا جامعيًا باسم كرسي الكواكبي [٣٢]؟ ولاحد للاقتراحات التي ترد إلى الذهن وهدفها إشهار الكواكبي أستاذًا للديمقراطية وحقوق الإنسان نفاخر به في وقت بات فيه الحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان خبزًا يوميًا في عالمي الفكر والسياسة.

هوامش:

١- في الطبعة الأولى من **طبائع الاستبداد** (وعلى غلافها: طبع على نفقة محمد عطية الكتبي، مطبعة الأمة. . . بمصر) مقدمة من صفحة فيها أن «سمي عم النبي العباس الثاني ناشر لواء الحرية»، وفيها أنه نشر «في بعض الصحف الغراء أبحاثًا . . . منها ما درسته ومنها ما اقتبسته». في طبعات لاحقة وصف العباس الثاني بأنه ناشر لواء الأمن. كما حذف: ومنها ما اقتبسته. ويعلق رشيد رضا على تغيير الكواكبي وصف الخديوي عباس فيرى أن سببه يكمن في أنه «كان له أمل في مصر وأميرها أراه الاختبار خلافه». عن سعد زغلول الكواكبي: **عبد الرحمن الكواكبي: السيرة الذاتية** (بيروت، دار بيسان، ١٩٩٨) ص ١١٠-١١٢.

٢- المعتزلة مدرسة فكرية أصيلة في التاريخ الإسلامي، وكان تأثرها بفلسفة اليونان واضحًا، بل إنها تأثرت بفكر لاهوتيين مسيحيين ضمن الدولة العربية. يقول المؤرخ الكبير جواد علي: «قد يكون يوحنا الدمشقي نجح بعض الشيء في إثارة جذوة تلك المسائل الكلامية»، عن المطران (وحاليًا البطريرك) أغناطيوس هزيم في كتاب: **المسيحية عبر تاريخها في المشرق** (بيروت، ٢٠٠١ في ٩١٩ صفحة) ص٤٨٩. والمقتطف من مقال لجواد علي بعنوان «يوحنا الدمشقي» نشرته مجلة الرسالة ١٩٤٥، ص٣٠٨. وعن المعتزلة انظر دراسة لجورج جبور: «خلق القرآن كمذهب للدولة» نشرت على حلقتين في جريدة البعث (عام ١٩٩٦ كما أظن)، ويتم توسيعها حاليًا للنشر على هيئة كتاب ومعها تحليل لكتاب الدكتور عادل العوا عن المعتزلة. نشر التحليل في مجلة نهج الإسلام قبل حوالي ١٠ أعوام وأعيد نشره مؤخرًا في مجلة العروبة البحرينية.

٣- وهذا شأن العلوم الاجتماعية بعامة، حيث تتيح هذه العلوم «للغرض» أن يظهر متلفعًا بالعلم. أنظر: جورج جبور: **الفكر السياسي المعاصر في سورية** (دمشق وبيروت، ط ٢، المنارة، ١٩٩٣) ص١٣. وأيضًا جبور: **الحياة الحزبية في سورية ومستقبلها** (دمشق، ٢٠٠٤) ص٤٦.

٤- بدأت مجلة **الهلال** الشهرية المصرية هذه الحملة على الريحاني في أعدادها: شباط/ فبراير وآذار/ مارس ونيسان/ إبريل ٢٠٠٦. وقد تصدى كثيرون للرد، وفي طليعتهم الأستاذ الدكتور أمين ألبرت الريحاني، قريب الفيلسوف ومجدد ذكراه. أنظر مثلًا: النهار ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٦، صفحة ١٩ التي خصصت في معظمها للرد.

٥- نشر بالإنجليزية من قبل مطبعة جامعة أوكسفورد، وقد نقل إلى العربية قبل نحو من عقدين. لم يخصص الحوراني للكواكبي إلا أقل من ٣ صفحات، وفي هوامشه إشارة إلى دراستين نشرتهما سيلفيا حاييم التي يأتي الكلام عنها وعن زوجها إيلي خضوري في موضع لاحق.

٦- أشرت إلى هذا الأمر في الهامش (١) أعلاه. ومن واجبي الفكري هنا أن أثبت خلاصة حديث ذي صلة بالاقتباس والأصالة في حياتنا الثقافية العربية بعامة، وفي كتبنا الجامعية التي تدرّس للطلبة بخاصة. دار الحديث بين الأستاذ الدكتور فؤاد شباط، رحمه الله، عميد كلية حقوق جامعة دمشق لسنوات طويلة وأحد أبرز الأكاديميين العرب، وبيني، أواخر عام ١٩٧٦ لدى إهدائي له نسخة من كتابي: **العروبة في دساتير الأقطار العربية**. بادلني العميد شباط الكتاب بإهدائي نسخة من آخر طبعة من كتابه الشهير في القانون الدولي، وهو كتاب كنت قد درسته عليه أثناء الطلب في جامعة دمشق (١٩٥٦-١٩٦٠). لحظة تسلمي الكتاب قلبته أنظر في مصادره. في الطبعة التي درستها طالبًا كانت ثمة إشارة إلى كتاب الفرنسي الأستاذ شارل روسو تفيد بأن بعض بحوث الكتاب (كتاب العميد شباط) قد اعتمد على كتاب روسو. في الطبعة التي أُهديتها لاحظت حذف تلك الإشارة. سألت العميد شباط عن سبب الحذف فأجاب: لقد تعرضت لانتقادات حادة من قبل الزملاء أساتذة الكلية، إذ قالوا إنهم يفعلون الشيء نفسه، أي يعتمدون على كتب أساتذة غيرهم، ولا يشيرون. فهل أنني بإشارتي إلى اعتماد بعض فصول كتابي على بعض فصول كتاب روسو أحاول أن أبدو أكثر موضوعيةً علمية؟ وهكذا آثرت الحذف في الطبعات اللاحقة. أكتب هذا، وأعبر عن احترامي لأساتذتي في جامعة دمشق وقد أفدت منهم جميعًا.

٧- من النماذج الحلبية لظهور المفاهيم القومية قصيدة للأديب فرنسيس مراش (١٨٣٦ - ١٨٧٤) ومن أبياتها:

حتام تزرون يا إفرنج بالعربِ؟ ... مهلاً فلا خير بابن قد زرى بأبِ

إن كان بالعلم جئتم تفخرون فمن ... معالم العُربِ كل العلمِ والأدبِ

تذكروا ما غنمتم يوم ندوتكم ... في أرض أندلسٍ من تلكم الكتبِ

٨- من كتاب د. محمد جمال طحان: **عودة الكواكبي: حياة المفكر الثائر وأعماله** - (طبع الكتاب برعاية سماحة مفتي الجمهورية الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون، بمناسبة احتفالات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية. حلب، ٢٠٠٦) ص٣٠٨-٣١١.

٩- جورج جبور: **الأمم المتحدة والتعطيل في الأعياد الإسلامية** (دمشق، ط ٢، ٢٠٠٣) ص٦١-٦٢.

١٠- جورج جبور: «أثر الإسلام في الدساتير السورية المتعاقبة: الجذور- خط كولخانة ١٨٣٩» في مجلة **المشرق**، السنة ٦٦ كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو ١٩٩٢، ص١٠٣-١١٤.

١١- في العام الدراسي ٧٦-٧٧ عهدت إليّ كلية الآداب بتدريس مقرر في قسم التاريخ عنوانه «المذاهب السياسية». جعلت إهداء أملية المقرر إلى: «ذكرى علي عبد الرازق، مؤلف الإسلام وأصول الحكم، الذي عالج منذ نصف قرن مسألة نعود إليها اليوم، وبقدر أدنى من الشجاعة».

١٢- لمزيد من التفصيل في موضوع الملكية الفكرية: أنظر جورج جبور: **في الملكية الفكرية: حقوق المؤلف** (دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦). وانظر أيضًا: د. عزت السيد أحمد: **من يسمم الهواء: ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب** (دمشق ٢٠٠٥).

١٣- كان للأديبين الأستاذين زكريا تامر ومحمد الماغوط زاوية انتقادية في الصفحة الأخيرة من جريدة تشرين عنوانها «عزف منفرد». ذات يوم أواخر السبعينيات أصدر وزير الإعلام قراراً بمنع نشر الزاوية. ولدي نص القرار، أرسله إلي للاطلاع الأستاذ جلال فاروق الشريف، وهو آنذاك مدير عام

الجريدة . لم أستطع إقناع الوزير بإلغاء القرار . وفي غمار الضجة التي أثيرت ، صدر العدد الجديد من مجلة **المعرفة** الشهرية ، وهي مجلة وزارة الثقافة ، وبها مقتطفات مطولة من **طبائع الاستبداد** ، فسحب العدد من الأسواق بعد وقت قصير من تداوله . ومن الأفضل في كل حال أن يوثق هذه الحادثة الأديب الأستاذ زكريا تامر نفسه ، فهو أدرى بظواهرها وبواطنها .

١٤- لم تكن ولادة الدستور العثماني في ٢٣/ ١٢/ ١٨٧٦ سهلة ، إذ كانت النظرية السائدة قبل صدوره تكتفي باعتبار القرآن الكريم دستورًا للدولة . وبالطبع سرعان ما ألغى عبد الحميد الدستور بعد ولادته ليعيده في ٢٤/ ٧/ ١٩٠٨ إثر الحركة العسكرية التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي . قبل الدستور العثماني الأول كان ثمة عهد الأمان في تونس الذي يعتبره البعض أول دستور في دولة مسلمة ، ولكن أثر الدستور العثماني في العالم الإسلامي كان أعمق بكثير . وما تزال السعودية ترى أن القرآن دستورها إلا أنها أصدرت ما يشبه الدستور في عام ١٩٩٢ . أنظر : جورج جبور : «جولة فكرية مع د . عبد الله بن عبد المحسن التركي في كتابه : الإسلام وحقوق الإنسان» ، مجلة دراسات اشتراكية (شهرية تصدر في دمشق) العدد ١٦٩ ، تموز/ يوليو- آب/ أغسطس ١٩٩٧ ص ٨٠-٩٧ والشاهد في ص ٩٠ .

١٥- أنظر كتاب : **مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر: ١٢٥٦- ١٢٧٧ هجرية ١٨٤٠- ١٨٦١ ميلادية (دمشق، ١٩٩٤)** . وهو مذكرات الشيخ محمد سعيد الاسطواني ، قاضي الديار الشامية . قام بالتحقيق والنشر الصديق الدكتور أسعد الاسطواني ، وهو من أوائل البعثيين ، وعمل سفيرًا لسورية في الأردن في الستينيات . في الكتاب (ص ١٦٢) يرد النص التالي : «فرمان التوصية بالمسيحيين» :

«نهار الثلاثاء خامس رجب سنة ٧٢ (١٢ آذار/ مارس ١٨٥٦) قرئ بمجلس دمشق فرمان التوصية الكلية بالمسيحيين المتضمن للمساواة والحرية وغيرها من مصادمات الشريعة المطهرة بحضور محمود باشا وعزت باشا وسليم باشا ورشدي أفندي وغيرهم أعضاء المجلس ، والعلماء : البيطار والحلبي والعطار وعلى الفرمان خط شريف . صار رمادًا على جميع المسلمين . نسأله تعالى أن يعز الدين وينصر المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . »

١٦- يورد الدكتور محمد جمال طحان المظلمة بالنص التالي الموثق :

« أما سبب توقيف ((الشهباء)) الأول ، فقد كان إيراد الكواكبي خبرًا في العدد الثاني وعلى الصفحة الرابعة تحت عنوان ((الأخبار الأخيرة)) ، يقول : ((بلغنا أن ستة أنفار من مسيحيي عنتاب من طائفة الأرمن القديم أتوا لمحل استكتاب العساكر المتطوعة بقصد أن يكتبوا أنفسهم في جملة المتطوعين ، فغب السؤال عن أسمائهم طلب منهم تغييرها بأسماء إسلامية ، فأبوا ذلك قائلين : إن قصدنا المحاماة عن دولتنا ووطننا ، فإن كان لا سبيل لذلك إلا بتغيير أسمائنا فلا نقبل)) .

ويعلق الكواكبي على هذا الخبر قائلاً : ((كلما ألزمتنا ظروف الأحوال بالتشبث بأسباب علاقات الود والاتحاد بين سائر التبعة العثمانية ، تظهر هكذا حركات تقضي بضد ذلك ، لغايات بعض مأمير لا يكترثون بلوازم الأوقات . فاللازم على أولياء الأمور أن يصدّوا هكذا مأمورين عن غاياتهم)) . نتيجة لهذا الخبر والتعليق عليه بهذا الشكل ، أمر الوالي بإيقاف الصحيفة وإحالة صاحبها إلى المحاكمة ، ومطالبته بالبوح باسم ناقل الخبر إليه . « من كتاب الدكتور طحان : **عودة الكواكبي** ، مصدر مذكور آنفًا ، ص ٥٠- ٥١ . ومن الطريف أنني تعرضت شخصيًا لخبرة شبه مماثلة بشأن اسمي ، ذكرتها في كتاب : **خواطر مجددة حول مستقبل الوحدة العربية** (دمشق ، ١٩٨٤) ص ٧٧ ، والأصل منشور في مجلة المعرفة الشهرية السورية العدد ٢٢٧ ، كانون الثاني/ يناير ١٩٨١ . فقد ابتدأ «مسؤول عربي كبير» لدى لقائه بي حديثه معي منطلقًا من غرابة اسمي في المحيط العربي . أفصح الآن عن اسم المسؤول : إنه الأستاذ الشاذلي القليبي . وكان لقائي معه أوائل أيام توليه منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية . ولمسألة الأسماء متابعة : حين حصل أخي الأستاذ الدكتور قحطان جبور ، وهو خبير في الهندسة الذرية ، على الجنسية الأمريكية وردته رسالة تخبره أنه قد يود تعزيز مواطنيته الأمريكية الجديدة باختياره اسمًا أكثر انسجامًا مع المحيط الأمريكي علمًا أن تغيير اسمه ليس إلزاميًا . رفض قحطان ذلك . وكتب إليّ أن الظروف قد شاءت له أن يكون قحطانًا في محيط لا ينسجم اسمه معه ، وأن أكون جورجًا في محيط أكثر تقبلاً للتنوع . ومؤخرًا قرأت في جريدة سورية أن سيدة أرمنية موظفة لدى الدولة السورية احتجت على ما يطلب منها أحيانًا من تغيير اسمها .

١٧- أعيد إصداره في دمشق عام ٢٠٠٣ ضمن سلسلة شعبية تنهض بها دار المدى بالتعاون مع جريدة **الثورة** في ٨١ صفحة من القطع الصغير .

١٨- يذكر ألبرت حوراني في كتابه المرجعي المشار إليه سابقًا أن الكواكبي من أصل كردي ، بالرغم من أنه يشير إلى تنافس عائلته مع عائلة الشيخ أبو الهدى الصيادي للفوز بمنصب نقيب الأشراف الذي لا يعطى إلا للمتحدرين من الدوحة النبوية الشريفة ، ص ٢٧١ .

١٩- «ما يعمل إلا لنفسه» . هكذا يذكر قدري القلعجي في كتابه : **عبد الرحمن الكواكبي** (بيروت ، دار الشرق الجديد ١٩٦٣) ص ٢٩ .

٢٠- في مؤتمر دولي عن الدراسات العثمانية ، أطلعني أستاذ فرنسي على أنه يعطي مقرر دراسات عليا تحت عنوان : «المدن المنارات في الدولة العثمانية» .

٢١- قرأت ذات يوم دراسة ممتازة عن قومة حلب للأستاذ سعد زغلول الكواكبي ينأى بها عن التفسير الطائفي ، ولم أعثر على المصدر وقت الكتابة .

٢٢- وآخر مظاهر الإعجاب به محاولة يتصدرها الكاتب الصحفي الأستاذ هاني الخير من أجل استعادة جمجمة الحلبي من فرنسا . لدى الخير توثيق مفصل عن هذا الأمر أكتفي بأن أذكر منه ما نشرته جريدة **الجماهير** الحلبية في ١٩ و٣٠/ ٤/ ٢٠٠٦ . كنت أثرت هذا الموضوع في ندوة أقيمت في المركز الثقافي العربي بدمشق صيف ٢٠٠٠ بمناسبة ذكرى مئتي سنة على استشهاد الحلبي ، ونشرت الصحف تغطية لها فاهتمت وزارة الخارجية واتصلت بي ووجهت سفارتنا بباريس للمتابعة . ثم فترت الهمة ، وأشكر مناسبة الاحتفال بحلب عاصمة للثقافة الإسلامية لأنه تم من خلالها إحياء المطالبة باستعادة الجمجمة .

٢٣- وهنا مكان لتمنٍ : كان أستاذنا في الحقوق ، الشيخ العلامة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء ، كثيرًا ما يشير إلى شرح والده الشيخ أحمد لمجلة العدد قيم ،

وقد تضمن حـوارًا مع «كبير علماء حلب» فضيلة الشيخ محمد أديب حسون (ص ٤-٦). وردفي المقابلة ما له علاقة بموضوع بحثنا كما يلي: تعرفون «أن الحكم العثماني التركي لهذا البلد دام مئات السنين وكانت محاكمه تصدر أحكامها استنادًا للفقه الإسلامي الشرعي، فيما فرض الاحتلال الفرنسي أحكامه وطبقها، وألغى تطبيق الأحكام الشرعية الإسلامية. فأصبح القضاة والحكام يحكمون بالقوانين الفرنسية باستثناء بعض الأحكام الشرعية القليلة. وهذا مخالف للقرآن والسنة والشريعة. وأصبح معظم المثقفين والقضاة وسائر طبقات المجتمع لا يعرفون من أحكام الشريعة والدين إلا النذر اليسير لأنهم تأثروا بالثقافات الأجنبية كثيرًا واتبعوها. وحدث كل هذا تحت أعين الحكام العرب. ولهذا ابتعدت الأمة الإسلامية عن الدين الذي ارتبط اسمها به، فباءت بغضب وسخط من الله. وعزاؤنا بشارة رسول الله الأعظم بتجدد العصمة بالدين، وعودة الإسلام في آخر الزمان فقال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمين على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».»

٢٤- قبل سنوات قليلة فازت بوصف أحسن أطروحة دكتوراه في الدراسات السورية الباحثة Eylse Semerdjian ألزه سمردجيان، وكان موضوعها معاقبة زنى المرأة في حلب. منحت الوصف **رابطة الدراسات السورية**، وهي رابطة مشهورة في الولايات المتحدة الأمريكية.

٢٥- وزع على المشاركين في افتتاح ندوة الكواكبي العدد الثالث من مجلة **حلب الحضارات**، وهي ملحق خاص تصدره مجلة النسيج السوري. العدد قيم، وقد تضمن حواراً مع «كبير علماء حلب» فضيلة الشيخ محمد أديب حسون (ص ٤-٦). وردفي المقابلة ما له علاقة بموضوع بحثنا كما يلي: تعرفون «أن الحكم العثماني التركي لهذا البلد دام مئات السنين وكانت محاكمه تصدر أحكامها استناداً للفقه الإسلامي الشرعي، فيما فرض الاحتلال الفرنسي أحكامه وطبقها، وألغى تطبيق الأحكام الشرعية الإسلامية. فأصبح القضاة والحكام يحكمون بالقوانين الفرنسية باستثناء بعض الأحكام الشرعية القليلة. وهذا مخالف للقرآن والسنة والشريعة. وأصبح معظم المثقفين والقضاة وسائر طبقات المجتمع لا يعرفون من أحكام الشريعة والدين إلا النذر اليسير لأنهم تأثروا بالثقافات الأجنبية كثيراً واتبعوها. وحدث كل هذا تحت أعين الحكام العرب. ولهذا ابتعدت الأمة الإسلامية عن الدين الذي ارتبط اسمها به، فباءت بغضب وسخط من الله. وعزاؤنا بشارة رسول الله الأعظم بتجدد العصمة بالدين، وعودة الإسلام في آخر الزمان فقال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمين على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».»

٢٦- أنظر دراسة جورج جبور: «البعد العربي لقضية فلسطين» في **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني - الدراسات الخاصة - المجلد الخامس: القضية الفلسطينية (بيروت ١٩٩٠) ص ٧٣٧-٨٥٤، والشاهد في ص ٧٥٣. شارك في إعداد الدراسة وكتابتها الأستاذ فايز سارة.

٢٧- والقائمة طويلة وما ذكرته كان على سبيل المثال. وألاحظ أن بعض سنوات الولادة قد لا يكون دقيقًا.

٢٨- صدرت الطبعة الثانية عن دار المنارة في بيروت ودمشق عام ١٩٩٣، في ١٧٦ صفحة. وتفصيل ما أشرت إليه في الصفحات ١٢٠-١٢٣.

٢٩- أشكر الأستاذ سعد زغلول الكواكبي لأنه رأى من واجبه أن يشير إلى هذه الفضيحة العلمية المدوية التي تتقاطع مع ما ورد في الهامش ٦ أعلاه. وأذكر للأسف أن أعرق الجامعات الحكومية العربية، وهي جامعة القاهرة، لم يرد اسمها ضمن قائمة أحسن ٥٠٠ جامعة في العالم اعتمدتها هيئات دولية محترمة. وفي هذا المجال أود أن أذكر بالتقدير مقالاً للدكتور فاروق شبل الذي نشر دراسة عنوانها: «الوصايا العشر لإنقاذ التعليم العالي والبحث العلمي في مصر». وقعت على المقال في جريدة **الميثاق** (١١/٧/٢٠٠٦)، وهي تصدر عن الحزب الاشتراكي العربي وأمينه العام الصديق الأستاذ صفوان قدسي). أوجه التهنئة للجريدة لأنها خصصت العدد المشار إليه لـ«معركة الثقافة»، ومع التهنئة أوجه اللوم لما ينشر في الجريدة **لأن معظم ما يرد فيها مأخوذ من دوريات أخرى دون أية إشارة إلى هذه الدوريات**. وعدني الأستاذ قدسي ظهر يوم الجمعة ١١/ ٨/ ٢٠٠٦ أن يصحح هذا الوضع.

٣٠- «وفي عمان في منتصف حزيران/ يونيو الجاري اجتمعنا كخبراء من معظم الدول العربية واخترنا مجلس أمناء لمركز نسبناه لاسم الكواكبي باعتباره رائد الرفض للاستبداد: (مركز الكواكبي للتحول الديمقراطي). كتبنا وثيقة للمركز واخترنا مجلس أمناء لتنفيذها. نصت الوثيقة على أهداف المركز ووسائله، وحددت أولوياته: تحديد حاجيات الدول العربية للتحول الديمقراطي وقياس حركتها في سلم الديمقراطية، وتحديد وسائل العدالة الانتقالية، ودراسة العوائق السياسية والثقافية أمام التحول الديمقراطي، ودراسة مشكلات الأقليات، والتنمية والعدالة الاجتماعية التي تدخل مع التحول الديمقراطي في منظومة التهمية، وأهمية مراقبة الانتخابات وشروط نزاهتها، وربط عرب المهجر بالوطن الأم، وتنظيم دورات تدريبية للقيام بالأنشطة المختلفة، ودراسة فكر الكواكبي، والاستفادة من تجارب التحول الديمقراطي في العالم وترجمة الكتب المتعلقة به، و دراسة وسائل فض المنازعات سلمياً، والتعاون مع الجهات ذات الأهداف المماثلة عربيًا ودوليًا.»

عن الصادق المهدي، رئيس وزراء السودان الأسبق وزعيم حزب الأمة، في مقاله «عزاء الكواكبي شهيد الديمقراطية». نشر في جريدة **الوحدوي** (يصدرها حزب الوحدويين الاشتراكيين وأمينه العام الصديق الأستاذ فائز اسماعيل) ١٥/ ٧/ ٢٠٠٦، ص ٩. **وقد علمت أن مقر المركز سيكون في استانبول، فلم يعجبني ذلك. وهكذا وجهت في ٢٣/٧/٢٠٠٦ مذكرة إلى قيادتنا السياسية بأن يكون مقره حلب، ولم أستلم أية إجابة حتى وقت التنضيد في ١١/٨/٢٠٠٦**. وكنت وجهت «مناشدة للاحتفال بالكواكبي» بمناسبة الذكرى المئة لوفاته. أنظر المقال الافتتاحي في **نوافذ** (الملحق الثقافي لجريدة **المستقبل** اللبنانية): ٥/ ٥/ ٢٠٠٢.

٣١- هما الأستاذ سعد، وقد وردت عدة إشارات إليه؛ وابن أخيه الأستاذ سلام إياد الكواكبي، وهو الآن مدير المعهد الفرنسي للشرق الأوسط، حلب.

٣٢- هي عادة حميدة تكريم عظماء دولة ما، من مفكرين وسياسيين، بأن تسمى بأسمائهم كراس جامعية. لم أكن أعرف أن هذا التقليد العريق في الجامعات الغربية متبع في الجامعات الحكومية العربية، إلا أنني في مؤتمر شاركت فيه قبل أشهر، كان لي حظ لقاء أستاذ جامعي تونسي متميز هو الدكتور محمد علي فنطر، وقد قرأت على بطاقته أنه أستاذ كرسي زين العابدين بن علي لحوار الحضارات. ■

الأدب المُترجم والتبادل الثقافيّ في عصر العولمة

أ. محمّد المشايخ*

مقدّمة

يعدّ الأدب من أهم الفنون الإبداعية الإنسانية المواكبة لتحولات الثقافة والفكر والتقدم الحضاري في تاريخ الشعوب. وعلى الرغم من كثرة التعريفات والقوالب الثابتة التي حاول نقاد العالم حصره بها، في كل الأمكنة والأزمنة، إلا أنه كان دائما يستعصي على الجمود والثبات، كاشفا النقاب عن حيويته وشموليته، وقدرته على التعبير الصادق الجميل عن وقع الوجود في الوجدان الإبداعي الإنساني، حتى قيل عنه إنه «العلم الذي يشمل أصول فن الكتابة، ويُعنى بالآثار الخطية النثرية والشعرية. وإنـه المُعَبِّر عن حالة المجتمع البشري، والمُبَيِّن، بدقة وأمانة، العواطف والمشاعر والأخيلة والأحلام والموضوعات التي تعتمل في شعب، أو جيل من الناس، أو أهل حضارة من الحضارات. وإنه يُؤدّي- من خلال فنونه المتطورة- المعاني المتراكمة خلال الأزمنة والمستحدثات المعاصرة في شموليتها الإنسانية، أو حصريتها الفردية، لتبرز في نصوصه المتوارثة مساهمات الشعوب - كبيرها وصغيرها، قديمها وحديثها- في بناء الحضارة، متوخيا المزاوجة بين الشكل والمضمون، ليجعل منها وحدة فنية متكاملة»(١).

ويمتاز الأدب عن أكثر الفنون الإبداعية بقابليته للتنوع والتعدد. فإذا ما نسبناه إلى دولة، سنجد أنواعا من الأدب بعدد أقطار العالم؛ وإذا نسبناه إلى قوميات أو قارات، سنجد أدبا بعددها؛ وإذا فصلناه عن تلك التسميات، سنجد أيضا أصنافا شتى، يصعب حصرها من الأدب، من مثل: أدب الرحلات، وأدب السيرة، والأدب الشعبي، والأدب الوطني، وأدب المقاومة، وأدب المهجر، وأدب اللامعقول، والأدب المكشوف، والأدب البوليسي، والأدب المقارن. ولذلك شغل هذا الفن، حتى غير الأدباء من كبار المفكرين والفلاسفة والعلماء، فوصفوه بأنه «وعي الإنسان بإنسانيته في كل أنحائها الإيجابية والسلبية، الثابتة والمتغيِّرة، في واقعيتها وتاريخيتها، في فرديتها وجماعيتها، في جسديتها وروحانيتها، في الإحساس بالذات، والإحساس بالآخر، في الإحساس الخاص، والإحساس بالعام المشترك، في كينونته وصيرورته، مؤكدين- في الوقت نفسه- أنه سيظل ضرورة إنسانية معرفية ذاتية وموضوعية.»(٢).

عالمية الأدب

لئن كان الإلمام بالحركة الأدبية العالمية ممتعا في حد ذاته، ومُرهفا للذوق، ومساعدًا على الوقوف عند أجمل ما في التراث الإنساني، فإن الاطلاع على دور كل شعب فيه يحدد مكانة ذلك الشعب، ويُعيِّن بدقة أثر نوابغه في ابتعاث التيارات وتطويرها وإغنائها بالعناصر المستعارة أو المتفجرة من التربة المحلية، ويُمهد الطريق لإقامة موازنة بين العوامل المحركة للقرائح، أو المعطّلة لها.

ذلك، في الوقت الذي نشهد فيه انهيار السدود، وزوال الحدود بين البلدان، ووفرة وسائل النشر في العصر الحديث، الأمر الذي أدى إلى «امتزاج

* كاتب أردني؛ مدير مكتب مؤسسة البابطين للإبداع الشعري في عمّان.

الشعوب واستقائها من منابع مشتركة، وإلى تعاونها في تقرير مبادىء متشابهة، والانتماء إلى مذاهب متقاربة بحيث بدا الأدب المعاصر- على تنوع لغاته- موحّد الملامح ضمن التيارات الكبرى، وإن تفرق أنصارها في أرجاء المعمورة.»(٣).

يرتبط الأدب في وجوده الحيوي بدعائم فطرية تمكنه من الاستمرار في الحياة، وتمد له في العمر، وتمنحه من مقومات الوجود ما يجعل وجوده حقيقة واقعة، بل ما يجعل من بقائه حقيقة شرعية ضرورية للوجود الإنساني ذاته.

ما دامت الحياة ترفد النفس الإنسانية بما يؤلمها ويثيرها، فإنها ستظل ترفد العالم بأدب وفن متفاعلين مع فاعلها نفسه، متجاوبَين مع الأمة التي تخص الفاعل، والعالم الذي هو كلٌّ يضم الأمم. وهذه الآداب «تجعل التيارات الأدبية مختلفة في سريانها عبر التاريخ، عُرضة للتلاقي والتداخل والامتزاج، وعرضة للتأثر والتأثير على مدى العصور. ومن هنا برزت عالمية الأدب، التي لا بد لها من عوامل تؤدي إلى إحداث هذه التمازجات والتأثرات، والتي تأتي في مقدمتها الترجمة الأدبية.»(٤).

الترجمة

الترجمة في المعاجم اللغوية: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، أو تفسيره بلسان آخر. وفي المعاجم العلمية: عملية نقل - بحيث لا تتغير محاور المنقول ولا يتغير جوهره - لا اتجاها ولا قدرا ولا شكلا ولا فحوى. ومن هذين المفهومين، يتبدى لنا أن عملية الترجمة تنطوي على نقل يشمل الطبيعة الاجتماعية والخلفية الثقافية والتقانية والبيئية والمناخية، إضافة إلى المفهوم، أو المفاهيم اللغوية، دون تحريف أو تشويه(٥).

الترجمة عمل ثقافي ينتج عنه تثاقف طويل الأمد على صعيد الأفراد والجماعات، وهي تعبر عن أبعاد حضارية قابلة للتعميم والانتشار عبر تفاعل الثقافات في إطار من العلاقات المبنية على التبادل الثقافي الحر، والإبداع بين مختلف الشعوب والقوميات. وهي حوار ضمني بين تجارب الشعوب الثقافية عبر الكلمة الفاعلة. وبقدر ما تبتعد عن الاستعلاء الثقافي، بقدر ما تنجح في نشر ثقافة الانفتاح والتواصل الحر، وينغرس تأثيرها الإيجابي عميقا في وجدان المتلقي لتصبح جزءا من تراثه الثقافي. وهي بالمدلول الثقافي والحضاري للمفهوم ليست مجرد نقل كلمة أو فكرة من لغة إلى أخرى، بل هي، بالدرجة الأولى، فعل ثقافة حية قادرة على تحويل موارد المجتمع إلى قوى محركة للطاقات الإبداعية فيه، ولديها القدرة على تحويل الثقافة إلى فعل حضاري ودينامية قوية لتغيير المجتمع، بعد أن أصبح العالم كله مساحة ثقافية واحدة في عصر العولمة تعيش نوعا من التفاعل اليومي والمباشر بين مختلف أشكال الثقافات واللغات والشعوب. وقد سبق لها أن لعبت دورا أساسيا في حفظ التراث العالمي من الضياع والتلف بسبب كثرة الحروب والمنازعات، والعوامل الطبيعية المدمرة. لذلك اعتُبرت حركتها بمثابة فعل حوار دائم بين القوى البشرية ذات الثقافات المتنوعة القادرة على التفاعل الإيجابي، من موقع حوار الأنداد بين ثقافات حيَّة. وتبرز أهمية الترجمة من خلال توحيد دلالات المصطلحات والمفاهيم بهدف نشر ثقافة إنسانية مشتركة تقارب ما بين الشعوب، ولا تزيد من حدة التباعد والتنافر فيما بينها على خلفية ثقافاتها المحلية.

لا يقل عمر الترجمة كثيرا عن عمر الإنسانية، حيث استغلها الإنسان لنقل تراثه العلمي والحضاري وتطويره، حتى وصلت خلاصة تجاربه العلمية والحضارية إلى عصرنا الحاضر. ولم ينشأ فكر في العالم ولم يتطور ولم يرتق إلى المصاف الإنسانية بعيدا عن الترجمة، وإذا أُريد لأي فكر أن يتطور ويرتقي، فمن الضروري أن يستوعب الفكر العالمي، بل ويتجاوزه في مرحلة لاحقة ومتقدمة.

في عصرنا، عصر الانفجار المعرفي، عصر القرية

الكونية، وعصر شبكة المعلومات، والتلفزة، والأقمار الصناعية، وعصر حوار الحضارات، وعصر الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول، اكتسبت الترجمة أهمية قصوى، وبُعدا استراتيجيا فرضه واقع العصر على جميع دول العالم، غنيها وفقيرها، بل إنها صارت ضرورة تنموية ملحة للدول لاستيعاب معطيات التقدم العلمي والتقني، ولوضعه في خدمة التنمية الوطنية بجميع أشكالها وأبعادها.

لأن الترجمة تحمل فكرة التقارب بين الشعوب، فلا نستطيع أن نترجم ونحن نسبح ضد التيار الحديث من العلوم والفنون. فهي اعتراف بالتعددية. ومن ثمَّ فإنها مجال حيوي لتحقيق الهوية المنفتحة على الآخرين. وهي بنت الحضارة، ورفيقتها الدائمة عبر الزمان والمكان، وهي موجودة لأن البشر يتكلمون لغات مختلفة. وتتعاظم أهميتها نتيجة للانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي. فهي تمثل عملية «محو أمية» في سياق الثورة المعلوماتية، التي أصبحت فيها أحادية اللغة مرادفة للأمية.

تعدّ الترجمة النافذة التي تفتحها الشعوب المختلفة لتستنير بنور غيرها، وهي تشكل جسرا للتواصل بين مختلف الثقافات والحضارات. كما تعد إحدى أبرز الوسائل لنقل المعارف والعلوم والآداب. وهي من أهم روافد الثقافة، التي أحرزت انتشارا واسعا ومتنوعا، وأوجبت الضرورات القيام بها ومتابعتها.

تنهض حركة الترجمة الأدبية في العالم بدورمهم في التنمية الثقافية باعتبارها مقوما أساسا من مقومات الحوار الثقافي بين دول العالم. وبقدر ما يكبر دور الترجمة الأدبية، بقدر ما تكبر مسؤولية نقدها، وهو النقد المُطالب بأن يواكبها دارسًا ومحللاً ومقيمًا ومرشدًا، دون وصاية أو تعصب أو ادعاء.

لقد كانت ظاهرة الترجمة، وما زالت، ملازمة لتاريخ الإنسان لأن تعدد الشعوب والأقوام، واختلاف اللغات التي برزت نتيجة المناخ والبيئة والغذاء والتناسل، كلها عوامل جعلت ظاهرة الترجمة الأداة الوحيدة لسد حاجة التواصل بين البشر، فرادى وجماعات، وفي كل أنواع التبادل.(٦)

تساوي الترجمة التفتح على الحضارة العالمية، والإسهام في الحضارة الإنسانية، واكتساب القدرة الذاتية، عن طريق التعاون القائم على الاختيار الواعي لمصادر القدرة العالمية، واستيعابها، وعضونتها في نسيج الحياة لتصبح قدرة إبداعية جديدة، حتى لا يكون التعاون تقليدا عقيما يؤدي إلى تعميق التبعية ويوثق لها.(٧)

إن عملية ترجمة نصوص من نظام ثقافي معين إلى نظام آخر ليست عملاً حياديًا، أو بريئًا، أو شفافًا. إنها نشاط مشحون بقوة، وعمل اقتحاميّ. كما أن سياساتها تستحق اهتمامًا أكبر مما حظيت به في الماضي، فقد قامت بدور رئيسي في التغيير الثقافي. وحين ندرس العمليات الثنائية لممارسة الترجمة، يمكننا أن نتعلم الكثير عن وضع الثقافات المستقبلية في علاقتها بثقافات نصوص المصدر.(٨)

الترجمة هي متن المواكبة، وشاهد عدل على علاقة متقدمة بين عقول أهل الأرض على اختلاف أممهم ومللهم ونحلهم. فعن طريقها «تتناسق الأفكار، والمعطيات العلمية، والتيارات الأدبية والفلسفية والأيديولوجية، بعضها إلى بعض، لتكوِّن فكرًا أو مصطلحًا متقاربًا أو واحدا في نهاية الأمر. لذلك اقترنت كل نهضة قومية خلال التاريخ بحركة ترجمة نشطة تكون عاملاً من عواملها وثمرة من ثمراتها»(٩)، على اعتبار أنها الممر الذي تعبر عليه ثقافة الأمم، بعضها إلى بعض، فتزيد المعرفة، وتعمق متعة الحياة في هذا العالم. ذلك بالنظر إلى أنها وسيلة من أهم وسائل التقدم والنهضة في كل بلد تخلف عن ركب الحضارة لسبب أو لآخر، إنها الرمز والطابع لحضارة العصر الذي تمثله كل أمة ناهضة.

لقد كانت الترجمة في كل الحضارات وسيلة دالة على

عظمة الاختلاف وروعة التنوع، وسبيلا هاديا إلى الثراء والاغتناء، ومَعبرا واصلا بين الأمم والثقافات. وكانت، وما زالت، حيزا مثبتا لكل جغرافية الوجود الإنساني، ومكانا جامعا لكل لغات هذا الوجود وأعراقه وتنوع أطيافه على امتداد الزمان. «ويعود السر في نشوء الوحدات الكبرى (لغة، وثقافة، وفكرًا) إلى قيام هذه الوحدات على التعدد، واتخاذه أصلاً لكل توحد، ومعيارا لكل تفرد. وجعلت هذه الوحدات من الترجمة كائنها الواصل لوجودها المتمدد، وكينونتها وثقافتها ولغاتها المتعددة.»(١٠).

بما أننا بصدد الترجمة الأدبية، فثمة شروط خاصة ينبغي أن تتوافر في المترجم الأدبي، وهي «أن يكون أديبًا راسخ القدم في التأليف الأدبي، وأن يكون ملماً بالأصول السليمة للقيام بعمل الترجمة، وأن يقرأ العمل الأدبي جميعه، وأن يحافظ على روح النص»(١١).

أما الدورة التي يمر بها الأدب الأجنبي، فتمر في مراحل ست هي:

١. الإنتاج، أو الإبداع بلغة المصدر، أي باللغة الأصلية للعمل الأدبي.
٢. الإيصال أو النشر بلغة المصدر أيضًا.
٣. الاستقبال والتلقي بلغة المصدر من المتلقين الناطقين بتلك اللغة.
٤. الترجمة من لغة المصدر إلى لغة الهدف، أو الولادة الإبداعية الثانية للعمل الأدبي.
٥. إيصال العمل الأدبي المترجم ونشره بلغة الهدف.
٦. تلقي العمل الأدبي الأجنبي المترجم بلغة الهدف من المتلقين الناطقين بتلك اللغة، وهو تلق متعدد الصور، أي عادي ونقدي وإنتاجي (١٢).

اللغة

اللغة وعاء الفكر، وأداة الثقافة. وهنالك بعدان رئيسيان لها في علاقتها مع الثقافة: يتعلق الأول بالإنتاج الثقافي الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا باللغة الأم، في حين يتعلق الثاني بالتواصل والانفتاح الثقافي الذي يرتبط بإتقان اللغات الأجنبية باعتبارها وسيلة للاطلاع على الثقافات الأخرى والتفاعل معها. وينطبق ذلك على جميع المجتمعات، وبشكل خاص على المجتمعات الأقل تقدما وتطورا في مساهمتها بالإنتاج المعرفي. «فاللغات بطبيعتها لا تعمل في عزلة، بل كجزء من ثقافة. والثقافات تختلف واحدتها عن الأخرى، ومن ثم فإن إتقان لغة، أو لغات أجنبية، خاصة الأكثر شيوعاً منها، ذو أهمية بالغة باعتبارها إحدى وسائل الانفتاح على الثقافات العالمية والاتصال بها والتعامل معها»(١٣).

اللغة هي التي تحمل التفاعل الثقافي مع اللغات الأخرى عبر الترجمة، وتحمل في الوقت نفسه مظاهر جديدة في تفاعل ثقافي لغوي يُطور رؤية العالم لدى هذه اللغة ولدى أصحابها بفضل المترجم بالضرورة، وهو الوسيط الحاسم في تلك اللحظة التاريخية في حياة الأمم والشعوب. ذلك أن الترجمة «رسالة ثقافية، وواجب قومي، ومهارة خاصة تُحول -عبر التفاعل والحوار والمشاركة- كل ثقافة في لغة خاصة إلى ثقافة إنسانية. فهي عدا عن كونها وسيلة اتصال للتفاعل الثقافي، فإنها تضيف عناصر جديدة للثقافة، وتؤدي إلى التفاعل بين اللغات وآدابها وثقافاتها، ما يحقق -مع مرور الوقت- تماثلاً ثقافيًا كونيًا يساعد على بلورة الثقافة الإنسانية»(١٤).

نشير هنا إلى أن منظمة اليونسكو تحتفل في اليوم الحادي والعشرين من شهر شباط/ فبراير من كل عام باليوم الدولي للغة الأم، الذي اعتمده المؤتمر العام للمنظمة منذ عام ١٩٩٩ بهدف تعزيز الاعتراف باللغة الأم، خاصة لغات الأقليات في العالم.

في احتفال المنظمة الأخير، الذي أقيم يوم ٢٠٠٦/٢/٢١، قال المدير العام لليونسكو «كويتشيرو ماتسورا» إن: «اللغة أكثر من مجرد وسيلة أو أداة. فهي التي تشكل بنية تفكيرنا، وتصوغ علاقاتنا

الاجتماعية، وترسم صلتنا بالواقع. وهي أيضًا بعد جوهري ملازم للكائن البشري». واعتبر «أن استخدام اللغات ليس فقط مسألة تقنية، وإنما أيضًا نقطة تلاقي الكثير من الإشكاليات الحساسة والمتباينة. فاستخدام، أو عدم استخدام، اللغة في المجالات العامة، مثل المدرسة ووسائل الإعلام أو الإنترنت، يرجعنا إلى قضايا الهوية والانتماء الوطني والسلطة». وأضـاف :«لا تعتبر اللغة مجرد وسيلة للتعبير والتواصل الاجتماعي والثقافي، بل تعكس أيضًا نظرة المتحدثين بها إلى العالم. وإن اليونسكو تلاحظ أن ثمة ستة آلاف لغة في العالم اليوم، نصفها مهدد بالانقراض. وهناك أيضًا ٩٦ في المئة من مجموع هذه اللغات لا يتحدث بها سوى ٤ في المئة من سكان العالم. وإن ٩٠ في المئة من لغات العالم غير ممثلة في شبكة الإنترنت. وإن معدل لغة واحدة تختفي كل أسبوعين. وإن ٨٠ في المئة من اللغات الإفريقية يتم تداولها على المستوى الشفوي فقط، وهي أصلاً لغات لا تعتمد النسق الكتابي.»

بحسب دراسـة ميدانية أنجزها معهد اليونسكو للإحصاء بعنوان «قياس التنوع اللغوي على شبكة الإنترنت»، يبرز أن مئات اللغات المحلية غير ممثلة في هذه الوسيلة الإعلامية العالمية، وهو ما يساعد على توسيع الفجوة الرقمية بين الشعوب. ذلك فضلاً عن أن اللغات المتداولة في الترجمة، بشكل أساسي، لا تتعدّى الخمسين لغة، من بينها اللغة العربية التي تحتل الموقع الثامن عشر، وتأتي بعد اللغات الأوروبية والأمريكية.

إن حماية التنوع الثقافي، واللغة الأم جزء أساسي منه، واعتباره إرثًا مشتركًا بين جميع أبناء الإنسانية يشكلان واجبًا أخلاقيًا لا يمكن فصله عن احترام كرامة الإنسان لما في ذلك من أهمية بالنسبة للأجيال المقبلة[١٥].

النظام العالمي الجديد والتبادل الثقافي:

إن ظاهرة العولمة صارت تدخل بغير استئذان إلى المجتمعات النامية، وتفرض عليها نظامًا عالميًا جديدًا للثقافة وللتبادل الثقافي، وهو«نظام قادر على النفاذ إلى منظومات القيم والمبادئ والتراثات الثقافية في هذه المجتمعات، ولأنه يملك قدرة النفاذ الصادم، فإنه يثير ارتجاجات واهتزازات صاعقة في الشكل والمضمون، ما يُضعف فرصة التفاعل والاستجابة الممثلة أو الجريئة»[١٦].

إن تكنولوجيا المعرفة هي قوة الدفع الرئيسية للعولمة الثقافية. وفي ظل النقلة الجديدة والمتطورة جدًا لتكنولوجيا المعرفة، يبدو العالم منقسمًا إلى ثلاثة أقسام: ١٥٪ من سكانه يوفرون تقريبًا كل الابتكارات التكنولوجية الحديثة، و٥٠٪من سكانه قادرين على استيعاب هذه التكنولوجيا استهلاكًا وإنتاجًا، وبقية سكان العالم (٣٥٪) يعيشون في حالة انقطاع وعزلة عن هذه التكنولوجيا.

إن المجتمعات الفقيرة المحرومة تمثل أحد المجالات الحيوية للعولمة، فكلما ضعفت المناعة الاقتصادي، ضؤل تأثير المناعة الثقافية لدى الشعوب، ما يجعل السقوط والانهيار تحت مطارق ضربات العولمة الثقافية أكثر احتمالاً في ظل هذه الأحوال.

إن العولمة منظومة متكاملة يرتبط فيها الجانب السياسي بالجانب الاقتصادي، والجانبان معًا يتكاملان مع الجانب الاجتماعي والثقافي، ولا يكاد يستقل جانب بذاته. وعلى هذا الأساس، فإن العولمة الثقافية هي ظاهرة مدعومة دعمًا محكمًا وكاملاً بالنفوذ السياسي والاقتصادي الذي يمارسه الطرف الأقوى في الساحة الدولية.

حين يتم الربط بين العولمة والأدب، يتأكد لنا، ونحن نعيش في عصر الترجمة، وعصر الاتصال، وعصر المثاقفة، وعصر الانفتاح، وعصر ذوبان الحدود والسدود والجدران الفاصلة، أنه من المستحيل أن تستطيع قوة - بالغة ما بلغت من السطوة والتمكن الأيديولوجي أو الدنيوي- أن ترسم قوالب مسبقة الصنع للظاهرة الإبداعية، أو تحفر لها أقنية مشيدة جوانبها بالإسمنت[١٧].

الهوامش:

(١) جبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٣١٦.

(٢) محمود أمين العالم، «**بالكتابة يؤكد الكاتب وعيه بذاته**»، *www.nizwa.com/volume 25/p59 -66htm*

(٣) أنظر المرجع رقم «١»، ص٣١٦.

(٤) د. محمد التونتجي، **المعجم المفصل في الأدب**، دار الكتب للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٩٩، ج٢، ص٦١٤.

(٥) أحمد الخطيب، **نظرية الترجمة**، كتاب:«**دراسات وأبحاث الملتقى العربي للترجمة**»، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٩٠.

(٦) سالم العيس، **الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩، *(www.awu-dam.org)*.

(٧) د. محي الدين صابر، **الأبعاد الحضارية للتعريب**، كتاب «**التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص٧٦.

(٨) سوزان باسنيت»، ترجمة د. فؤاد عبدالمطلب»، **مجلة الآداب الأجنبية**، اتحاد الكتاب العرب، العدد ١٢٤، خريف ٢٠٠٥، **من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة**، *(www.awu-dam.org)*.

(٩) المرجع رقم «٦».

(١٠) أنظر: د. شحادة الخوري، **واقع الترجمة في الوطن العربي ووسائل النهوض بها**، المرجع رقم «٥»، ص ٨١.
وانظر أيضا:

منذر عياشي، **أوراق وبحوث مؤتمر الترجمة بالقاهرة**، المجلس الأعلى للثقافة ٢٩/٥-١/٦/ ٢٠٠٤، *(www.alrafidh.com)*.

(١١) د. محمد بلاسي، **الترجمة ومشكلاتها**، **المجلة الثقافية**: الجامعة الأردنية، العدد ٦٦، ك٢، ٢٠٠٦، ص١٥١-١٥٣.

(١٢) د. عبده عبود، **الأدب المقارن: مشكلات وآفاق**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩. *(www.awu-dam.org)*.

وحول هذا الموضوع، انظر أيضا:

- إنعام بيوض، **استراتيجيات الترجمة في الوطن العربي**، المرجع رقم «١٠»، ص١٥.
- شاهر أحمد نصر، **دور الترجمة في نشر الفكر التنويري في عصر النهضة**.

(www.thefreesvria.oeg/f-s-1/rawafed-150h.htm)

- المرجع رقم «١٠»، د. مسعود ضاهر، **أثر الترجمة في التفاعل الثقافي في العالم**، ص ٦٥٣.
- حميد لحمداني، **قضايا الترجمة الأدبية**، **مجلة علامات في النقد**، المجلد ١١، الجزء ٥٨، ك٢، ٢٠٠٥، ص٢٣.

(١٣) منذر المصري، **المعلوماتية والانفجار المعرفي والشباب**، عمان: المجلس الأعلى للشباب، ٢٠٠٤، ص٨٩.

(١٤) **أوراق وبحوث مؤتمر الترجمة بالقاهرة**، المجلس الأعلى للثقافة ٢٩/٥-١/٦/٢٠٠٤ *(www.alrafidh.com)*.

(١٥) أنظر: **البوابة**، *(www.albawaba.com)*.

(١٦) د. سامي خصاونة، **مؤتمر الاستشراق: حوار الثقافات**، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢، ص٨.

(١٧) أنظر: محمد صفوت قابل، **العولمة الثقافية**، **مجلة المعرفة**، وزارة التربية والتعليم، السعودية، العدد ١٢٩، يناير ٢٠٠٦، ص٩٢-٩٣.

وانظر حول هذا الموضوع أيضًا:
فخري صالح(تحرير)، **المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر: الحلقة النقدية في مهرجان جرش الثالث عشر**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥، ص٤٥.

حوار مكتوب جرى بالمراسلة

بين

دولة سليم الحص، رئيس الوزراء اللبناني الأسبق

و

أ. يوسف عبد الله محمود، الكاتب الأردني

سؤال ١: نبذة عن سيرة دولتكم الشخصية.

جواب: **الإسم:** سليم الحص

مواليد: ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٢٩، بيروت- لبنان.

الوضع العائلي: أرمل منذ ١٢ أيار/مايو ١٩٩٠. له إبنة وحيدة وداد.

الثقافة

- بكالوريوس إدارة أعمال بتفوق من الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٥٢.
- ماجستير إدارة أعمال من الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٥٧.
- دكتوراه في إدارة الأعمال والاقتصاد من جامعة إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية (بموجب منحة من مؤسسة روكفلر)، ١٩٦١.

التاريخ المهني

- أستاذ في كليّة إدارة الأعمال في الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٦٩.
- خبير مالي للصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، الكويت، ١٩٦٤ - ١٩٦٦.
- رئيس لجنة الرقابة على المصارف في لبنان، ١٩٦٧ - ١٩٧٣.
- رئيس مجلس الإدارة والمدير العام للمصرف الوطني للإنماء الصناعي في لبنان، ١٩٧٣ - ١٩٧٧.
- رئيس مجلس الوزراء اللبناني (ترأس حكومتين متتاليتين)، ١٩٧٦ - ١٩٨٠.
- مستشار لصندوق النقد العربي في أبو ظبي في الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٣.
- رئيس لجنة دراسة الدينار العربي/ صندوق النقد العربي، ١٩٨٤ - ١٩٨٥.
- رئيس مجلس إدارة المصرف العربي والدولي للاستثمار، باريس، ١٩٨٢ - ١٩٨٥.
- وزير التربية والتعليم والفنون الجميلة في لبنان، ١٩٨٥ - ١٩٨٧.
- رئيس لجنة الخبراء العرب المنبثقة عن جامعة الدول العربية، ١٩٨٦ - ١٩٨٧.

- رئيس مجلس الوزراء في لبنان، ١٩٨٧ - ١٩٩٠.
- عضو مجلس أمناء الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٩١.
- عضو في المجلس الاستشاري للبنك الدولي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ١٩٩٢.
- عضو مجلس النواب اللبناني، ١٩٩٢ - ٢٠٠٠.
- رئيس مجلس الوزراء في لبنان، ١٩٩٨- ٢٠٠٠.

المؤلفات

عدد كبير من المقالات والدراسات في مجالي الاقتصاد والسياسة، بما فيها الكتب الآتية:

- *The Development of Lebanon's Financial Markets*، (بيروت ١٩٧٤).
- نافذة على المستقبل، (بيروت ١٩٨١).
- *Lebanon : Agony & Peace* (لبنان: المعاناة والسلم) بالإنجليزية، (بيروت ١٩٨٢).
- لبنان على المفترق، (بيروت ١٩٨٣).
- نقاط على الحروف، (بيروت ١٩٨٧).
- حرب الضحايا على الضحايا، (بيروت ١٩٨٨).
- على طريق الجمهورية الجديدة، (بيروت ١٩٩١).
- عهد القرار والهوى، (بيروت ١٩٩١).
- زمن الأمل والخيبة، (بيروت ١٩٩٢).
- للحقيقة والتاريخ، (بيروت ٢٠٠٠).
- محطات وطنية وقومية، (بيروت ٢٠٠٢).
- نحن والطائفية، (بيروت ٢٠٠٣).
- عُصارة العمر، (بيروت ٢٠٠٤).
- صوتٌ بِلا صدى، (بيروت ٢٠٠٤).
- تعالوا إلى كلمة سواء، (بيروت ٢٠٠٥).
- سلاح الموقف، (بيروت ٢٠٠٦).

العنوان الدائم

بيروت، عائشة بكّار، شارع الاستقلال، بناية دودار، الطابق السادس
صندوق بريد: ٥٦٥١/١٣٠، شوران بيروت، لبنان.
رقم الهاتف: ٢-١-٧٣٦٠٠٠/٠١، فاكس ٣٥٤٩٢٩/١٠

سؤال ٢: هل هنالك من إمكانية فعلية لوحدة وطنية لبنانية حقيقية ينجزها اللبنانيون باستقلال تام عن الدول التي تحاول أن تملي على لبنان سياساته، وتعبث بمصيره ومقدراته؟

جواب: إتفاق الطائف حسم هذا الموضوع بالتوافُق، حيث أكّد أنّ لبنان وطن نهائي لأبنائه، وهو عربي الانتماء

والهوية. فلبنان وطن اللبنانيين، لكنه جزءٌ لا يتجزّأ من الوطن العربي الأرحب. ونحن نطمح إلى أن يُقام في يوم من الأيام اتّحاد عربي على غرار الاتحاد الأوروبي. ونحن العرب أولى بالاتحاد من الأوروبيين لأنّ لُغة واحدة تجمعنا، وثقافة مشتركة، ومصالح متبادلة، وشعور بمصير واحد، في حين يوجد في أوروبا ٢٥ لغة، وعدد من الثقافات المتباينة، وتاريخ حروب ضارية فيما بينهم. ونحن نتطّلع إلى أن تكون بيروت بروكسل العرب.

سؤال ٣: ما معنى النصر والهزيمة على ضوء ما جرى في لبنان مؤخرًا؟

جواب: لبنان انتصر بأكثر من معنى: كان صمود حزب في بلد صغير في وجه أعتى قوّة في الشرق الأوسط، ومن ورائها أعظم قوّة في العالم، هو الانتصار بعينه. وكان آخر يوم من الحرب هو أعنفها، إذ كان القتال يدور يومها على تُخوم قرى وبلدات حدودية، أي أن الحرب انتهت حيث بدأت، على الحدود، وهذا منتهى الفشل لإسرائيل. ثم إنّ إسرائيل لم تحقق شيئًا من أهدافها المُعلنة. فلا هي استطاعت تدمير حزب اللّه. ولا استطاعت تحرير الأسيرين. ولا استطاعت احتلال أجزاء من الأرض في العُمق اللبناني. ثم إنّ إسرائيل نفسها اعترفت بفشلها. فكان سجال عنيف بين المسؤولين عبر وسائل الإعلام، وشكّلت لجنة تحقيق لتحديد مسؤوليات التقصير. واستقال بعض القادة العسكريين من مناصبهم.

سؤال ٤: ألا ترون أن توظيف الدين في السياسة، على نحو ما يجري الآن في لبنان، يؤدي إلى إضعاف المجتمع والانتماء الوطني، ويكرس الطائفية؟

جواب: لا شك أن الطائفية، ومن ثم المذهبية، هي آفة لبنان الأولى. فهي سبب للانقسامات الحادّة التي تُهدّد وحدة الوطن، ومن ثَمَّ وجوده. وهي أضحت مِتراسًا للفساد، إذ لم يعد بالإمكان ملاحقة أحد من الفاسدين والمفسدين باحتماء هؤلاء وراء طوائفهم، حيث يصوّر أنّ محاسبة الفاسد المفسد هو بمثابة المحاسبة لطائفته.

سؤال ٥: ألا تعتقدون أن تأويل النصوص الدينية الإسلامية يتم الآن في العالم العربي من وجهة نظر الأنظمة السياسية المسيطرة، بعيدًا كليًا عن حاجات الناس الحقيقية؟

جواب: لست مُطّلعًا على دقائق ما يجري على هذا الصعيد.

سؤال ٦: كيف تقرأون الدعوة إلى التعدّد الثقافي في العالم العربي، خاصة أن معنى التعدّد يُثير كثيرًا من الأسئلة في مجتمع لم ينجز بعد وحدته القومية؟

جواب: التعدد الثقافي ظاهرة طبيعية في كل مجتمعات العالم. أمّا العالم العربي فيتميّز بكثير من التقارُب الثقافي بفِعل تُراثه المشترك. وهذه ظاهرة ينبغي تنميتها من أجل توطيد الرابط القومي.

سؤال ٧: نشهد هذه الأيام صياغات تعبّر عن حقوق الإنسان على أساس ديني أو إقليمي. ما خطورة مثل هذه الصياغات؟

جواب: إن الحديث عن حقوق الإنسان على أساس ديني أو إقليمي يرمي إلى تعميق الانقسامات الطائفية والإقليمية، ومن ثم الحؤول دون ما نصبو إليه من اتحاد عربي.

سؤال ٨: لقد رسخت (الحداثة) مفهوم الحرية بشتى قيمها السياسية والفكرية والاجتماعية على المستوى النظري، لكنها عجزت عن تفعيل هذا المفهوم اجتماعيًا وأخلاقيًا. إلى ماذا تعزون هذا العجز؟

جواب: إنّ الحرية لم تنمُ إلى مستوى الثقافة الراسخة العميقة في مجتمعاتنا التي ما زال معظمها يخضع لإجراءات الكبت والقمع. يوم تَغدو الحرية محور ثقافتنا الوطنية والقومية ومن صلبها، فإنها ستكتسب مقوماتها السياسية والفكرية والاجتماعية على مستوى الواقع المُعاش.

سؤال ٩: الأزمات القومية لا تُحل إلا بمهاجمة مُسبباتها. في رأيكم ما طبيعة هذه المسببات؟

جواب: الأزمات القومية أسبابها معروفة: جوهرها قضية فلسطين والعدوان الصهيوني على الأمة. لا حلّ يُرتجى للقضايا القومية من دون حلٍّ ناجِع لقضية فلسطين. ونحن نعتقد أنّ تسويات قد تُعقد لإنهاء حال الحرب المسلّحة، كما كان في كامب ديفد على الجبهة المصرية، وفي وادي عربة على الجبهة الأردنية. لكن التسويات لن تبلغ مستوى السلام الحقيقي مالم تحظَ برضا الشعوبُ العربية عمومًا، والشعب الفلسطيني خصوصًا. وليس من حلّ عادل شافٍ لقضية فلسطين إلاّ بفلسطين واحدة موحّدة من البحر إلى النهر، عاصمتها القدس، يتعايش فيها العربي واليهودي بسلام جنبًا إلى جنب، ويعود إليها اللاجئون الفلسطينيون كافّة بموجب القرار ١٩٤ الصادر عن الهيئة العامة للأمم المتحدة، والذي تكررّ تأكيده بقرارات متفرّقة أكثر من مئة مرّة.

سؤال ١٠: القوة الناقدة هي التي تستطيع دفع البشر إلى التفكير في أنماط اجتماعية أفضل من تلك التي يحيون في ظّلها. ما العقبات التي تحول دون انبعاث هذه القوة الناقدة عربيًا؟

جواب: القوة الناقدة حقًا هي التي تعبرّ عن إرادة الشعوب. ولا مجال أمام الشعوب للتعبير عن إرادتها الحرّة إلاّ عبر الديمقراطية. وهذا ما نفتقر إليه نحن العرب، ولو بدرجات متفاوتة. هناك في لبنان مَن يتباهى بديمقراطيته. وأنا من القائلين، من وَحي التجربة والواقع، إنّ في لبنان الكثير الكثير من الحرية، إنما القليل القليل من الديمقراطية. ذلك لأن النظام اللبناني يفتقر إلى التمثيل الشعبي الصحيح بفعل المال السياسي، وطغيان العصبيات الفئويّة، ووُجود عِلل أساسية في قانون الانتخاب. وهو يفتقر أيضًا إلى آليات فاعلة للمساءلة والمحاسبة لعدم اكتمال موجب الفصل بين السلطات، وهزال ثقافة المساءلة والمحاسبة. ■

اللقاءات الشهرية

تطوير استراتيجية لإصلاح الأخلاق في مجال الخدمة العامة*

د. جميل جريسات**

يمكن تعريف علم الأَخلاق بأنه دراسة شكليات السلوك والمعايير الأَخلاقية. والأَخلاق التطبيقية -وهي فرع من فروع الفلسفة- تهتم بوضع الأحكام الأخلاقية وبالمنطق الفكري وراء هذه الأحكام. والأخلاقية في القطاع العام تؤكد المسؤولية الشخصية كما تقرها البنية الأساسية للقيم والقواعد والأنظمة والقوانين والقرارات المتّفق عليها، التي تحدّد معايير السلوك الأخلاقي.

وتبحث الأَخلاق التطبيقية في القضايا ذات الصلة التي تتم مواجهتها على نطاق واسع، وتؤثر في المجتمع بأكمله، وتمتد إلى ما وراء الحدود الحكومية. وهي تشمل طائفة متنوعة من الأسئلة من بينها: ما هو الالتزام الأخلاقي الذي يتوجب على الأغنياء تجاه مساعدة الفقراء؟ ما هو التزامنا تجاه المحافظة على البيئة وحمايتها؟ ما هي القيم الأَخلاقية التي تحكم القرارات المتعلقة بالإجهاض والقتل الرحيم وحقوق المرأة؟ ما هي الاعتبارات الأَخلاقية التي توجّه عملية صنع السياسة العامة للبلدان التي تقوم بغزو بلدان أخرى واحتلالها، استنادًا إلى الأكاذيب وتشويه الحقائق؟

بالتأكيد إن علم الأَخلاق ليس مجرد مجموعة من القواعد و«التحريمات التطهّرية» (البيوريتانية) التي تقيّد السلوك. كما أنه ليس نظامًا مثاليًا أو مدينة فاضِلة (يوتوبيا) تَعِدُ الناس بطريقة معيشة سامية ونبيلة بمجرد الامتثال للمبادىء والقوانين. وإن الأَخلاق التطبيقية تعتمد على السياق الذي ترد فيه. فهي تتطور وفقًا لسياقها الذي يعزّز مفاهيمها وممارساتها، وينميها ويدعمها. وعلى نحوٍ ما، فإن الأخلاق التطبيقية غالبًا ما ترتبط بالثقافة الشعبية، وبالمعتقدات الدينية، وبتفسيرات الوسائل الإعلامية، وبالقيم العائلية، وبالتربية والتعليم، وغير ذلك من القيم الاجتماعية المتفق عليها. وهذه هي العناصر التي تجعل كلاً منّا كائنًا اجتماعيًا منذ نعومة أظفاره إلى أن يصبح مواطنًا، ثم يتخذ دوره الخاص الذي سيقوم به في المجتمع.

إن آثار علم الأخلاق ما تزال غير معترف بها بعد في كثير من البلدان النامية. والواقع أنه حتى مع عدم إمكانية إخفاء فساد بعض المسؤولين الرسميين وأفعالهم المشينة وسوء إدارتهم، فإن الكثير منهم ما زالوا يترددون في قبول الضوابط الأخلاقية على سلوكهم.

وعلى الرغم من الإقرار المتزايد بأن الأخلاق هي السمة المميّزة للحكومة الصالحة، فإن الكثير من المسؤولين الحكوميين لم يقوموا بعد بالتخلي عن ثقافة الفساد المألوفة لديهم.

* عقد هذا اللقاء [رقم (٢٠٠٦/٨)] باللّغة الإنجليزيّة في مقر المنتدى بتاريخ ١تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦. الترجمة العربيّة: دة. فاتن بستاني. مراجعة: سمير أبو عجوة، مساعد مدير الدراسات والبرامج في المنتدى.

** أستاذ الإدارة العامة والعلوم السياسية، جامعة فلوريدا الجنوبية، تامبا، الولايات المتحدة الأمريكية؛ عضو المنتدى.

إن الذين ينظرون إلى السلوك الأخلاقي على أنه اتّباع القواعد والمبادئ بشكل صارم يُطلق عليهم تسمية «الدإنطلوجيين» (Deontologists). فهم يبررون الفعل استنادًا إلى قواعد محددة راسخة لا تتعارض فيما بينها. وحين تتضارب القواعد، فإنهم يقومون بترتيبها في بُنية متسلسلة هرميًا من أجل إزالة هذا التضارب وتبسيط ما هو معقّد.

من جهة أخرى، هناك الاتجاه المعروف باسم «النفعية» (Utilitarianism) أو «العواقبية» (Consequentialism)، الذي يقيس الأفعال مقابل أهداف وسياسات تمّ إرساؤها. فالأفعال يجري تقييمها بمقدار ما تحققه من أهداف. ويعد الفعل صائبًا بقدر ما ينتج عنه من زيادة في سعادة جميع المتأثرين به دون غيره، وخاطئًا إذا لم يحقق ذلك. وبعبارة أخرى، إن أخلاقية الفعل تكون مبرَّرة إذا حقق الهدف. ويمكن لهذا الاتجاه أن يصبح حسابًا للكلفة أو المنفعة، أو العلاقة القديمة بين الوسيلة والغاية. غير أن النقّاد يقولون إن المنافع قلّما تسمح باستخدام الأساليب التي تدينها الأخلاق الشائعة. فتعذيب الناس، خاصة الأبرياء منهم، لا يمكن تبريره حتى وإن زُعِم أن حقق بعض الفوائد.

الفســـاد

تعرّف منظمة «الشفافية الدولية» الفساد بأنه سوء استخدام المرء للسلطة الموكلة إليه لأغراض الربح الخاص. ونعلم أن الفساد يخرّب الثقة بالحكومة، ويحيد بالسياسات العامة عن الخط الواجب اتباعه، ويحط من كرامة الرؤساء والقادة في أي منظمة. وفساد المسؤولين الحكوميين موجود في كل بلد، سواء أكان ناميًا أومتقدمًا. ومشاريع التنمية الكبيرة التي تعاني من ضعف في المراقبة والتخطيط كثيرًا ما تشجع على الفساد. وتكون عواقب ذلك من الضرر والخراب بالنسبة للبلدان النامية أكبر بكثير منها بالنسبة للبلدان الصناعية الغنية.

والبلدان الصناعية لها نصيبها من الفساد السياسي أيضًا. ففي العامين الماضيين، أدّت التحقيقات في قضايا الفساد في الكونغرس الأمريكي، مثلاً، إلى عدّة إدانات واستقالات. كما أن التحقيقات كشفت النقاب عن الفساد الهيكلي للعملية السياسية التي تسيطر عليها قوى الحشد السياسي ومجموعات المصالح الخاصة. فالمفاجآت التي نُشرت مؤخرًا عن الوضع المهين الذي وصل إليه جاك آبراموف – وهو أحد أفراد مجموعات الضغط السياسي – وشركاؤه تتحدث عن مشكلة أعمق تواجهها السياسة الأمريكية، وهي السلطة المفرطة والنفوذ الكبير لمجموعات الحشد السياسي وأصحاب المصالح الخاصة على عملية السياسة العامة. وتعليقًا على الانتخابات الأخيرة في الولايات المتحدة، ذكرت صحيفة واشنطن بوست في افتتاحيتها «أن من أعلى الأصوات في الرسائل التي وردتنا عن انتخابات يوم الثلاثاء كانت تلك التي عبّرت عن الاشمئزاز من الطريقة التي تتبعها واشنطن في أعمالها. ففي استطلاعات الرأي تبيَّن أن ٤٢٪ من الناخبين قالوا بأن الفساد والفضائح في الحكومة كانت هي الأمور التي لعبت دورًا مهمًا للغاية في قراراتهم*». حين تنعدم ثقة الناس بالسياسة والسياسيين، فإن ذلك يتطلب من الإدارة العامة (الحكومية) أن تكون اليد الثابتة التي تخدمهم بكفاءة وتفان. فالإدارة العامة تعمل في ظل معايير للسلوك والأداء مختلفة وأكثر صرامة. وعلى العموم، فإن المديرين العاملين في الحكومة هم أشخاص متقّفون ويتمتعون بالخبرة

* Editorial, *Washington Post*, Nov.10, 2006. p.A 30

وقد تمّ تعيينهم (أو هكذا يفترض أن يكون) بناء على جدارة أظهروها في مجال المعرفة والمهارات الفنية. والإدارة العامة تقوم بصورة مستمرة بوضع معايير السلوك وتنفيذها ومراقبتها وتأكيد طابعها المهني.

لا يوجد كتاب في متناول اليد يتضمن تقنيات كيفية بناء نظام سياسي أخلاقي بصورة فورية. فالسياسة غير النزيهة والأخلاق الوضيعة تبقى أمرًا شائعًا في جميع الحكومات، وغالبًا ما تتخذ أشكالاً مختلفة، مثل:

- أخذ الهدايا والعطايا والرشوات.
- التلاعب بالعقود الحكومية لتحقيق المصالح الشخصية والثراء الذاتي، وما إلى ذلك من مظاهر الفساد.
- تزويد التعويضات عن مصاريف السفر.
- المحسوبية وتفضيل الأصدقاء أو الأقرباء في السجلات الحكومية.
- إستخدام ممتلكات الحكومة وموظفيها لأغراض شخصية.
- إساءة إستخدام المعلومات الواردة في السجلات الحكومية.
- تضارب المصالح المالية.
- مسألة قول الحقيقة.

عواقب الانزلاقات الأخلاقية للموظفين الحكوميين:

- المحاكمة ليس في المحكمة فقط، بل أيضًا أمام الرأي العام.
- خسارة القدرات الثمينة لخدمة المصلحة العامة.
- خسارة زخم البرنامج وعرقلة التنمية الوطنية.
- إلحاق الضرر بمكانة الفرد والمنظمة.
- خسائر مالية للحكومة.
- خسائر مالية للفرد وتمزيق حياته العائلية.
- تناقص الثقة العامة.

إن أسباب الفساد لا يمكن تحديدها بشكل دقيق. ويمكن أن تعود لأمور عدة بينها: الأجور الزهيدة، والمنافع الإضافية غير الكافية التي يجنيها الموظف من وراء عمله، وضعف الالتزام تجاه الدولة، وغياب الرقابة والسيطرة، وثقافة المجتمع. لكن بالتأكيد لا علاقة للأجور المنخفضة حين الحديث عن الفساد في المستويات العليا للقيادة.

إن **دليل ملاحظة الفساد لعام ٢٠٠٥** الذي وضعته «منظمة الشفافية الدولية» يحدد مستويات الفساد في ١٥٨ بلدًا، استنادًا إلى ملاحظة محلّلين ورجال أعمال مقيمين وغير مقيمين. وقد تم ترتيب البلدان حسب مقياس يتراوح بين ١(أكثرها فسادًا) إلى ١٠ (أقلها فسادًا). وكانت الدول العربية التي جاء ترتيبها ٣,٥ أو أقل، حسب هذا المقياس، هي: مصر، والمملكة العربية السعودية، وسورية، والمغرب، ولبنان، والجزائر، واليمن، وفلسطين، وليبيا، والعراق، والصومال، والسودان. أما الدول العربية التي جاء ترتيبها فوق المتوسط (بدرجة ٥ أو أعلى على المقياس)، فهي: سلطنة عُمان، والإمارات العربية المتحدة، وقطر، والبحرين، والأردن. ولم يأت ترتيب أي دولة عربية في المستويات العليا (بين ٧ إلى ١٠ على هذا المقياس).

من ناحية أخرى، إن أكثر ما يثير الذعر هو أن الفساد لا يستدعي العقاب القانوني الضروري؛ بل والأخطر من ذلك، هو أنه لا يستثير العقوبة الاجتماعية التي تؤثر سلبيًا على الاحترام في المجتمع الذي يعيش فيه الفرد. وكما أن تفجّر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قد

سمح بانتشار الأفكار والممارسات بشكل سريع على المستوى العالمي، فإنه كذلك قد أتاح الفرصة للجماهير العربية، ولكل الجماهير في سائر أنحاء العالم، للمطالبة بمعايير أعلى للأخلاق والشفافية والمساءلة (أو المحاسبة) في القطاع العام. [أشار استطلاع للرأي العام، أجراه مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية في شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٥، إلى أن قضية الفساد في الحكومة قد احتلت المرتبة الأولى بين القضايا الأخرى التي شغلت الرأي العام].

استراتيجيات إصلاح الأخلاق

إن الإصلاح الناجح هو نتاج استراتيجيات قد تمّت صياغتها بعناية وحسن تقدير، وجرى تنفيذها بكفاءة وأمانة. فالمدخلات تحدد المخرجات إلى حد كبير. وفيما يأتي ثلاث أدوات مهمة للتغيير:

١. السيطرة الخارجية في مقابل الضوابط الداخلية.

٢. السياسة التنموية.

٣. القيادة بالقدوة.

١. السيطرة الخارجية: القانون

إن الاعتماد على الضوابط الخارجية يعني سَنّ قدر أكبر من القوانين والأنظمة كسبيل لتحقيق إصلاح الأخلاق في الحكومة. وهنا يبرز التوتر الحقيقي والممكن في العلاقة بين القانون والأخلاق، وهو موقف ليس مفهومًا بشكل جيد عمومًا.

القانون هو واجب عام، يتحتّم على المواطنين طاعته واتّباعه، والمخالفون للقانون يتعرضون للجزاء (العقوبات). ومع أن البعض ما زال ينظر للأخلاق على أنها واجب خاص، أو شأن ذاتي وفردي، إلا أن الأخلاق الحديثة قد أصبحت قوة رئيسية في تشكيل القيم الاجتماعية. فالأخلاق الحديثة ترتبط بكلٍ من التحقق الفلسفي والمعايير المهنية. وفي الواقع، كثيرًا ما نجد أن للمواثيق الأخلاقية عقوبات ونتائج شبيهة بالقانون. وفي بعض الحالات -كما في المهن- يمكن أن تكون العقوبات المهنية أكثر تقييدًا وأكبر أثرًا من بعض القوانين. (يستطيع المحامي أو الطبيب أن يخبرك كيف ينظر كل منهم إلى التوبيخ الذي تصدره رابطته المهنية بالمقارنة مع مخالفة بعض القوانين والأنظمة الحكومية، مثل قانون السير مثلا، أو حتى قانون ضريبة الدخل).

إن المعايير الأخلاقية قد تمّ جمعها وتنسيقها وتصنيفها في مجالات الحكومة والأعمال التجارية والمهن وعلى النطاق العالمي. وهذا الجمع والتنسيق والتصنيف أمر ضروري ومرغوب فيه. لكن هل يعنى ذلك أن التوتر بين ما ماهو قانوني وماهو أخلاقي قد تمّ حلّه؟ الجواب هو كلا، لكن قد تمّ التخفيف من حدّته. ويبقى هنالك بعض أوجه التمييز. فالمسائل القانونية تتناول ما قد تمّ جمعه وتصنيفه كقوانين في المجتمع. وقد يكون لذلك أساس أخلاقي، وقد لا يكون.

في الواقع، تتباين المسائل القانونية عبر المجتمعات، في حين أن المسائل والمبادئ الأخلاقية تتلاقى عبر الثقافات والمجموعات. وهكذا يبرز أمامنا حقل الأخلاق العالمية والكلية. وعند مقارنة القواعد الأخلاقية بالقواعد القانونية، يمكننا أن نؤكد على الجوانب الآتية:

١) القوانين محدودة من حيث ما يمكنها القيام به.

٢) يتم إصدار القوانين وفرضها على الغالب بعد وقوع الضرر.

٣) يضع القوانين في الغالب محامون، وهي تخلق عقلية التهرّب من الالتزام بها بسبب وجود ثغرة أو غموض في النص.

٤) تكون الإجـراءات القانونية ذات كلفة باهظة، وتستغرق وقتًا طويلاً.

٥) إصدار الأحكام القضائية هو أمر تتولاّه المحاكم، وهي سلبية، بمعنى أنه عليك أنت أن تجلب القضية وتضعها أمامها.

بالمقابل كثيرًا ما يتم إصدار الأحكام في القضايا الأخلاقية إداريًا، ويكون ذلك أقل كلفة وأقل رسمية ومشكلية. ومع ذلك، فإنه على الموظفين الحكوميين الذين يتخذون القرارات أن يُدخلوا ضمن عملياتهم الفكرية والمنطقية أسئلة من القانون والأخلاق تتصف بكونها متميزة عن بعضها، لكنها في الوقت نفسه تبقى مترابطة. ومن الأمثلة على ذلك:

- ما هو الأمر القانوني الذي يجب القيام به؟
- ما هي مصلحة المؤسسة أو البرنامج الذي أعمل فيه؟
- هل يأتي ذلك ضمن المصلحة العامة؟
- هل يتفق ذلك مع المعايير المهنية؟
- ما هو الدور المناسب الذي يجب عليّ القيام به؟ وإلى أي مدى ينبغي أن تؤثر مصلحة المرء في عملية اتخاذ القرار؟

من المهم تأكيد أن الانصياع للقانون قد لا يكون انصياعًا أخلاقيًا. كذلك، فإن المساءلة الإجرائية ليست مساوية للمساءلة الأدائية.

إن أصحاب الاتجاه التقليلي في السلوك الأخلاقي (Minimalists، أي الذين يكتفون بالحد الأدنى) يتساءلون: «هل هناك قانون، مهما كان، يمنعني من القيام بهذا العمل؟» ربما لا يوجد، لكن قد يكون ذلك لا أخلاقيًا. مثلا، إذا قامت شركة ما بإنهاء خدمة أحد الموظفين مباشرة قبل موعد تقاعده كي توفر على نفسها مصاريف التقاعد التي يستحقها هذا الموظف، فإن عملها هذا قد لا يكون مخالفًا للقانون، لكنه مع ذلك غير أخلاقي. وإذا أعطت إحدى الشركات تعويضًا ضخمًا لمديرها التنفيذي الأول يبلغ مقداره ملايين الـدولارات، في الوقت الـذي تعاني من خسارة مالية كبيرة وتقوم بإنهاء خدمات موظفيها ويخسر المساهمون فيها مدّخراتهم، فإن عملها قد لا يكون مخالفًا للقانون، إلا أنه بالتأكيد موضع شك من الناحية الأخلاقية. وفي الولايات المتحدة كانت العبودية أمرًا قانونيًا في فترة تاريخية معيّنة، لكنها لم تكن قط مبرّرة أخلاقيًا.

ما من قانون أو نظام يمكن أن يبلغ قدرًا كافيًا من التفصيل بحيث تنتفي الحاجة إلى التعقّل والتمييز والمسؤولية الفردية. ذلك لأن هذه الأمور لا غنى عنها. فمهما كانت القوانين والأنظمة مفصّلة، فإن القدرة على الحكم (ملكة الحكم Judgement) والقيادة تبقيان من غير الممكن الإستغناء عنهما عند اتخاذ القرارات، والأخذ بزمام المبادرة، وتحمّل المسؤولية. كما إن هذا التعقّل بدوره يتطلب القيادة والقدرة على تكوين الأحكام. وبإمكاننا أن نعمل الكثير من أجل تحسين القدرة على التعقل والتمييز الإداري، وتشجيع ما يُسمّى بالضوابط الداخلية، وتنمية الإحساس الذاتي بالمسؤولية لدى العاملين في القطاع العام. فالتعليم والتوضيح والتدريب الجيد والأمثلة الشخصية (القدوة) - جميعها أمور تساعد على ذلك.

يبقى الجزء الأصعب هو التحدّي الذي يتمثّل في فرض تنفيذ ما نسعى إليه. فجميع العناصر متعلقة ببعضها بشكل وثيق. والقادة الناجحون يفهمون أهمية الثقة العامة، وينظرون إلى عالمهم التنظيمي على أنه الميدان الذي تتحّد فيه استقامتهم الشخصية وسلطتهم القانونية حتى يكونوا أهلاً للمسؤولية والفاعلية. إن الفاعلية تعني تقديم نتائج. وبالإضافة إلى السيطرة

القانونية الهرمية الخارجية المستخدمة في الكثير من الأحيان كاستراتيجيات للتنفيذ، نجد أن الوسائل الأخرى الضرورية للتنفيذ الجيد إما ضعيفة أو غائبة بوضوح في البلدان النامية بصورة عامة، وفي العالم العربي بصورة خاصة.

وعلى وجه الخصوص، فإن المراقبة الفاعلة والملموسة تتطلب ما يأتي:

(١) الإشراف التشريعي: إن وضع المعايير الأخلاقية موضع التنفيذ سيفتقد القوة الدافعة الضرورية عندما يخفق المشرّعون في ممارسة مسؤولياتهم الائتمانية وتقديم الإشراف المناسب على الجانب التنفيذي للحكومة.

(٢) وسائل الإعلام المُلزمَة أخلاقيًا ومهنيًا بالكشف عن الجريمة والفساد وسوء استخدام السلطة.

(٣) المواطنين المطّلعين والمهتمين بشؤون مجتمعهم وبلدهم الذين يشكّلون بيئة تشجع المساءلة والمسؤولية في السلطة العامة وترعاهما.

ميامي - دايد : حالة من حالات فرض التنفيذ

إن تجربة ميامي- دايد (*Miami-Dade*) تشير إلى طريقة مثيرة للاهتمام لإقامة تمييز بين القانون والأخلاق، وهي تبدو بسيطة ومباشرة. يُعَرَّف الفساد بأنه سوء سلوك جنائي يشتمل على إساءات، مثل الرشوة والابتزاز وترويج التعاملات غير المشروعة. وكذلك، برؤية أوسع، فإن الفساد غالبًا ما يشمل عناصر أخرى تضر المجتمع، مثل سوء استخدام السلطة، وتضارب المصالح، وسوء الإدارة، والهدر. وتمثّل هذه الأمور خروقات خطيرة للثقة العامة، وغالبًا ما يكون استهدافها صعبًا على المؤسسات التي تكافح الفساد الجنائي. وفي حين تسلّط أكثر الأضواء اليوم على الجوانب الجنائية للفساد التي تحتاج إلى نظر المحاكم فيها، فإن الجوانب غير الجنائية لا تحظى بالاهتمام الكافي، وتقل كتابة التقارير عنها ويقل التحقيق فيها.

وهناك درس يمكن استخلاصه من قضية مقاطعة ميامي- دايد. فقد كانت نتيجة الادّعاء العام للولايات المتحدة في مقاطعة ميامي-دايد الذي تناول قضايا الفساد في منتصف التسعينيات (١٩٩٦-٢٠٠١) كالآتي: (٣٦) من المتّهمين وُجدوا مذنبين؛ و(٨) أجابوا أمام القضاء بأنهم مـذنبون؛ و(١٦) تمّ سجنهم. وفي الفترة بين ١٩٩٦ و ٢٠٠٢ قام مكتب المدّعي العام لولاية فلوريدا بمحاكمة (٢٨٧) قضية فساد، وجرى اعتقال (٣٧٧) موظفًا، وحُكم بالسجن على (٣٨) منهم، وما زالت هنالك قضايا معلقة منذ عام ٢٠٠٤. ولاحقًا في عام ٢٠٠٣، أصدرت ولاية فلوريدا قانونًا أكثر تشدّدًا يقضي بمدة سجن أطول.

إن النقطة المهمة هنا هي أن المبادرة بمقاضاة الفساد في الحكومة قد أصبح أمرًا حاسمًا. وإن تطبيق القانون هو المفتاح في عملية المقاضاة وقد استخدمت وسائل أخرى للتنفيذ، في مكان أو آخر، من أجل استعادة ثقة الجمهور، ولكل وسيلة إمكاناتها. لكن قد لا تستطيع الوسيلة تحقيق أهدافها في غياب ظروف مهنية ملائمة، خاصة الاستقلال عن السياسة. وهذه قائمة بالهياكل المستخدمة في مكافحة الفساد:

١) مكتب التحقيق في الفساد العام.

٢) مكتب المفتش العام.

٣) هيئة شؤون الأخلاق.

٤) قسم الإدارة وتدقيق الحسابات.

٥) اللجان المستقلة للمراجعة.

ومع كل هذه التغييرات والتعاون المؤسسي الفعّال

فلم يُقضَ على الفساد، لكن انحسر وأصبح أكثر خطورة.

٢. السياسة التنموية (الاستقطاب والتعليم والتدريب)

إن تنمية «الضوابط الذاتية» والإحساس بالمسؤولية الشخصية هي من المسائل التي نالت مرتبة متدنّية من حيث الأهمية في السياسات العامة حول الأخلاق. والتعّقل أمر أساسي لا يمكن تجاهله في الأنظمة الحديثة للحكومات. إننا لا نستطيع مراقبة كل موظف حكومي في مكتبه، أو كل معلم في صفّه، أو كل شرطي على الطريق، أو كل قاضٍ في المحكمة، أو كل طبيب في غرفة العمليات.

وإذا كان التعقّل لازمًا، فالتنمية المهنية هي أيضًا من المتطلبات. وكما سبق وذكرت، إن النهج القانوني شيء جيد، لكنه غير كافٍ لنظرة شاملة وبعيدة المدى. فالتعليم والتدريب والوعي الاجتماعي، بالإضافة إلى صحافة نزيهة وحرة وكفوءة تشكّل جميعها جوانب أساسية. وهناك عامل آخر أكثر أهمية، وهو الشفافية التي يجب أن تتحلّى بها القرارات والإجـراءات الحكومية، باستثناء الحالة التي يكون فيها مساس بالأمن القومي. والشفافية ضرورية للغاية للحفاظ على سلامة السياسة العامة واستقامتها. نعم، أضيئوا الأنوار كي تثبّطوا عزيمة اللصوص.

دعوني أتوسع قليلاً في قضية التعليم. فحين نراقب أطفالنا وهم يكبرون أمام أعيننا، نفترض أن النظام التعليمي يحمل مسؤولية كبرى في تزويد الصغار بالتربية الأخلاقية التي تعدّهم ليصبحوا أفرادًا راشدين وناضجين أخلاقيًا، قادرين على التفكير والعمل الأخلاقيين.

وقد تستغربون إذا علمتم أن النزر القليل من التعليم الأخلاقي يدخل ضمن التدريس الرسمي، من خطط دراسية أومناهج مدرسية. فلا يوجد هناك «اختبار للكفاءة الأخلاقية» للتحقق من نضوج الأطفال الأخلاقي. ومع ذلك، فإن الطلاب يكوّنون تصوّرات عمّا يترتب عن كون الشخص إنسانًا صالحًا. بعبارة أخرى، التربية الأخلاقية فيها شيء من الحتمية.

إن استجابات العملية التعليمية لهذا الاضطراب في القيم جاءت محدودة، إن لم تكن صامتة. وهنالك اهتمام قليل في المدرسة بمسألة العمل - الفعل الأخلاقي أو كيف يجب على المرء أن يتصّرف. نعم، إن كلمة «يجب» كانت مفقودة. فلم يرَ المعلمون أن دورهم يقتضي بأن يأمروا الطلاب، كأن يقولوا لهم مثلاً: «يجب أن لا تسرقوا»، أو «يجب أن لا تخرّبوا ممتلكات المدرسة». لقد تصوّروا أن إصدار الأوامر يمثّل «اليد الباردة للرأي القويم». وأنه موقف متسلّط، مع شيء من وجهة نظر نسبية.

هل يجب على الكليات والجامعات أن تدرّس المسؤولية الشخصية والاجتماعية؟ نعم، فالجامعات يجب أن تخدم المجتمع بدلاً من أن تخدم المديرين وهيئة التدريس. كما يجب أن لا تكون الجامعة بالدرجة الأولى مؤسسة لجني الأرباح. وكذلك على المدرسين أن لا يكتفوا بتعليم الطلاب كيف ينجزون المهمات والعمل فقط، بل أيضًا كيف يحققون ذلك بطريقة أخلاقية. وقد غدت الأخلاق، بشكل متزايد، موضوعًا إلزاميًا في الإدارة العامة، وإدارة الأعمال، وكليات الطب، وغيرها من الدراسات الأكاديمية. وأخذ التأكيد على هذا الأمر يتم بشكل خاص، بعد أن أثبت عدد من القادة في الحكومة والشركات أن اهتمامهم بجداول أعمالهم ورواتبهم هو أكثر من اهتمامهم بما هو خير لمجموعتهم والمجتمع بأسره.

٣. القيـــادة

لقد كثر الحديث عن القيادة، في الوقت الذي قلّ فهمها، وقلّ أكثر من ذلك ممارستها. إن إحدى الوظائف الرئيسية للقيادة هي وضع المعايير وتشجيع ثقافة الأمانة والاستقامة في النظام الاجتماعي. ويصِحُّ هذا القول على جميع أنواع القادة، سواء كانت القيادة سياسية أو إدارية.

إن التركيز هنا هو على الإدارة العامة التي تعمل في ظل معايير مختلفة وصارمة للسلوك والأداء. والإدارة العامة تقوم، بصورة مستمرة، بجمع معايير السلوك في الخدمة العامة وتصنيفها، وكذلك تنفيذها ومراقبتها، وإضفاء طابع المهنية عليها. لكن هذا لا يعني إنكار حقيقة أن المنظمات العامة ما زالت مضطرة للتعامل بين الحين والآخر مع أناس منحرفين، أو معرقلين للمسيرة، يستمرون في الوقوع في المزالق، على الرغم من كل الجهود المبذولة.

إن التعليم والقيادة يعززان ثقافة الأمانة والإستقامة، ويصونان جودة الحاكمية الديمقراطية. والقيادة التنظيمية والإدارية تشمل كل موظف عام «حكومي» في المنظمة يكون مسؤولاً عن أداء الآخرين، ذلك لأن القيادة الإدارية لا تقتصر على الموجودين على رأس المنظمة. وجميع المديرين العامّين هم قادة، كلّ في دائرة عمله. وهؤلاء القادة/ المديرون هم الذين يخدمون القانون والمؤسسات؛ وقد تبوّأوا مناصبهم عن جدارة واستحقاق، ونظرًا لمهاراتهم الفنيّة (التقنية) وأقدميتهم وإخلاصهم للمصلحة العامة.

ومن أهم وظائف القيادة الإدارية الإشراف والتعليم والتوضيح، وأن يكون القائد مثالاً يُحتذى به في نظر العاملين معه أوْلـه. فالقادة يقدّمون المعرفة، ويوضّحون القيم، ويحدّدون الغايات السامية للمنظمة، ويضعون أسس التقدم للموظفين والجماعات. كما أن القادة الحقيقيين يقومون برعاية الموظفين الذين يمتلكون الامكانات الواعدة ويهيئونهم ليصبحوا ذوي قيمة كبيرة للمنظمة. وهناك مصادر كثيرة للرجوع إليها، مثل النظريات الأخلاقية، والقضايا (من دعاوى وحالات) الأخلاقية، والأحكام التي تصدرها لجان الشؤون الاخلاقية، وتجارب المديرين العامّين، وتحليلات الخبراء وتوصياتهم- كل هذه الأحداث والحالات والتجارب الواقعية في حياتنا تساعدنا على التعلّم والبحث عن أفضل الأجوبة. وهذا أمر مهم لدى التعامل مع معضلة أخلاقية: عندما يكون الاختيار بين أمريْن كلاهما صحيح، أو بين عدة بدائل جميعها سيئة.

وحين يشرع المديرون العامّون في وضع استراتيجية لإصلاح الأخلاق، عليهم أن يتوقّعوا مواجهة بعض التحدّيات الخطيرة. في البداية، يجب أن تكون لديهم نظرة شاملة لهذه التحديات. فالأخلاق في الخدمة العامة هي أكثر بكثير من مجرد خرق أخلاقي أو مخالفة قانونية. والسلوك الأخلاقي يتضّمن الشفافية عند القيام بالعمل العام، والكفاءة والفاعلية في الأداء، ومحاربة الهدر والاحتيال والخداع وسوء الاستعمال والمعاملة، وسوء الإدارة بجميع أنواعها.

كذلك على المديرين العامّين مجادلة المعارضين من أصحاب «النظرة النسبية»، إذ إن الأخلاق في رأي هؤلاء هي خيار شخصي، وليست مسألة حقيقة موضوعية مكتشفة. كما يجب على المديرين العامّين ترجمة المبادىء الأخلاقية إلى برامج عملية. لكن، في المقام الأول على المدير عند التعامل مع المشكلات الأخلاقية أن يعترف بوجودها أساسًا. فتجاهل هذه المشكلات أو إنكارها، يمكن أن يكون مدمّرًا.

إن وضع الأمور موضع التنفيذ مهمة تتطلّب جهدًا

كبيرًا. ولما كانت الإدارة متجذرة أصلاً في القيم الشائعة، خاصة منها ذات الجذور في التقاليد الدستورية، فإننا نجد هنا قيم المساواة، وحقوق الفرد، والحرية، والاحترام، والعدالة، والحرص على الصالح العام. ومن ثم، فهنالك القدرة على إصدار الأحكام السليمة التي يتمتّع بها مديرون متمرّسون ذوو سجل لمسؤولياتٍ ائتُمنوا عليها في المؤسسات العامة.

وفي المحيط الديمقراطي، فإن مدخلات المواطنين لا يمكن الاستغناء عنها. وقد حسَّنت الممارسات المحسوسة المعرفة الأخلاقية. وعلى سبيل المثال، فإن «لجنة مستقلة للشؤون الأخلاقية في كل ولاية» باتت من الممارسات الشائعة التي لها مزايا محدّدة. ومثل هذه اللجنة تدير «ميثاقًا للأخلاق» قابلاً للتطبيق في الفروع التشريعية والتنفيذية. ومن أجل أن تؤدي هذه اللجنة وظيفتها بطريقة مناسبة، فلا بد من حل قضايا كثيرة منها: موازنة كافية وملائمة، وتعيين خبراء وتحديد المبادىء والسلطات في الميثاق الأخلاقي، وتعيين مفوضين، إضافة إلى قضايا أخرى.

إن استراتيجية سليمة للإصلاح يجب أن تعتمد على معرفة دقيقة بقضايا فكرية وعملية أساسية في مجال أخلاقيات الخدمة العامة. ومرة أخرى، فهنالك حاجة للتمييز بين التزامات السلوك الأخلاقي والتزامات الإذعان للقانون. وإن معظم المعايير والقيم الأخلاقية الخاصة بالخدمة العامة قد تمّ الاتفاق عليها، وصياغتها بشكل رسمي، ونشرها في المستويات الحكومية المختلفة وبواسطة المشتغلين بالإدارة العامة. ومن أجل تطوير المهارات التحليلية، ووجهات النظر المقارنة، وعمليات التفكير المنطقية، يحتاج المرء إلى تقدير (احترام) القيم والتقاليد الأساسية للخدمة العامة.

وعند التعامل مع سياق سياسي ديمقراطي، تصبح مشاركة المواطنين ومدخلاتهم، خاصة المعنيين منهم بالأمر، مسألة حيوية. فالإملاء من أعلى يُقيِّد عملية التنفيذ. وهكذا، فإن الاعتماد على موظفين حكوميين من ذوي الكفاءة والمسؤولية، وخبراء في الحقل، والاسترشاد بمدخلات المواطنين ومشاركتهم، هو السبيل الوحيد الناجع لمنع القرارات ذات الدوافع السياسية التي تكون غير قابلة للتنفيذ.

وأخيرًا، فإن الأخلاق اليوم يجري تشريعها. فقد تم تبنّي المواثيق الأخلاقية. وتجري اليوم معاقبة المخالفين. ووضعت قواعد السلوك الصحيح والسلوك الخاطىء. وأصبح الإداريون يدركون أنه، تحت ظروف معيّنة، يكون من الأفضل العمل بطرق محددة بدلاً من غيرها. وبالطبع، يجب أن لا تكون هنالك أي أوهام بأن القواعد والقوانين لا تضمن السلوك الحسن أو تكفل الفضيلة المدنية في الإدارة العامة أو في السياسة. ولا شك مع ذلك في أن القواعد والمواثيق الأخلاقية تجعل السلوك اللا أخلاقي محفوفًا بالمخاطر، وأكثر صعوبة، ومع الأمل، أقل انتشارًا.

بالنسبة للمديرين في القطاع العام، تتمثل مهمتهم بتحسين استراتيجيات التنفيذ وصقلها بصورة مستمرة، بالتعلّم من التجارب التنظيمية في كل مكان. وكذلك، فمن الضروري وجود تفهّم شامل للعوامل الكثيرة ذات الصلة وكيفية تأثير بعضها في الآخر.

ولا أحد ينكر أنه قد تمّ إحراز تقدّم. نعم، هناك أخلاق تطبيقية، وقواعد عامة، وأوامر بالعمل وأخرى بالنهي عن العمل. نعم يجري الآن تشريع الأخلاق ومعاقبة المخالفين. ومنذ عصور مبكّرة، منذ زمن «الوصايا العشر» التي جاءت بصيغة «إفعل كذا ولا تفعل كذا»، كان لدينا قواعد محدّدة للسلوك الحسن.

وغدت التجريدات الأخلاقية حول العدالة والمجتمع تأخذ طابع الفورية. وقد قال أرسطو إن الإنسان يصبح فاضلاً بقيامه بالأعمال الفاضلة؛ ويصبح لطيفًا بقيامه بالأعمال اللطيفة؛ ويصبح شجاعًا بقيامه بالأعمال الشجاعة. وعلى الشباب اليوم أن يبذلوا جهدهم في إيجاد الأفعال الفاضلة، أو الشجاعة، أو اللطيفة. ويبدو أننا قد فقدنا قوة القدوة التي تُعَلِّم الأطفال أن يكونوا طيّبين وخيرّين، وليس فقط أذكياء وبارعين. نحن نعيش اليوم أزمة ثقة وشك في قادتنا، والأهم من ذلك، في مؤسساتنا.

ملخّص: وسائل لاتّخاذ ما يلزم في مجال الخدمة العامة

فيما يأتي بعض المفاهيم العامة والثمينة لتنفيذ برنامج للأخلاقيات في المؤسسات الحكومية:

١. معايير أخلاقية واضحة: إن الموظفين الحكوميين بحاجة إلى معرفة مبادئ السلوك المقبول ومعاييره وحدوده. ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق وضع دليل مختصر -يتم الإعلان عنه بشكل وافٍ- يتكوّن من المعايير والمبادئ الأخلاقية الجوهرية التي توجّه الخدمة العامة، مثل ميثاق للأخلاق.

٢. يجب توسيع المعايير الأخلاقية وصقلها كي تعكس الإطار القانوني. ويمكن للقوانين والأنظمة أن تبيّن القيم الأساسية للخدمة العامة، ويجب أن توفّر الإطار المطلوب للتوجيه والإرشاد والتحقيق والإجراءات التأديبية والمقاضاة.

٣. يجب توفير التوجيه الأخلاقي للموظفين الحكوميين.

٤. إن التدريب يحسّن الوعي الأخلاقي وبإمكانه أن ينمّي المهارات الضرورية للتحليل والتفكير الاستنتاجي في مجال الأخلاق.

٥. يجب على المسؤولين الحكوميين أن يعرفوا حقوقهم وواجباتهم عند الكشف عن الأخطاء والأفعال المسيئة للآخرين.

٦. إن الالتزام السياسي بالأخلاق يجب أن يعزز السلوك الأخلاقي للموظفين الحكوميين.

٧. يجب أن تتحلّى عملية صنع القرار بالشفافية، وتكون متاحة للفحص والتدقيق. ذلك لأن للجمهور الحق في معرفة كيف تقوم المؤسسات العامة باستخدام السلطة والموارد الموكلة إليها.

٨. يجب أن تعزز السياسات والإجراءات والممارسات الإدارية السلوك الأخلاقي. فلا يكفي أن يكون للحكومات هياكل تقوم فقط على القوانين والأنظمة، وتستند إلى الإذعان. ويجب على السياسة الحكومية أن لا تحدد المعايير الدنيا للأفعال الحكومية الرسمية فحسب، بل عليها أيضًا أن تبيّن بوضوح مجموعة قيم للخدمة العامة يجدر بالموظفين التطلّع إليها.

٩. يجب وضع آليات كافية وملائمة للمساءلة. كما يجب أن تركّز المساءلة على الامتثال للقوانين والأنظمة وللمبادىء الأخلاقية، وكذلك على تحقيق النتائج. ويمكن أن تكون آليات المساءلة داخلية خاصة بمؤسسة حكومية واحدة، كما يمكن أن تكون على نطاق الحكومة بأسرها.

١٠. يجب أن تكون هناك إجراءات وعقوبات ملائمة للتعامل مع سوء السلوك. كما أن وجود آليات للكشف عن الأفعال الخاطئة والتصرفات المسيئة للآخرين والتحقيق المستقل فيها هو جزء ضروري من البُنية التحتية للأخلاق. ولا بد أن تكون هناك إجراءات وموارد يُعتمد عليها للمراقبة وتقديم التقارير والتحقيق في خروقات قواعد الخدمة العامة، إضافة إلى عقوبات إدارية أو تأديبية متناسبة معها تُثْني العاملين عن سوء التصرف.

References

Appleby, Paul. 1952. *Morality and Administration in Democratic Government.* Baton Rouge, L A: Louisiana University Press.

Blake, Richard, J. A. Grob, D.H. Potenski, P. Reed, P. Walsh. 1998 "The Nature and Scope of State Government Codes of Ethics." *Public Productivity & Management Review.* 21,4 (June).

Brenkert, George. F.d. 2004. *Corporate Integrity and Accountability.* Sage.

Bruce, Willa, ed. 2001. *Classics of Administrative Ethics.* Westview Press.

Carroll, Archie B. and Ann Buchholtz 2000. *Business and Society: Ethics and Stakeholder Management.*

4th ed. Cincinnati, Ohio: South-Western College Publishing.

Carter, Jimmy. 2005. *Our Endangered Values.* New York: Simon & Schuster.

Cooper, Terry. 1998. *The Responsible Administrator: An Approach to Ethics for the Administrative Role.*

San Francisco: Jossey-Bass.

DeLeon, Peter, 1993. *Thinking about Political Corruption.* NY: M.F. Sharpe. (JK,2249,.D45, 1993).
Drew, Elizabeth. 1999. *The Corruption of American Politics: What Went Wrong and Why.* NY: the Overlook Press.

Frederickson, H. George, ed. 1993, *Ethics and Public Administration.* New York: M.E.Sharpe

Geuras, Dean and Charles Garofalo, 2005. *Practical Ethics in Public Administration.* 2th ed.,Vienna, VA: Management Concepts.

ICMA. 1988, *Ethical Insights, Ethical Action.* Practical Management Series.

Odeberg, David S. 2000, *Moral Theory: A Non-Consequential Approach.* Blackwell Publishers.

O'Leary, Rosemary.2006, *The Ethics of Dissent.* CQ Press.

Petrick, J. and J.F. Quinn. 1997, *Management Ethics: Integrity at Work.* Nowburry Park, CA: Sage.

Redford, Emmet. 1969. *Democracy in the Administrative State.* Oxford University Press.

Richardson, Michael and Karen White, eds. 1993. *Ethics Applied.* McGraw- Hill.

Rohr, John A. 1998, *Public Service, Ethics, and Constitutional Practice.* University Press of Kansus.

Savara, James. 2007, *The Ethics Primer.* Jones and Bartlett.

Singer, Peter. 1993, *Practical Ethics.* Cambridge University Press.

Smith, R. W. 2003, Enforcement or Ethical Capacity: Considering the Role of State Ethics.

Commissions...*Public Administration Review.* Vol. 63, No 3 (May/June).pp, 283-295.

Steinberg, S. S. and D. T. Austern. 1990, *Government, Ethics, and Managers: AGuide to Solving Ethical Dilemmas in the Public Sector.* NY; Quroum (JK.2249.S76. 1990).

Thompson, Dennis. 1995. *Ethics in Congress: From Individual to Institutional Corruption.* Washington D C: The Bookings Institution.

Timmons, Mark. 2002, *Moral Theory:An Introduction.* NY: Rowman & Littlefield. pp. 1-35.

Wilson, James Q. 1993. *The Moral Sense.* New York: The Free Press.

الاغتراب في الثقافة العربية

متاهات الإنسان بين الحلم والواقع

د. حليم بركات

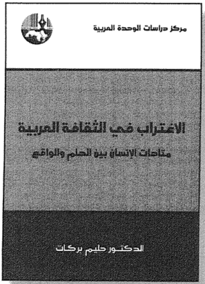
مراجعة: أ. يوسف عبدالله محمود

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «**الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع**» لمؤلفه المفكر العربي المرموق د. حليم بركات في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦ عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

يستهل المؤلف كتابه الذي يقع في عشرة فصول بالحديث عن غموض معنى «الاغتراب». ثمة مفاهيم مختلفة، منها الذي يتحدث عن «الاغتراب» كحالة مجتمعية موضوعية، أو كحالة شعورية وتجربة نفسية خاصة لأي فرد، أو كحالة ثقافية تتعلق بالقيم والمعايير بحد ذاتها، أو حتى كحالة سلوكية في محاولة لتجاوز الاغتراب. الكتاب (ص١٣)

في الفصل الأول، يطرح المؤلف تساؤلا مهمًا حول دور الأنظمة السائدة في قهر الإنسان و«تدجينه»، دورها في كبته وقمعه إلى الحد الذي يفرض عليه الانزواء، وخنق طموحاته وأحلامه.

أما الفصل الثاني، فيعالج فيه «مفهوم الاغتراب»، الذي لم يتفق الباحثون على تحديده. وبعد أن يستعرض مفاهيم «الاغتراب» لدى بعض علماء الاجتماع، ومنهم ملفين سيمن وأنتوني ديفدز، يقرأ هو ثلاث مراحل أساسية للاغتراب تشمل «مصادره في المجتمع والثقافة، واختباره كتجربة نفسية وفكرية لدى الإنسان المغترب على صعيد الوعي، ونتائجه السلوكية البديلة في الحياة اليومية، من انسحاب أو



خضوع أو مشاركة منظمة في حركات اجتماعية وسياسية تعمل على تغيير الواقع.» (ص١٠)

وفي الفصل الثالث وعنوانه «إعادة تحديد مفهوم الاغتراب في ضوء التجارب العربية: عملية لا مجموعة من المعاني المتباينة»، يحدثنا المؤلف عن «الاغتراب» في المجتمعات العربية، فيستخلص أن مصادره في هذه المجتمعات هي:

التجزئة والتفتت الاجتماعي، وهيمنة الدولة على

المجتمع، وأزمة المجتمع المدني، وتسلُّط الأنظمة الاجتماعية القسريّة، والاستغلال الطبقي، والتبعيّة والسيطرة الخارجية، وطقوسيّة الماضويّة وثباتها.

كل هذا يؤدي إلى اغتراب الإنسان العربي على صعيد الوعي الذاتي، وفي علاقاته مع المجتمع ومؤسساته يمارس عليه القمع السلطوي اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا، ما يؤدي به في كثير من الأحيان إلى «الانسحاب أو الهرب من الواقع». (ص٦٢)

وهنا نرى المؤلف يشعر بمرارة لأن المثقفين العرب كما يقول: «نادرًا ما اهتموا اهتمامًا منهجيًا بظاهرة الاغتراب». (ص٦٢)

أما الفصل الرابع، فيحمل عنوان «مصادر الاغتراب وتنويعاته في الحياة العربية». ويشير المؤلف هنا إلى أن «من بين أهم الاحباطات العربية صعوبة التمكن من العمل الفريقي في حل المشكلات المستعصية». ثم نجده يقرأ مصدرين رئيسيين للاغتراب العربي على صعيد المجتمع والثقافة «هما السيطرة المفرطة في علاقة المواطن بالدولة ومختلف المؤسسات الاجتماعية، أو على العكس، غياب مثل هذه السيطرة بسبب الخلل في القيم التقليدية، كما في القيم الجديدة المستوردة من الخارج.» (ص٦٧)

أما الفصل الخامس، فيتحدّث عن «نتائج الاغتراب السلوكية: الانسحاب أو الرضوخ، أو التمرد والثورة».

يتساءل هذا المفكر تساؤلا مشروعًا في هذا الفصل: ما البدائل أو الخيارات السلوكية المتاحة أمام الإنسان العربي لتجاوز اغترابه؟ وفي إجابته عن هذا التساؤل يرى أن «الخيارات والبدائل» ضيقة أمامه. فهو إما أن يقبل بالواقع المر، منسحبًا ومستسلمًا؛ أو يلجأ «للتمرد الفردي أو العمل الثوري»، بغية تغيير الواقع. غير أن هذا التمرد الفردي، كما يرى المؤلف، لا يشكل بحد ذاته حلاً عامًّا، إذ لا بُدّ من «أن ينشط الفرد من ضمن حركات اجتماعية شعبية في سبيل تغيير الواقع تغييرًا جذريًّا». (ص٨٣)

يحمل الفصل السادس عنوان «الاغتراب السياسي». ويركز الباحث هنا على العلاقات بين الدولة والمجتمع، فيكتشف أن «الشعب أصبح نفسه خادمًا للدولة بدل أن تكون الدولة خادمة للشعب». هذا يعني أن الإنسان العربي بات يشعر أنّ دولته هي «سيف تسلّط على عنقه»، وبطريقته الشعبية ولغته الخاصة يكتفي بالقول: «إننا نعيش تحت جزمة الحاكم». (ص٩٢)

ولعلّ أزمة المجتمع المدني تكون من بين أهم مظاهر هيمنة الدولة على المجتمع العربي.

في الفصل السابع من الكتاب يتحدّث المؤلف عن «الاغتراب في العائلة». والسؤال هو: ما طبيعة مثل هذا الاغتراب في العائلة؟

ينشأ مثل هذا الاغتراب حين تربيّ العائلة العربية أطفالها على ثقافة سرعان ما تتعرّض للخلل. ففي حين نجد الأسرة تحرص على «الولاء العائلي»، نكتشف لاحقًا احتمال تناقض هذا الولاء مع «الولاء المجتمعي». وحين نتطرق إلى «الولاء العائلي» في

المجتمعات العربية نراه يركّز على «البنية الأبوية البطريركية»، ما يعني الامتثال والطاعة المطلقة لكل ما يقوله ويحدّده ربّ الأسرة، وإن كان في بعضه غير ملائم لحرية الرأي والاختيار.

يتطرق الباحث أيضًا في هذا الفصل إلى موضوع مهم يتعلق «بشبكة العلاقات الوثيقة التي تجمع بين العائلة والدين والطبقة الاجتماعية»، ما يؤدي في نهاية المطاف إلى بروز «ظاهرة الفوارق الطبقية»، كما يشير الكاتب.

يلقانا بعد ذلك الفصل الثامن وعنوانه «الاغتراب من الدين وفيه». يرى الباحث أن هناك نوعين من الاغتراب من حيث العلاقات القائمة بالمؤسسات الدينية: هناك أولاً رفض المؤسسة الدينيّة القسريّة، والخروج عليها، خاصة في محاولتها مقاومة التغيير؛ وهناك اغتراب آخر في الدين، حيث نجد المؤمن المتشدّد في إيمانه ينسب قواه الذاتيّة إلى قوى خارج نفسه ويسلّمها مصيره، كشأن أتباع الحركات السلفية. (ص١٢٥)

يُفيض الباحث في حديثه عن ظاهرة «الاغتراب من الدين وفيه»، فيرى «أنه لم يعد في الممارسة الدينية من تمييز بين الوسائل والغايات الكبرى، والظاهر والمعني، والجوهري والتفصيلي، فأصبحت كلّ هذه متساوية في قيمتها ومدلولاتها ووظائفها.» (ص١٢٦)

إن مثل هذا التشدّد الديني يجعل المؤمن «يرى نفسه فاضلاً بقدر ما يرضخ ويطيع، ويقبل بالأمر الواقع ويستسلم لمشيئة غير مشيئته، ما يعطل طاقة الإبداع، ويتيح «للغة الجاهزة» و«التبسيط والطقوسيّة» أن ينتشرا.

في الفصل التاسع وعنوانه «تطبيقات في تجارب الاغتراب»، يتحدث المؤلف عن طبيعة العلاقة بين الإبداع الأدبي والغربة (ويقصد هنا الاغتراب والهجرة)، كما يقول. هذا الاغتراب يصاحبه إحساس عميق بالنفي نتيجة التمسك بالهوية العربية والانتماء الثقافي العربي. ويرصد الباحث أثر هذا الاغتراب على وجدان المبدعين الذين يعانون من الهجرة القسرية أو الاغتراب، فيقول: لقد اعتادت أدبيات المنفى أن تميز بين النفي القسري والنفي الطوعي. في الحالة الأولى يُطرد المنفي من بلده بقرار سياسي من قبل السلطة. أما في حالة النفي الطوعي، فقد ينعزل الكاتب داخل البلد (وأسمي هذا بالنفي الداخلي)، أو يهاجر هربًا من أوضاع بلده الصعبة. ومن المهم هنا أن نشير إلى ملاحظة ركّز عليها الباحث، وهي ضرورة أن يُصرّ المغترب على الاحتفاظ بهويته، وأن يكون جريئًا في تفاعله مع الآخر.

وكمغترب يفيض هذا الباحث في الحديث عن «تحرر المثقف المغترب من تراثه الثقافي، يتحرر من انفعالاته اليومية، من جزيئاته، ورتابته وتكراره» لينشغل «بدلاً من ذلك بجوهر هذا التراث الثقافي».

«في الغُربة يكون الولعُ ليس بالخلافات، بل بالاختلافات. ويتحرر المنفيّ من الخوف، فتنبع السلطة من قناعته وتمسّكه بمبادئه، فلا تفرض عليه من الخارج». (ص١٥١)

أخيرًا يلقانا الفصل العاشر والأخير وعنوانه «التحوُّل الثوريّ في تجاوز الاغتراب بدءًا من تنشيط المجتمع المدني». في هذا الفصل -كما يشير الكاتب- يعالج «مسألة التغيير بمختلف إشكالياتها، ويدعو إلى ثقافة التحوُّل الشامل من حالة الانفعال إلى حالة الفعل بالتاريخ بتجاوز الأوضاع والأنظمة السائدة التي هي في صُلب استمراريّة وتجليات التخلف العربي وإحباطات مشاريعه المستقبلية». (ص٢٠٣)

وفي رأيي أن العمل الثوريّ بغية التغيير يبدأ بحصول وعي وتفاهم حول مهمات «تجاوز التخلف والتجزئة القومية والاغتراب والتبعية والطبقية والسلطوية السياسية والاجتماعية». على أن الباحث هنا -كما يشير- لا يقصد بالعمل الثوري «الانقلابات العسكرية التي ثبت عدم جدواها»، ولا مجرد الإصلاح الليبرالي، أو الإصلاح الاشتراكي العربي، الذي خبرناه في عدد من البلدان العربية بقيادة برجوازية الدولة». (ص٢١٢)

إنه يقصد تغيير «العقلية السائدة» التي هي نتيجة «طبيعة الأنظمة والبنى الاجتماعية الاقتصادية السياسية». ومثل هذا التغيير في «العقلية السائدة» لن يتم «من قبل الحركات التراثية». إنه يتم من خلال تفعيل دور «المجتمع المدني»، ومن خلال نشوء حركات «اجتماعية تحرّرية تجاوزيّة». وهذا بدوره يؤدي إلى تعزيز الوعي الشعبي، ودفع الجماهير إلى التحوّل من الانشغال بذاتها وشؤونها المعيشية اليومية إلى الانشغال بضرورة تغيير واقعها. إن تجاوز حالة العجز العربي بحاجة إلى إحداث ثورة في التعليم الجامعي، والتعامل مع النظام الكوني الجديد من موقع الاستقلالية، وتعزيز وسائل البحث العلمي، وتنشيط الثقافة، وتفعيل دور المرأة العربية في الحياة العامة، وتوسيع دائرة الفكر النقدي والتساؤلي.

وبعد، إن هذا الكتاب، الذي تناول ظاهرة الاغتراب، يعد مرجعًا لا بدّ منه لكل باحث يريد قراءة هذه الظاهرة بموضوعية. ففيه الكثير الكثير مما يخدم أي جهد علمي جادّ في قراءة هذه الظاهرة التي أصبحت اليوم موضوعاً محورياً في عصرنا الحديث، بالرغم من قلة البحوث التي عالجتها. ■

جولة العدد

مع أعضاء المنتدى

- أ. إبراهيم شبوح
- أ. عبد الله العليان
- دة. بدرية عبد الله العوضي
- د. محمد نعمان جلال

مراسلات

جاكلين سلام:

١- الشباب الكندي يغني «فلسطين» في يوم حقوق الإنسان العالمي

٢- من الأدب الأسود... نلبس جلدنا كعلم... نلبس جلدنا كخريطة

تقارير

١- في الفكر العربي النهضوي «كتاب تذكاري بمناسبة السنة الفضية لمنتدى الفكر العربي»

٢- التقرير الاقتصادي العربي الموحد

٣-المنتدى يشارك في ندوة «العنف الاجتماعي»

٤- المنتدى يشارك في دورة «الاتصال عبر شبكة الإنترنت في المنطقة الأوروبية المتوسطية»

٥- مناقشة أساليب رعاية الإبداع الشبابي وإطلاق الطاقات الموهوبة

٦- العروبة الديمقراطية والإنسانية والهوية العربية سبيل لتأطير الخلافات السياسية

٧- تطلعات مشتركة لتعزيز قنوات الحوار العربي والعالمي وتقديم إعلام عربي متوازن

٨- مؤتمران دوليان حول إشكالية التحيز وفكر الدكتور عبد الوهاب المسيري

شبابيات

البيان الختامي

«معًا» من أجل التغيير

منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات

المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات

مواقع مهمة على الإنترنت

http://www.qantara.de

صدر حديثًا

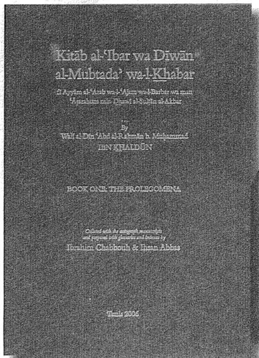
الوسطية: أبعاد في التراث والمعاصرة

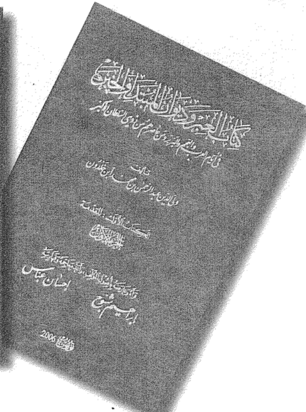
الفكر العربي: وصف ونقد وانطلاق

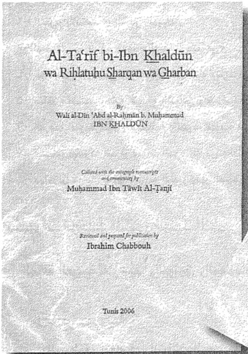
الكشاف السنوي (لمجلة المنتدى عام ٢٠٠٦)

كُتّاب هذا العدد

أ. ابراهيم شبوح









[استل النص الآتي من مقالة للدكتور **رضوان السيّد** بعنوان «نشرة ابراهيم شبوح لمقدمة ابن خلدون... وتاريخه»؛ نشرت في العدد (١٥٩٠٥) من جريدة **الحياة** بتاريخ ٢١/١٠/٢٠٠٦.]

«[احتفت] الأوساط الثقافية العربية وغير العربية طوال العام ٢٠٠٦ بمرور ستمئة عام على وفاة ابن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦ م) صاحب **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**.

وقد أراد المفكّر العلاّمة المعروف إبراهيم شبّوح أن يشارك في هذا الاحتفاء والاحتفال بأسلوب أكثر جدوى وأبقى، فأتحف محبي ابن خلدون ومقدّريه بنشرةٍ علميةٍ جديدةٍ لعبَر ابن خلدون صدر جزؤها الأول في طبعة فاخرة تتضمن أكثر **المقدمة***، وهو عازم على إصدار بقية الأجزاء (قسّم ابن خلدون تاريخه في ثلاثة كتب) خلال سنتين أو ثلاث. وقد عرف الدارسون **المقدمة** من قبل في ثلاث نشرات: نشرة كاترير، ونشرة بولاق، ونشرة علي عبد الواحد وافي. وهي النشرات التي استُنسخت وشُوهت في عشرات الطبعات الأخرى خلال أكثر من قرن. والذي أراه- ولستُ من المختصين بالمتن الخلدوني- أنها المرة الأولى التي تتضح فيها العلائق بين المخطوطات الخلدونية في عهدي ابن خلدون بتونس والقاهرة. كما أنها المرة الأولى التي يُقرأ فيها النص الخلدوني قراءةً علميةً دقيقةً ينتفي فيها أو في معظمها الالتباس والخَطَل والتوهم والغموض، الذي طالما شكا الدارسون الكبار للرجل ونصه منه، ووقفوا أمامه حائرين.

وكنت قد عرفت من أستاذنا الكبير الراحل الدكتور إحسان عباس عام ١٩٨٥ أن الأستاذ شبّوح منشغل بجمع مخطوطات ابن خلدون منذ عقود، وأنه يملك رؤية مختلفة لنشوء التاريخ الخلدوني ومقدمته. وفي مطلع التسعينيات من القرن الماضي، شهدتُ الأستاذين (إحسان) عباس وشبوح بالأردن منكبّين على قراءة المقدمة الخلدونية كلمةً كلمةً على كل المخطوطات التي توافرت لشبّوح. ثم ما جرت متابعة المشروع المشترك، بسبب مرض الأستاذ عباس ووفاته رحمه الله. وها هو إبراهيم شبوح يذكر اسم إحسان عباس مع اسمه على النص المحقق: (قرأه وعارضه بأصول المؤلف، وأعد

* «أعاد الأستاذ إبراهيم شبّوح أيضًا نشر السيرة الذاتية لابن خلدون بعنوان **التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا** التي كان العلاّمة محمد بن تاويت الطنجي قد حققها وأصدرها عام ١٩٥١، وهي في الأصول المخطوطة ملحقة بآخر الكتاب الثالث من التاريخ.»

معاجمه وفهارسه إبراهيم شبّوح وإحسان عباس)، وفاءً واعترافًا بالجهد المبذول وبالميراث الكبير الذي تركه عباس في مجال تحقيق التراث العربي.

يمهد شبوح لنشرته لـ **كتاب العِبَر** بذكر قصة تكوُّن نص العِبَر بين تونس ومصر، فقد كتب ابن خلدون النسخة الأولى المكتملة من الكتاب الذي سماه **ترجمان العِبَر** بين عامي ٧٧٦و٧٨٢هـ بين قلعة ابن سلامة ومدينة تونس. واعتمد في تركيب الكتاب أو قصد منه -وقد أهداه لأبي العباس أحمد بن محمد الحفصي- تتبُّعَ أخبار الجيلين اللذين عمرا المغرب حتى عصره، وهما العرب والبربر. وعندما ترحل إلى مصر عام ٧٨٤هـ واستقر فيها، أضاف إلى التاريخ ما نقصه «من أخبار ملوك العجم والترك وممالكهم، ومن عاصرهم من الأجيال من أمم النواحي». وقضى السنوات بين ٧٩٩ و٨٠٦هـ في الإضافة والمراجعة الشاملة والتهذيب. في العام ٧٩٧هـ تكونت لدى ابن خلدون النسخة المصرية الأولى التي أهداها للملك الظاهر برقوق، وقد غيّر فيها الاسم أو العنوان إلى **كتاب الظاهري في العِبَر**، والذي يظهر من النشرات الكثيرة لـ **المقدمة** أن الأصل التونسي صار نادرًا، أو أن الناس انصرفوا عنه أو عن انتساخه اطمئنانًا إلى الأصل المكتمل وإضافاته في العهد المصري. لكن بسبب انتشار المخطوطات والأجزاء المتناثرة بين مصر وتونس واسطنبول والمكتبات الأوروبية، فإن العلائق بين النسخ وتلك المستنسخة اضطربت، حتى لم يستطع دارسون كبار، مثل الطنجي وروزنتال وعبد الرحمن بدوي، الوصول إلى رأي موثق في المتقدم والمتأخر منها، والعلاقات في ما بينها. وبسبب طول عهد الأستاذ شبوح بالعمل على النص الخلدوني المخطوط، ارتأى الاعتماد على خمس نسخ اعتبرها الأصول من العهد المصري، وهي جميعًا من خزائن اسطنبول، وأولاها بالاعتبار من وجهة نظره مسوَّدة المؤلف الموجودة بمكتبة عاطف أفندي، تليها مخطوطة مكتبة أحمد الثالث، فمخطوط الظاهري (النسخة المهداة للظاهر برقوق، ولم يستطع ابن خلدون إيصالها إليه في حياته)، فحالت أفندي ويني جامع. وقد وصف المحقق هذه المخطوطات الخمس بالتفصيل، وذكر التملكات على كل منها، واكتشف في مواطن عدة خط ابن خلدون نفسه المتراوح بين المشرق والمغرب، والخط المشرقي لابن الفخار تلميذ ابن خلدون والمعتمد لديه في الانتساخ.» ■

أ. عبد الله العليان

عبد الله العليان

الإسلام والغرب
ما بعد 11 سبتمبر 2001



المركز الثقافي العربي

الكتاب
الإسلام والغرب
ما بعد 11 سبتمبر 2001
تأليف
عبد الله علي العليان
الطبعة
الأولى، 2005
عدد الصفحات: 208
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي:
ISBN: 9953-68-093-0

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 2303339 ـ 2307651
فاكس: 2305726 ـ 2 212+
Email: markaz@wanadoo.net.ma
بيروت ـ لبنان
ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01750507 ـ 01352826
فاكس: 01343701 ـ 961+

الإسلام والغرب ما بعد 11 سبتمبر 2001

وساد الهلع والاعتراض على نظرية هنتغتون في الأوساط العالمية والأكاديمية على وجه الخصوص وجاءت مئات الردود على هذه المقولة الخطيرة، واستغرقت الأوساط الأكاديمية من تزاحم الاطروحات ومناقضة بعضها للبعض وكلها صادرة من مراكز بحثية ومؤسسات صناعة القرار السياسي في الولايات المتحدة.

وما إن سكت العالم فترة من الزمن حتى جاءت هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 على نيويورك وواشنطن، والتي اتهم فيها أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بتدبيرها، واعتبر البعض أن نبوءة هنتغتون قد تحققت بالفعل بعد هذه الهجمات، وأعادت الأضواء إلى هذه الأطروحة وتم استدعاء الأحكام المسبقة والأفكار القديمة عن العرب والمسلمين على خلفية هذه التداعيات، وما تبعها من شن الحرب على أفغانستان وتنظيم القاعدة، ثم شن الحرب بعد ذلك على العراق من قبل الولايات المتحدة وحليفتها المملكة المتحدة بتهمة حيازة النظام السابق لأسلحة الدمار الشامل وعلاقته بتنظيم القاعدة.

في الفصل الأول من هذا الكتاب ناقشنا مقولات صموئيل هنتغتون في صدام الحضارات، ونظرية فرانسيس فوكوياما في نهاية التاريخ، وتداعيات هجمات الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها.

في الفصل الثاني رؤى نقدية لمقولات الديمقراطية والدعوات الأمريكية للإصلاح في العالم العربي وأهدافها ومراميها البعيدة.

في الفصل الثالث نناقش الحرب الأمريكية على العراق، ومقدمات هذه الحرب وهل هي حرب مقنعة للرأي العام العربي والعالمي بعد ظهور عدم صدقية التهمة الأمريكية بامتلاك النظام السابق لأسلحة الدمار الشامل.

في الفصل الرابع والأخير كان عن أزمة العلمانية في الغرب كمشكلة غربية، وما هي الفكرة العلمانية كمصطلح ومضمون؟ وهل تتسامح العلمانية مع الاختلاف والتباين؟ وأزمة حجاب المسلمات الفرنسيات وتداعياتها.

ومن الله نسأل التوفيق والسداد

عبد الله علي العليان
صلالة ـ سلطنة عمان، فبراير 2005

عبد الله العليان

الإسلام والغرب

ما كاد العالم يشرف على نهاية القرن العشرين و بداية قرن جديد، حتى أطلق صموئيل هنتغتون أطروحته الشهيرة تحت عنوان [صدام الحضارات] والتي حولها بعد ذلك إلى كتاب حمل عنوان [صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي].

وقبله أصدر فرانسيس فوكوياما نظريته في [نهاية التاريخ] معتبراً أن الديمقراطية الليبرالية هي أقصى ما يصل إليه الإنسان في هذا العصر، وان التاريخ توقف عند الرأسمالية الغربية ومفاهيمها الديمقراطية الليبرالية.

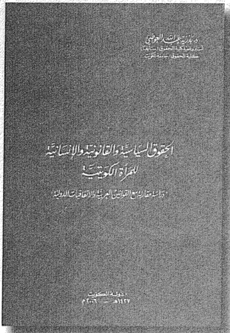
بعد فترة من الزمن جاءت هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ على نيويورك وواشنطن، والتي اتهم أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بتدبيرها. فاعتبر البعض أن نبوءة هنتغتون قد تحققت بالفعل بعد هذه الهجمات، وعادت الأضواء إلى هذه الأطروحة وتم استدعاء الأحكام المسبقة والأفكار القديمة عن العرب والمسلمين على خلفية هذه التداعيات، وما تبعها من شن الحرب على أفغانستان وتنظيم القاعدة، ثم شن الحرب بعد ذلك على العراق.

في هذا الكتاب نقاش لهذه المواضيع إضافة إلى أطروحات الديمقراطية والعلمانية، كما تم المطالبة بها عندنا، وكما تمارس علينا.

المركز الثقافي العربي ص ب ٥١٥٨/١١٣ بيروت ـ لبنان
ص.ب 4006 ـ الدار البيضاء ـ المغرب
ISBN: 9953-68-093-0

مع أعضاء المنتدى ٣

د. بدرية عبد الله العوضي



المحتوى

١١

١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

هذا المؤلَّف هو نتاج عمل استمر لأكثر من ربع قرن، إذ إن بدايته ترجع إلى منتصف ثمانينيات، وما يزال العمل مستمرا حتى تاريخ إصدار هذا المؤلف رغم تحقق بعض الإنجازات المحدودة للحقوق القانونية للمرأة في بعض الدول العربية، وإن كان بعضها الآخر ما يزال يسيطر عليها التردد في دفع مسيرة المرأة العربية في مجال الحقوق القانونية الإنسانية.

ألا يحق لنا كنساء في المنطقة العربية أن يكون لنا موقف قانوني واضح من القوانين الوطنية ذات العلاقة، والاتفاقيات الإقليمية والدولية التي تنظم الحقوق المتعلقة بحقوق المرأة انطلاقا من التطورات السريعة في هذه المنطقة وعلى المستوى الدولي مما قد يؤثر سلبا و إيجابا في المركز القانوني للمرأة في المجتمع العربي.

إن ما يميز مؤلَّف (الحقوق السياسية والقانونية والإنسانية للمرأة الكويتية - دراسة مقارنة القوانين العربية والاتفاقيات الدولية) أنه يتضمن العديد من المواضيع التي تتناول حقوق المرأة في شتى الميادين، إضافة إلى بيان موقف دولة الكويت والدول العربية من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان وبصورة خاصة الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز لعام 1979، والتي تعد بمثابة ميثاق عالمي لحقوق المرأة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وفي العلاقات الأسرية، بعد أن وصل عدد الدول الأطراف في الاتفاقية في عام 2005 إلى (185) دولة، من بينها (16) دولة عربية.

ونظرا لتعدد مواضيع هذا المؤلَّف فقد تم تقسيمه إلى أربعة أقسام اعتمدنا فيه على منهج التقسيم بحسب أولوية الحقوق الأساسية للمرأة الكويتية، على أساس تخصيص القسم الأول من المؤلَّف لحقوق المرأة السياسية، ذلك الموضوع الذي كان يسيطر لأكثر من ربع قرن على السياسة الداخلية والخارجية الكويتية منذ بداية السبعينيات إلى أن تم إقرار الحق السياسي للمرأة من مجلس الأمة الكويتي بالجلسة التاريخية في 16 مايو 2005. ...

١٣

مع أعضاء المنتدى ٤

د. محمد نعمان جلال

مستشار الدراسات الاستراتيجية والدراسات الدولية وحوار الحضارات
مدير تحرير مجلة الدراسات الاستراتيجية/ مركز البحرين للدراسات والبحوث



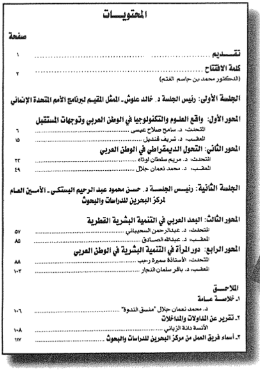


نظرة استراتيجية
على مملكة البحرين والمنطقة العربية في إطار دولي

هذا هو الإصدار الثاني في هذه السلسلة ذات البعد الاستراتيجي، وهو يتناول التحديات الراهنة التي تواجه المنطقة العربية، ثم القضايا الخاصة بمملكة البحرين في مجالات السياسة والأمن الوطني والتطور الديمقراطي، ويحلل التصورات والممارسات الأمريكية في الشرق الأوسط، والدروس المستفادة من حرب العراق. كما يتناول بعض ردود الفعل الإسلامية من تركيا وباكستان على المتغيرات الدولية، ويعرض لبعض التجارب الحوارية مع الدول الآسيوية المهمة، خاصة الصين واليابان والهند.

ولا شك أن قارة آسيا تعتبر قارة المستقبل لنجاحها في تطوير نماذج متعددة للتنمية الاقتصادية والسياسية، وهي تجارب تستحق الاهتمام والرعاية في الوطن العربي في هذه المرحلة الدقيقة التي تستدعي الانفتاح على الشرق والغرب على حد سواء.

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب]



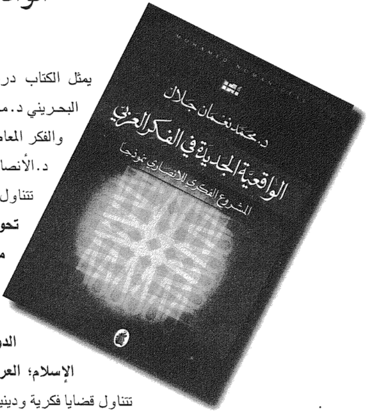
المحتويات

	صفحة
تقـديم	١
كلمة الافتتاح (الدكتور محمد بن جاسم الغتم)	٢
الجلسة الأولى: رئيس الجلسة د. خالد علوش - الممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي	
المحور الأول: واقع العلوم والتكنولوجيا في الوطن العربي وتوجهات المستقبل	
المتحدث: د. سامح صلاح عيسى	٦
المعقب: د. شريف قنديل	١٥
المحور الثاني: التحول الديمقراطي في الوطن العربي	
المتحدث: د. مريم سلطان لوتاه	٢٣
المعقب: د. محمد نعمان جلال	٤٩
الجلسة الثانية: رئيس الجلسة د. حسن محمود عبد الرحيم البستكي - الأمين العام لمركز البحرين للدراسات والبحوث	
المحور الثالث: البعد العربي في التنمية البشرية القطرية	
المتحدث: د. عبدالرحمن السحيباني	٥٧
المعقب: د. عبدالله الصادق	٨٥
المحور الرابع: دور المرأة في التنمية البشرية في الوطن العربي	
المتحدث: الأستاذة سميرة رجب	٨٨
المعقب: د. باقر سلمان النجار	١٠٣
الملاحق	
١- خلاصة عامة - د. محمد نعمان جلال "منسق الندوة"	١٠٦
٢- تقرير عن المداولات والمداخلات - الآنسة دانة الزياني	١٠٨
٣- أسماء فريق العمل من مركز البحرين للدراسات والبحوث	١١٧



الواقعية الجديدة في الفكر العربي

المشروع الفكري للأنصاري نموذجًا



يمثل الكتاب دراسة متعمقة في إطار رحلة فكرية إلى عقل المفكر البحريني د. محمد جابر الأنصاري، أستاذ دراسة الحضارة الإسلامية والفكر المعاصر في جامعة الخليج العربي، وهذه الرحلة إلى مؤلفات د. الأنصاري التي يصنفها صاحبها إلى ثلاث مجموعات. أولاها تتناول نقد الفكر العربي، وتشمل ثلاثة مؤلفات أساسية هي: **تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربي ١٩٣٠-١٩٧٠؛ مساءلة الهزيمة؛ الفكر العربي وصراع الأضداد**. أما الثانية فتتناول نقد الواقع العربي، وتشمل أيضًا ثلاثة مؤلفات رئيسية هي: **تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية؛ التأزم السياسي عند العرب وسوسيولوجيا الإسلام؛ العرب والسياسة أين الخلل؟** وأخيرًا مجموعة مؤلفات تتناول قضايا فكرية ودينية وأدبية متنوعة وتشمل: **تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها؛ انتحار المثقفين العرب؛ رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية**. ذلك فضلاً عن مؤلفات أخرى ومقالات ودراسات متنوعة تتميز بالتفاعل المستمر مع الحياة السياسية والفكرية والأدبية بانتصاراتها وانكساراتها، وبطموحاتها وإحباطاتها. فالدكتور الأنصاري لا يهاب المعارك، وإن كان يلتزم قواعد المنطق والحجة والقيم الأخلاقية في دفاعه عما يعتقد وفي نقده لما لا يوافق عليه. والهدف الرئيسي الذي سعى إليه المؤلف هو طرح أفكار الأنصاري على بساط البحث لإثراء التفاعل الفكري العربي من خلال الحوار الذي هو الطريق الصحيح لإنارة المسار أمام السياسيين والباحثين في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة العربية.

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]

الشباب الكندي يغني «فلسطين» في يوم حقوق الإنسان العالمي

إحياء يوم حقوق الإنسان العالمي

جاكلين سلام*

في العاشر من شهر كانون الأول/ديسمبر تحتفل منظمات وهيئات حقوق الإنسان في العالم بذكرى هذا اليوم الذي تبنته الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٥ في أعقاب الحرب العالمية الثانية، حيث أُقر البيان العالمي لحقوق الإنسان، وأقرته منذ ذلك الحين الكثير من دول العالم. ويُعد «احترام حق الإنسان وكرامة الفرد» أساس لائحة حقوق الإنسان والعاملين من أجل مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية والسلام، تنتفي فيه مظاهر التفرقة العنصرية والعنف والفقر. ويطالب البيان بحقوق النساء وحقوق الطفل في النشأة السليمة والتعليم والرعاية الأساسية اللائقة. وتعد حرية التعبير والرأي أحد أهم أركان هذا البيان.

احتفلت منظمة العفو الدولية/فرع كندا بهذه المناسبة، حيث أعد معرض للصور الفوتوغرافية الفنية المأخوذة في شتى بقاع العالم، المنكوبة منها بالحروب والفقر على وجه الخصوص. استمر المعرض أكثر من أسبوع واختتم في العاشر من كانون الأول/ ديسمبر بمزاد علني على اللوحات المعروضة، بحضور الفنانين الكنديين المشاركين. ويذهب ريع هذه اللوحات لصالح منظمة العفو الدولية المعنية بحقوق الإنسان.

لفت نظري لوحة لفنانة كندية «ريتا ليستمر» كانت تعمل مصورة صحافية في فترة الحرب على العراق. واللوحة عبارة عن قبر مؤقت ترابي، وعليه حجرة بيضاء مكتوب عليها اسم المرأة المتوفاة وتاريخ الوفاة بالعربية بخط اليد، وإلى جانب القبر تمتد يد إنسان فتتقاطع صورة الحياة والموت في ومضة. كما كانت هناك لقطة معبرة تظهر فيها نساء من أفغانستان، وتعكس الصورة لباس المرأة «الطالباني». وهذه اللقطة من تصوير الفنانة لانا سليزيك التي عملت في أفغانستان لفترة من الزمن، وتوجد إلى جوار صورة لأطفال من إثيوبيا ولقطات مختلفة للطبيعة والبشر في حالات جمالية متباينة.

وفي اليوم ذاته جرى مهرجان غنائي فني وخطابي في صالة الـ «ميرتو هول» في داون تاون تورنتو حضره عدد كبير من المواطنين من مختلف الألوان والإثنيات.

كان الحضور العربي والشرق أوسطي ملحوظًا. فهناك طاولة معروضات وأدبيات تخص الجمعية العراقية الكندية في أونتاريو، إلى جانب طاولة لـ«اتحاد النساء المسلمات» في تورنتو التي تضع في قائمة مهماتها توفير الخدمات الاستشارية والحقوقية والتوعية للمرأة المسلمة القادمة من تلك البلاد، وتوفير « شلتر» كمكان عاجل وملائم للمرأة التي تتعرض للعنف المنزلي. كما كانت هناك طاولة

* شاعرة وصحافية سورية كندية.

أدبيات للشباب المسلم، وطاولة عليها لوحات لفنان فلسطيني، إلى جانب أدبيات وخدمات إنسانية تخص الأطفال والشباب.

الفقرات الموسيقية كانت شبابية تعكس قضايا الإنسان وحلمه في تغيير العالم، قدمها عدد من الشباب الكنديين القادمين من مونتريال. فرقة «ذا ساوند أوف ريزون» قدمت أغنية عنوانها «فلسطين»، وكانت شجية وقوية، ولاقت تصفيقا حارًا، وتدعو للالتفات إلى الواقع الفلسطيني، إلى جانب عدد من الأغاني المميزة بعمقها الإنساني.

حين الحديث مع أعضاء الفرقة بعد انتهاء العرض، وجدت أنهم ليسوا من أصول عربية، بل أن أحدهم «فرانسيس» هو كندي بولوني، والآخر«كوهيار» هو كندي هندي. وعلمت أن للفرقة الشابة نشاطات في العالم كان آخرها في إنكلترا وفي (دبي)، حيث فازت بجائزة المحبة في تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠٠٦. كما كان هناك فقرة الشاب «ديفيد هادجز» الكندي الألماني، وغنى بحيوية «الراب والهيب هوب».

حدثني ديفيد عن أثر الموسيقى في صراع الإنسان من أجل الحرية، وكيف أنها يجب أن تأخذ مكانها بدل الموسيقى الاستهلاكية الدارجة.

تحدث الخطباء والمحامون المشاركون عن أهمية هذا اليوم، وعن الواقع الكندي الذي يشكل خليطًا بشريًا بامتياز. وأكدوا على العمل لمزيد من الانسجام وتحقيق الكرامة والمساواة لكل فرد في المجتمع بغض النظر عن دينه، أو لونه، أو قوميته.

ولم يكن صدفة أن قدم رجل مشرد (هومليس) إلى حيث التجمع الأنيق، وراح يتصفح الطاولات التي تعرض أدبياتها ويقول: أنا جائع.

المفارقات مذهلة أحيانًا مابين الواقع والكلام والحلم. وقد حصل في اليوم نفسه أن عرَّجت على مكتبة الجامعة «مكتبة روبرت» التي تحوي مطبوعات عربية دورية لطلاب البحوث والدراسات الشرقية. وفي صالة القراءة فاجأني «مشرد» آخر، هادئ وحزين يجرجر شيخوخته وأثماله وحقيبة متسخة على ظهره، وفي يده كومة من الجرائد والمجلات يعيدها إلى مكانها، ويغادر الصالة في حين تلاحقه نظراتي الواجفة المليئة بالسؤال والدهشة. أليس غريبًا أن نرى هذا في كندا، البلد الذي احتل عام ٢٠٠٦ المرتبة السادسة بين دول العالم من حيث الرفاه ومعدل دخل الفرد وفق إحصائيات الأمم المتحدة!

في طريق العودة كانت حمامتان قد دخلتا النفق المعتم... تنتظران الـ(مترو) لتغادرا بحثًا عن السلام والعالم الأفضل...! ■

من الأدب الأسود... نلبس جلدنا كعلم... نلبس جلدنا كخريطة

ترجمة وتقديم: جاكلين سلام

الشعر الأسود خريطة الجرح والتراث والثقافة الإفريقية، تاريخ العسف والعبودية، توثيق الكوابيس والأحلام، وتتخلله نوافذ الكلمات المشرعة للضوء والمستقبل.

فهل يصح الحديث عن شعر أسود وأبيض ونقد أسود؟! هذا ما تطرحه نظريات وقصائد الشعوب المعنية بهذه الخريطة القادمة من «خصوصية» تاريخية وثقافية مختلفة. وهذا ما تطرحه أجواء الكلمات، وأعماق لوحات المبدعين السود، وموسيقاهم المتميزة، وطقوسهم المحملة بمختلف الرموز والأقنعة والرقصات والأبخرة، التي تعج بها البيوت والكتب وصالات المعارض حين تفتح أبوابها ونوافذها لتسليط النور على ما بقي مركولا في العتمة، وفي آخر السلم الاجتماعي.

هنا بعض القصائد مختارة من أنطولوجيا خاصة بالشعر الأسود صدرت عام ٢٠٠٢، وقام بإعدادها شارلز هنري راويل بالرجوع إلى محتويات **كالالوو**، وهي المجلة التي بلغ عمرها ٢٥ سنة، ونشرت خلالها أفضل ما جاد به الكتّاب السود من شعر وقصة ومقالات. فيها نقع على نصوص لكتّاب وكاتبات، بعضهم حازوا على جوائز مرموقة وعالمية، منها جائزة «بوليتز»، التي فازت بها كل من ريتا دوف، وأليس وولكر، ولوسيل كليفتون...

نصوص ينعكس فيها جانب من معاناة المرأة السوداء في بيتها الأسري ومحيطها العام، كما في قصيدة أليس وولكر. كذلك نجد وجه الكلمة مجروحًا بالحزن لدى لوسيل كليفتون وهي تكتب حالة من «الستيريوتايب» التي يحملها الآخرعن أخلاقيات العرق الأسود. ونقف في قصيدة الشاعر تيرانس هايز على مطاردة الطفولة في الحقول التي يمرح فيها الشباب السود. ونقرأ قصيدة «صورة جانبية لإفريقيا» مأخوذة من مجموعة أخرى بعنوان «جمال مستعار» للشاعرة الكندية الإفريقية ماكسين تاينس التي حازت على جوائز قيمة، وكانت أول امرأة سوداء تعمل في إذاعة كندا «سي بي سي»، وعلى شرفها تمت تسمية إحدى القاعات في المكتبة العامة في مقاطعة نوفا سكوتشيا الكندية. ومن خلال متابعاتي لبعض هذه الفنون والأنشطة في تورنتو على أرض الواقع، أستطيع القول إن صوت الجرح في أدبياتهم ما يزال شاخصا، موجعًا، مباشرًا ويخدش الأذن «البيضاء» الناعمة، كما في بعض هذه القصائد.

قصـائد مترجمـة:

صورة جانبية لإفريقيا

للشاعرة: ماكسين تاينس

نلبس جلدنا كقماش ناعم
نحن الشعب الملوّن
البني الأسود القهوائي الكريمي الأبنوسي
الجميل، القوي، بصورته الجانبية الاكسوزتيكية
شفاه كالزهرة
سطوح مظللة سوادها صقيل، انحناءات، بنيان
كبعض الموزاييك المظلل
نلبس جلدنا كعلم
نتقاسم جلدنا كملاءات
نلقي جلدنا كالظلال
نلبس جلدنا كخارطة
من صورتي أرسمُ خطًا بيانيًا لبدايتي
أرسم خطًا بيانيًا لبدايتي من لوني
إقرأ خارطة تراثي في
وجهي
جلدي
في الوميض الأسود للعين
في الصورة الجانبية لإفريقيا.

* * *

في نزع القشور عن ذاتي

للشاعرة: أليس وولكر

(إلى جين، التي قالت إن الأشجار
تموت لهذا السبب)
لأنه من المتوقع من النساء أن يبقين صامتات
من أجل خلاصهن الوشيك، لذلك لن أبقى صامتة
وإذا هلكتُ (شجرة عارية!) أحد ما
سيأتي
ويضع نقطة علاّم في المكان
حيث سقطت وسيعرف أنني لم أستطع العيش
صامتة بين أكاذيبي الشخصية
أسمعهم يقولون «كم طيبة هي!»
هؤلاء الذين أحتقرُ بشدة إعجابهم
بالحركات المهذبة.
لا، لقد اكتفيتُ من العيش
لأجل ما آمنتْ به أمي
لأجل ما دافع عنه أبي وأخي
لأجل ما ثمّنه حبيبي
لأجل ما كانت تخجل منه أختي، وتتنكر له وتهرب من معانقته.
لقد وجدتُ
كياني الصغير
ذاتي الواقفة
في مواجهة العالم
مدركة الرغبات المتكافئة
أخيرًا.

بالإضافة إلى هذا:
كان صراعي دومًا مع
العتمة الداخلية: التي أحملها في نفسي
مفتاحًا وحيدًا معلومًا
إلى موتي من أجل تحرير الحياة، أو لإغلاقها
إلى الأبد. إمرأة تحب سيقان القمح، اللون
الأصفر
والشمس، سعيدة بمحاربة
كل القتلة المحيطين
إنه واجب كما أرى.

* * *

أزمنة

للشاعرة: لوسيل كليفتون

من الصعب أن تحافظ على إنسانيتك في زمن
ترى فيه فراخ الطيور تدمع
على الأشجار وحين عيون السنجاب
لا تحيد بنظراتها بعيدًا عنك، فقط الكلب يفعل ذلك
لوهلة، بشفقة.

طفلٌ آخر قتل طفلاً
أمسكُ نفسي وأنا أتنفس الصعداء
إنهم بيضٌ ويمكنني أن أفهم ذلك إلا أنني
تعبتُ من الفهم.
إذا استطاعت
هذه الأبجدية أن تتحدث بلسانهم
ستكون كلها رموزا بكل تأكيد،
تستطيع القطة أن تتمطى فوق هذه الطاولة العريضة
وسيكون معنى هذا أن الوقت يحين،
والسمكة المغزولة سوف تجري نحو الأرض
ويكون معنى هذا أن النهاية قادمة
وحبيبات الغبار سوف تبلور نفسها
وتنطلق عبر الشوارع لتخبر الحقيقة بالتفصيل
هؤلاء أيضًا أطفالك هذا طفلك أيضًا.

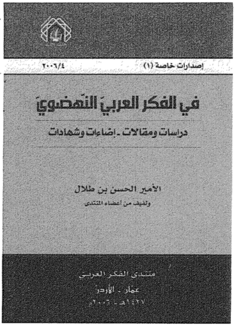
في الفكر العربيّ النّهضويّ

كتاب تذكاري بمناسبة السّنة الفضّيّة لمنتدى الفكر العربيّ

ساهمَ في دراساته ومقالاته سموّ الأمير الحسن بن طلال ولفيف من أعضاء المنتدى

أصدر منتدى الفكر العربيّ ودار جرير في عمّان سلسلةً جديدة من الكتب باسم «**إصدارات خاصّة**» بمناسبة مرور خمسة وعشرين عامًا على تأسيس المنتدى. ويحمل الكتاب الأوّل في هذه السّلسلة عنوان «**في الفكر العربيّ النّهضويّ**»، ويشتمل على مجموعة كبيرة من الدّراسات والمقالات في شؤون فكريّة عدّة؛ إضافة إلى إضاءات وشهادات كتبها لفيف من المفكّرين والمثقّفين أعضاء المنتدى من مختلف الأقطار العربيّة والمهاجر، تناولوا فيها مسيرة المنتدى وما قدّمه من روافد للفكر والثّقافة العربيّة، وما تحمل طموحاته المستقبليّة من أفكارٍ ورؤى في التّجديد والتطوير.

ويتصدّر الكتاب مقال لسموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه، بعنوان «**ماذا تعني سنتُنا الفضّيّة؟**» أشار فيه إلى مبادىء أربعة يؤمل أنْ تستند إليها مسيرة المنتدى في الرّبع قرن المقبل. وهذه المبادىء هي: التّفكير ثمّ الانطلاق وَفْقَ نظرةٍ فوق قُطريّة، اعتمادًا على أنّ المشكلات الكبرى أصلاً هي فوق قُطريّة؛ ومن ثمّ لا بدّ للحلول أنْ تكونَ هي الأخرى فوق قُطريّة، وأنّ مفهومَ «الأمّة» نفسَه هو مفهوم فوق قُطريّ؛ تنظيم الطّاقات الجماعيّة من دون أنْ تُغيّب أو تُقصى أو تُهمّش الطّاقات الفرديّة؛ التّركيز على الفكر المُبدع الخلاّق غير التّقليديّ، الذي هو مادّة النّهوض والتّجديد والتنمية ونسيجها، وأخيرًا التّركيز على «الإنسان» و«الكرامة الإنسانيّة» أكثر فأكثر في شعار المنتدى، الذي يتضمّن عبارة «الانتماء والإنماء»، ليظلّ المعنى الجوهريّ منها حاضرًا في الأذهان كلّ الوقت.



كما ساهم أ. **عمرو موسى**، الأمين العام لجامعة الدّول العربيّة وعضو المنتدى، بكلمةٍ في مستهلّ الكتاب قال فيها: إنّ المجالات الفكريّة المتنوّعة للمنتدى تتيح الفرصة لإظهار إبداعات الثّقافة العربيّة وقدرتها على التّعامل مع مختلف القضايا المعاصرة من موقع القوّة والتّأثّر والتّأثير.

قسم **الدّراسات والمقالات** في الكتاب، الذي

راجعه وأشرف على إنتاجه د. هُمام غَصيب، مستشار سموّ الأمير الحسن بن طلال/ مدير إدارة الدراسات والبرامج، وحرّره ودقّقه أ. كايد هاشم، اشتمل على مساهمات لكلٍّ من: د. إبراهيم بدران: «**ثورة الأكاديميا العربيّة: هل تأخّرت**»؛ د. جميل جريسات: «**الفساد سرطان في جسم الدّولة الحديثة**»؛ أة. حليمة مبارك الورزازي: «**المرأة العربيّة: النّموذج المغربيّ**»؛ أ. حمد بن جاسر بن جبر آل ثاني: «**المفكّر العربيّ والسُّلطة**»؛ دة. دلال فيصل الزّبن: «**المجتمع المدنيّ وتحدّيات المستقبل**»؛ دة. عايدة النّجار: «**أزمة الخطاب العربيّ المعاصر**»؛ د. عبد الملك منصور المصعبي: «**الفكر العربيّ المعاصر ورهان الحوار**»؛ دة. فاطمة الحبابي الجامعي: «**في رحاب فكر صاحب السموّ الملكي الأمير الحسن بن طلال، عميد سفراء العالم**»؛ د. كامل أبو جابر: «**عودة إلى تصادم الحضارات**»؛ أ. كمال القيسي: «**أحلام تنتظر اليقظة**»؛ د. مصطفى المصمودي: «**التصوّرات الأولى لمجتمع المعلومات في مرجعيّة منتدى الفكر العربيّ**».

واشتمل قسم **إضاءات وشهادات** في الكتاب على مساهمات لكلٍّ من: د. أحمد جلال التّدمري: «**المنتدى والفكر العربيّ: بالفكر ترقى الأمم**»؛ أ. أنور النّوري: «**بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس المنتدى**»؛ أ. تقي الدّين البحارنة: «**احتفاليّة منتدى الفكر العربيّ**»؛ م. ثابت الطّاهر: «**منتدى الفكر العربيّ بمناسبة مرور (٢٥) عامًا على تأسيسه**»؛ د. جورج جبور: «**حكايتي مع منتدى الفكر العربيّ: من ذكرى شارل ديغول إلى خليفة كوفي عنان**»؛ د. الحبيب الجنحاني: «**الاحتفاء وضرورة النّقد**»؛ د. حمد الريامي: «**منتدى الفكر العربيّ: (٢٥) عامًا من العطاء**»؛ أ. زهدي الخطيب: «**في ذكرى تأسيس المنتدى**»؛ أ. عبد الرّحمن بن حمد العطية: «**السّعي للنّهوض بالفكر العربيّ**»؛ أ. عبد الرحمن بن سعود آل ثاني: «**منتدى الفكر العربيّ: قراءة في رسالة مؤسّسة**»؛ أ. عبد اللطيف يوسف الحمد: «**منتدى الفكر العربيّ في ربع قرن: لمحات من دوره وإنجازاته وتطلّعاته المستقبليّة**»؛ أ. عبد الوهّاب دربال: «**المنتدى: واجب وأمل**»؛ د. عدنان بدران: «**منتدى الفكر العربيّ: التّجربة المستمرّة**»؛ أة. ليلى شرف: «**في مسيرة الانتماء والإنماء**»؛ د. محمود أحمد القيسيّة: «**الفكر العربيّ ودور المنتدى**»؛ د. مصطفى بوطورة: «**العيد الفضّيّ لمنتدى الفكر العربيّ**»؛ أ. الهادي البكوش: «**المنتدى إنجاز قوميّ**»؛ دة. هالة صبري: «**منتدى الفكر العربيّ: المسيرة وذكريات في الوجدان**».

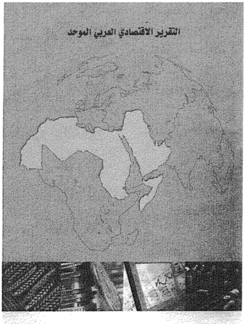
وأُلحق بالكتاب، الذي يقع في (٣٠٤) صفحات، ملاحق أربعة هي: نصّ النّظام الأساسيّ للمنتدى؛ عرض تاريخيّ لمسيرة المنتدى في (٢٥) عامًا؛ سجلّ مصوّر؛ قائمة بمطبوعات المنتدى من الكتب والدّراسات والمطبوعات الدّوريّة والفهارس خلال ربع قرن. ■

التقرير الاقتصادي العربي الموحد*

سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٦

يتناول التقرير الاقتصادي العربي الموحد لهذا العام، كعادته منذ صدور العدد الأول منه عام ١٩٨٠، التطورات الاقتصادية في الدول العربية. وقد حرصت الجهات المشاركة في إعداده على أن يعكس بصورة موضوعية وعلمية أوضاع الاقتصادات العربية، سواء من ناحية ما يتضمنه من منهجية في تصنيف الدول العربية، أو من ناحية البيانات والمعلومات المتاحة.

ودرج التقرير منذ بداية إعداده على تصنيف الدول العربية في مجموعات وفق المؤشرات الرئيسية، مثل كثافة الموارد والسكان وتنوع القاعدة الإنتاجية، وحسبما تقتضيه ظروف مختلف المراحل التنموية وتغيراتها. وقد كان تصنيف الدول في مجموعتين نفطية وغير نفطية الأكثر استخدامًا خلال المراحل السابقة، إلا أن التطورات الاقتصادية في الدول العربية خلال الأعوام الأخيرة أظهرت وجود حاجة إلى إعادة النظر مرة أخرى في تصنيفها. وحيث أن الاعتبارات التي تم الاستناد عليها في التصنيف الذي اعتمده التقرير في الأعداد الماضية باتت لا تعكس حقيقة الأوضاع الاقتصادية لهذه الدول، فقد اتفقت الجهات المشاركة في إعداد التقرير على عدم تصنيف الدول إلى أي مجموعات ابتداءًا من العدد السادس عشر منه، علمًا بأنه قد يتم تصنيفها في بعض الفصول حسب الموضوع قيد الدراسة. ولذا، فقد يجد القارىء أن بعض الفصول تصنف الدول ضمن مجموعة أو أخرى، كما أن التصنيف يختلف



سبتمبر (أيلول) 2006

* هذه النبذة مستلة [بتصرف طفيف] من التقرير نفسه، ص(ب، ج).

من فصل لآخر تبعًا لاختلاف موضوعات هذه الفصول. وسيستمر العمل في تحليل التطورات الاقتصادية في الدول العربية دون تصنيف مسبق لها حتى تظهر التجربة وجود الحاجة لذلك.

ومن ناحية البيانات والمعلومات، يحرص القائمون على إعداد مواد التقرير على الحصول على البيانات والمعلومات من المصادر الوطنية الموثوقة، وإجراء التقديرات لما لا يستطيعون الحصول عليه بعد ذلك، وفي الوقت نفسه إنجاز مادة التقرير في الوقت المحدد. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الجهات المعنية في الدول العربية تبذل جهودًا مشكورة، ليس فقط في الاستجابة لطلبات استكمال الاستبيان الخاص بالتقرير، لكن أيضًا في تقديم المزيد من البيانات والمعلومات المتوافرة لديها. ونأمل أن يستمر هذا الاتجاه الإيجابي حتى يتمكن المسؤولون عن إعداد مواد التقرير من إعطاء صورة متكاملة قدر المستطاع لمختلف جوانب الاقتصادات العربية.

واستمرارًا للنهج المتبع، يتناول محور التقرير لهذا العام «**تحويلات العاملين في الخارج والتنمية الاقتصادية في الدول العربية**»، وهو الفصل العاشر من هذا التقرير. ونرجو أن يكون هذا الفصل إضافة جيدة إلى التقرير ومرجعًا للمسؤولين والدارسين لهذا الموضوع. وأخيرًا، فإنه في سبيل تسهيل عملية التحليل المقارن، تم احتساب البيانات المتعلقة بالتطورات الاقتصادية في الدول العربية بالدولار الأمريكي حسب أسعار صرف العملات الوطنية المستقاة من البيانات التي توفرها الدول لأغراض التقرير. ونظرًا لتعرض أسعار صرف عملات عدد من الدول العربية للتقلبات، فإن معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي بالدولار تختلف في هذه الدول عنها بالعملات الوطنية، وفي بعض الأحيان بصورة ملحوظة. ■

مؤشرات عامة عن الدول العربية خلال عام ٢٠٠٥

المساحة

المساحة الكلية	١٤,٢	مليون كم٢ (١٫٤ مليار هكتار)
نسبتها إلى العالم	١٠,٢	في المائة

السكان والعمالة

عدد السكان	٣٠٩,٩	مليون نسمة
نسبتهم إلى العالم	٤,٨	في المائة
العمالة العربية	١١١,٧	مليون عامل (عام ٢٠٠٤)
معدل البطالة	١٥	في المائة (عام ٢٠٠٤)

الناتج المحلي الإجمالي

القيمة بالأسعار الجارية	١٠٦٦,٥	مليار دولار
معدل النمو السنوي (بالأسعار الجارية)	٢١,٤	في المائة
متوسط نصيب الفرد (بسعر السوق)	٣٥٥٨	دولار
نسبة القيمة المضافة للصناعات الاستخراجية	٣٨,٨	في المائة
نسبة القيمة المضافة للصناعات التحويلية	٩,٨	في المائة

النفط

نسبة احتياطي النفط المؤكد إلى الاحتياطي العالمي	٥٩,٠	في المائة
نسبة احتياطي الغاز الطبيعي إلى الاحتياطي العالمي	٢٩,٤	في المائة
إنتاج النفط الخام	٢٢,٨	مليون برميل يوميًا
نسبة إنتاج النفط الخام إلى الإنتاج العالمي	٣١,٧	في المائة
نسبة إنتاج الغاز الطبيعي المسوق إلى الإنتاج العالمي	١١,٤	في المائة
عوائد الصادرات النفطية (تقديرات بالأسعار الجارية)	٢٨١,١	مليار دولار

التجارة

الصادرات السلعية (فوب)	٥٥٩,٤	مليار دولار
نسبة الصادرات إلى الصادرات العالمية	٥,٥	في المائة
الواردات السلعية (سيف)	٣١٤,١	مليار دولار
نسبة الواردات إلى الواردات العالمية	٣,٠	في المائة
إجمالي الصادرات البينية العربية	٤٥,٣	مليار دولار
نسبة التجارة البينية إلى إجمالي التجارة الخارجية	١٠,٣	في المائة

الاحتياطات الخارجية الرسمية*

القيمة	٢٥٢,٥	مليار دولار
متوسط تغطية الاحتياطيات الرسمية للواردات العربية (فوب)	٩,٩	شهرًا

الدين العام الخارجي للدول العربية المقترضة

القيمة	١٤٩,٣	مليار دولار
قيمة خدمة الدين العام	١٨,٨	مليار دولار
نسبة خدمة الدين إلى حصيلة صادرات السلع والخدمات	١٠,٨	في المائة
نسبة الدين إلى الناتج المحلي الإجمالي	٣٦,١	في المائة

* باستثناء الذهب النقدي

المنتدى يشارك في ندوة «العنف الاجتماعي»

شارك منتدى الفكر العربي، ممثلاً بالسيدة هديل الزعبي، مسؤولة العلاقات العامة، في ندوة «العنف الاجتماعي» التي عقدتها أمانة عمّان الكبرى بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١١ ضمن سلسلة الندوات المتخصصة التي دأبت الأمانة على عقدها من حين لآخر في الموضوعات التي تهم العمّانيين خاصة، والأردنيين عامة. وحضر الندوة نخبة من المتخصصين وأصحاب الرؤية، جنبًا إلى جنب المواطنين الذين يلمسون الظاهرة، ويعانون قلقًا بسببها.

بدأت الندوة بكلمة ترحيبية ألقاها السيد نائب أمين عمّان الكبرى، وقدم للندوة وللأهداف المرجوة من ورائها. ثم ألقى الدكتور حسين أبو الرز، أمين عام وزارة التنمية الاجتماعية، كلمة ضمن ورقة عمل بعنوان «العنف في المجتمع الأردني». وتبعه الأستاذ حسين أبو رمان، الكاتب والباحث المتخصص في الشؤون الأردنية، بعرض ورقة عمل بعنوان «دور الثقافة الاجتماعية والظروف المستجدة في وجود ظاهرة العنف». وبعد ذلك عرض الدكتور مؤمن سليمان الحديدي، مدير المركز الوطني للطب الشرعي ورئيس هيئة العمل الصحية لحماية الأسرة، ورقة عمل أخرى بعنوان» واقع وأسباب ظاهرة العنف».

تدارست الندوة ما جاء في أوراق العمل، وركزت على الأمور الآتية:

* دراسة ظاهرة العنف الاجتماعي وتحليلها باعتبارها مشكلة اجتماعية عالمية تعاني منها أغلب المجتمعات، وتمارس بمستويات وأشكال مختلفة، ولا تقتصر على طبقة أو فئة معينة؛ وكذلك انعكاسها بشكل سلبي على النسيج الاجتماعي واستقراره.

*أنواع العنف وأشكاله: العنف الأسري، والاقتصادي، والسياسي، والفردي، والجماعي... الخ.

* الأسباب الفردية والمجتمعية لظاهرة العنف الاجتماعي؛ ومخاطر إفرازاتها الكارثية؛ والجهود العلمية، ببعديها النظري والتطبيقي، للتصدي لهذه الظاهرة واستئصالها عبر الكثير من الوسائل والآليات؛ وحث جميع المؤسسات الأهلية والرسمية وشرائح المجتمع على أخذ دور حقيقي وفاعل في رفض العنف ومناهضته.

* تأكيد دور وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ودور وزارة التربية والتعليم، لخلق جيل قادر على تجاوز الأزمات التي أفرزتها المخلفات السلبية للحضارة المادية، ودور الأسرة - وهو الأكثر أهمية - في مراقبة سلوك الأبناء ومتابعته، وبث القيم الروحية القادرة على تهذيب النفس البشرية. ■

المنتدى يشارك في دورة «الاتصال عبر شبكة الإنترنت في المنطقة الأوروبية المتوسطية»

شارك منتدى الفكر العربي، ممثلاً بالسيد صلاح حزين، مساعد مدير الدراسات والبرامج، والآنسة دينا مبيضين، مسؤولة موقع المنتدى على الإنترنت، في ندوة « **الاتصال عبر شبكة الإنترنت في المنطقة الأوروبية المتوسطية**»، التي عقدها المعهد الدبلوماسي في عمّان على مدى يومي ٢٢ و٢٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧.

أشرف على الدورة، التي حضرها ممثلون عن عدد من المؤسسات غير الحكومية في المملكة، مسؤولان من «مؤسسة أنا ليند» هما جان لوكا سوليرا، منسق شبكة أنا ليند، وبول والتون، نائبه.

تضمنت الدورة شرحا تفصيليا لعمل المؤسسة، خاصة ما يتعلق منه بتمويل المشروعات المقترحة الخاصة بالعلاقات الأوروبية المتوسطية، مع تركيز على فتح آفاق الحوار بين الثقافات على جانبي البحر الأبيض المتوسط. وتحدث المسؤولان عن المشروعات الأكثر إثارة لاهتمام المؤسسة، خاصة ما يتعلق منها بالتبادل الثقافي والحوار الحضاري بين البلدان المتوسطية والأوروبية، وقضايا الجنوسة والشباب والفئات الأقل مشاركة في الحوارات الحضارية والثقافية بين الأمم والشعوب.

وقد خصص اليوم الثاني من الدورة لتدريب المشاركين على كتابة اقتراحات بمشروعات تحتاج تمويلا من «مؤسسة أنا ليند»، وعلى كيفية تقييم هذه المشروعات. فقسم المشاركون إلى مجموعتين، تضم الأولى مشاركين يرغبون في تلقي تدريب على كيفية اقتراح مشروعات للتمويل، وكيفية صوغ هذه المشروعات في اقتراحات تقدم للمؤسسة للحصول على تمويل لتنفيذها. أما المجموعة الثانية فتضم مشاركين يتلقون تدريبا على تقييم المشروعات المقترحة، وتقرير ما إذا كانت هذه المشروعات تستحق التمويل المطلوب أو لا تستحق.

وقد وزعت على كلا المجموعتين وثائق إرشادية توضح لأعضائهما الكيفية التي يتم بها طرح المشروعات وتقييمها، للمساعدة في تحقيق الفكرة الأساسية من الدورة التدريبية.

توزع المشاركون الراغبون في التدرب على كيفية صوغ اقتراحات تقدم للمؤسسة للحصول على تمويل على ثلاث مجموعات خرجت في نهاية الدورة بتصورات لمثل هذه المشروعات. وقد اقترحت المجموعة، التي ضمتني بصفتي ممثلاً للمنتدى مع ممثلين لثلاث منظمات أخرى، مشروعا خاصا بإقامة حوار بين الشباب على شاطئي المتوسط ينتهي بتأسيس مجلة إلكترونية تكون حاضنة للحوار بين الشباب الذي يجب ألا ينتهي بانتهاء الحدث.

حصل المشروع المشار إليه على تقييم بنسبة ٦٤ في المئة من لجنة التقييم التي ضمت المشاركين الراغبين في التدرب على تقييم المشروعات. وقد أبلغنا المسؤولان أن أي مشروع يحصل على نسبة تتراوح بين ٦٠ في المئة و٧٠ في المئة يمكن قبوله بعد تعديلات تدخل عليه، وأي مشروع يحصل على ٧٠ في المئة يقبل، أما المشروع الذي لا تصل نسبة تقييمه إلى ٦٠ في المئة فيرفض. ■

اللقاء الشبابيّ الأول لمنتدى الفكر العربي يستضيف هيئة تحرير مجلة «أقلام جديدة»

مناقشة أساليب رعاية الإبداع الشّبابيّ وإطلاق الطّاقات الموهوبة

استضاف منتدى الفكر العربيّ في اللقاء الأوّل من سلسلة اللقاءات الشّبابيّة، الذي أُقيم مساء الثلاثاء ٢٠٠٧/١/٩ في مقرّه، هيئة تحرير مجلّة **أقلام جديدة**، التي يرأس تحريرها أ.د. **صلاح جرّار**، بمناسبة صدور عددها الأوّل في مطلع العام الحالي. وهي مجلّة أدبيّة ثقافيّة شهريّة تصدر في الأردن وتُعنى بالإبداع الشّبابيّ والأدب الجديد في الوطن العربيّ، وتضم في هيئتها الاستشاريّة عددًا من كبار المفكّرين والأدباء العرب، وفي هيئة التّحرير مجموعة من الكُتّاب الأردنيين.

استُهلّ اللقاء بكلمة من أ.د. **هُمام غَصِيب**، مستشار سموّ **الأمير الحسن بن طلال**/ مدير إدارة الدّراسات والبرامج/ مقرّر لجنة المتابعة الشّبابيّة في المنتدى، الذي أدار هذا اللقاء، والذي أوضح أنّ سلسلة اللقاءات الشّبابيّة، التي باشر المنتدى بعقدها، هي جزء من الفصل الشّبابيّ الجاري تأسيسه تحت مظلّة المنتدى. ويأتي ذلك بعد عقد سلسلة من المؤتمرات الشّبابيّة العربيّة برعاية كريمة من سموّ **الأمير الحسن بن طلال**، رئيس المنتدى وراعيه، شملت حتى الآن المؤتمر الشّبابيّ الكبير الأوّل (**الشّباب العربيّ وتحدّيات المستقبل**) في عمّان خلال نيسان/ إبريل ٢٠٠٤، والمؤتمر الثّاني (**الشّباب العربيّ في المهجر**) في عمّان أيضًا خلال نيسان/ إبريل ٢٠٠٦. ويؤمل أن يُقام المؤتمر الشّبابيّ الثّالث في نيسان/ إبريل ٢٠٠٨، وسيكون موضوعه «**مأسسة العمل الشّبابيّ العربيّ**».

وقال د. **غَصِيب**: إنّ هذا اللقاء هو مشاركة من المنتدى في الاحتفاء بمناسبة مهمّة هي صدور مجلّة شبابيّة رائدة في الأردنّ ذات طابع عربيّ، نأمل أن تحقّق أهدافها في احتضان المواهب الشّابة ورعايتها وإطلاقها.

ثم تحدّث د. **صلاح جرّار**، رئيس تحرير **أقلام جديدة**؛ مؤكّدًا أنّ الشّباب هم الأمل لنا، ونحن بحاجة إلى هذا الأمل، وبحاجة ماسّة لأن نتذكّر أملنا في كلّ حين وفي زمنٍ يصيبنا فيه الإحباط. فرؤية الشّباب تذكّرنا بالطّاقات المختلفة وبقدرات الأمّة وبإمكاناتنا، وتذكّرنا أيضًا بالشّباب الذي نعول عليه.

أشار د. **جرّار** إلى أنّ علاقته بالعمل الشّبابيّ بدأت منذ وقت مبكّر من حياته العمليّة والأكاديميّة، حينما عُيّن مدرّسًا في الجامعة الأردنيّة في السبعينيّات. فكان مستشارًا للنادي الأدبيّ الذي يرعى الطّاقات

الإبداعيّة الشّبابيّة. ثم من خلال عمله نائبًا لعميد شؤون الطّلبة، واشتراكه في عضويّة لجان تحكيم مسابقات للشّباب في المجالات الإبداعيّة المختلفة، وكذلك من خلال تدريس موادّ في الجامعة تساعد على كشف الطّاقات الأدبيّة الإبداعيّة، واهتمامه حينما أصبح أمينًا عامًا لوزارة الثّقافة (١٩٩٩-٢٠٠٢) بفتح باب جديد للتّواصل مع إبداعات الشّباب. فحرصَ على تأسيس مسابقة للإبداعات الشّبابيّة أصبحت الوزارة تقيمها سنويًا، وتُفرز في كلّ دورة من دوراتها أصواتًا شابّة جديدة. كما وضع كتابًا بعنوان **الثّقافة والشّباب في القرن الحادي والعشرين**، نشره المجلس الأعلى للشّباب في الأردن ضمن سلسلة «**التثقيف الشّبابيّ**»؛ إضافة إلى دراسات عدّة حول الشّباب ضمَّن بعضها في أحدث مؤلّفاته: كتاب **الجدار الأخير: نظرات في الثّقافة العربيّة**، الذي صدر ضمن **منشورات منتدى الفكر العربيّ** ٢٠٠٦.

أضاف رئيس تحرير **أقلام جديدة** أنّ كل هذا شجعه على البدء في مشروع يخدم من خلاله العنصر الشّبابيّ ولا يقتصر فيه على الشّباب الأردنيّ؛ بل الشّباب العربيّ بصورةٍ عامّة. وقد وجد الكثير من التشجيع على خوض هذه التجربة من كُتّاب وأدباء ومفكّرين داخل الأردن وخارجه.

وقال **د. جرار**: قد يسأل سائل: لمَ الشّباب؟ هنالك بعض الأسباب الأخرى التي حفزتني على تنفيذ المشروع، منها: أنّ الإبداع في أروع تجلّياته وأصدقها وأنقاها يبدأ مع الشّباب، وأنّ الشّباب بالإجمال يعانون من قلّة المنابر الأدبيّة والثّقافيّة التي تتيح لهم فرص التّعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وتطلّعاتهم وآمالهم وغير ذلك، وهم بحاجة إلى الرّعاية والتّوجيه حتّى تُصقَل تجاربهم وتغدو أكثر نضوجًا وإنتاجًا وإبداعًا. وربط **د. جرّار** إتاحة المجال للشّباب للتّعبير عن أنفسهم من خلال الكتابة الإبداعيّة بأثر ذلك على حفظ توازنهم النّفسيّ والسّلوكيّ وسلامة توجّهاتهم المستقبليّة. وأوضحَ هنا أنّ الطّاقات والمشاعر والأفكار إذا بقيت مختزنة لدى الشّاب ولم يستطع التّعبير عنها فسيؤدي ذلك ربما إلى شعوره بالإحباط؛ ومن ثمّ يصبح الشّاب بهذا الشّعور السّلبيّ عبئًا على المجتمع بدل أن يكون طاقة بناءة قادرة على التّعبير عن نفسها بالأشكال الإبداعيّة المختلفة.

كما أوضح أن سياسة المملكة الآن تركّز على العناية بالقطاع الشّبابيّ وتفعيل طاقاته وتوجيهها واستثمارها الاستثمار السّليم.

حول كون مجلّة **أقلام جديدة** ثقافيّة أدبيّة، بيّن رئيس تحريرها أنّ الأدب هو أرقى وسائل التّعبير عن مكنونات النّفس البشريّة وتجلّيات العقل. وقال: هنالك الكثير من أصحاب الميول الأدبيّة بين الشّباب الأردنيّ والشّباب العربيّ، ويجب أن لا يبقى هؤلاء دون منبر ثقافيّ يفيدُ من طاقاتهم، وفي الوقت نفسه ينمّي هذه الطّاقات. ثمّ إنّ الأدب

هو وسيلة مهمّة جدًا لصقل الذّوق والارتقاء بالذّائقة وصقل الشّخصيّة والوعي والوجدان، ويساعد على إضفاء لمساتٍ من الجمال على الحياة البشريّة؛ فضلاً عن إضفاء مثل هذه اللمسات على حياة الأفراد وحياة الكاتب نفسه. وقد حرصنا في المجلّة على ألاّ تكون محليّة النّطاق؛ بل عربيّة لسببٍ رئيسيّ وهو أنّ الثّقافة العربيّة لا تتجزأ، على الرغم من وجود خصوصيّة للثّقافة المحليّة وخصوصيّة لثقافة المكان.

وأضاف رئيس تحرير **أقلام جديدة**: هنالك هدف آخر لدينا مؤدّاه الإسهام في التّواصل بين القطاعات الشّبابيّة العربيّة ككلّ. وهنالك الكثير من الطّاقات الإبداعيّة الشّبابيّة التي يمكن الاستفادة منها ما دمنا ننشر لكُتَّابٍ عرب إضافة إلى الكُتَّاب الأردنيين. وبالرغم من أنّ المجلّة ما تزال في بدايتها فقد وردنا كمّ كبير من كتابات الشّباب في الأردن وفي الدّول العربيّة.

وأشار **د. جرّار** إلى أنّ هذا لا يعني أنّ المجلّة لا تفتح أبوابها للأدباء والكُتَّاب الكبار الذين رسخت أقلامهم في الكتابة؛ إنّما تهتم المجلّة بنشر أعمالهم النّقديّة التي تتناول الإبداع الشّبابيّ، سواء في حقل القصة القصيرة أو الشّعر أو النّقد أو الفنون التّشكيليّة أو المسرح والسينما ...إلخ؛ لأنّ هذا يساعد على توجيه الشّباب وصقل تجاربهم. كما تنشر المجلّة أعمالاً نقديّة ودراسيّة حول التّجارب الأولى للأدباء والمبدعين الكبار العرب والعالميّين، وحوارات معهم، واستطلاعات تتناول أدب الشّباب، ومقالات موجهة للشّباب.

ولخّص **د. جرّار** أهداف المجلة على المدى البعيد، التي وصفها بأنها مشروع وطنيّ وليسَ خاصًا، بتوفير منبر ثقافيّ للشّباب الأردنيّ والعربيّ، والإسهام في إغناء المشهد الثّقافيّ في الأردن والوطن العربيّ قدر المستطاع، واحتضان الطّاقات الإبداعيّة منذ بداية تشكّلها. ذلك لتصبح المجلّة في المستقبل مرجعًا للباحثين والدّارسين لتعرُّفِ البدايات الأولى للأدباء والكُتَّاب الجدد، وتوفير مجالات مفيدة للشّباب يفيدون بها من طاقاتهم، وتجنّبهم الانجرار نحو اتجاهات غير مجدية أو اتجاهات ضارّة؛ إضافة إلى إسهام المجلّة في تشكيل الوعي الأدبيّ والنّقديّ والفكريّ العربيّ.

واختتم **د. جـرّار** حديثه بشكر **منتدى الفكر العربيّ** على مبادرته بعقد هذا اللقاء، وكذلك بشكر **الجامعات والمؤسّسات الثقافيّة والتّربويّة والشّبابيّة المحليّة** التي أعربت عن استعدادها لتقديم الدّعم للمجلّة لتحقيق أهدافها. وقام بتقديم نبذة تعريفية عن الهيئة الاستشاريّة للمجلّة، وعن هيئة التّحرير التي تضمّ في عضويتها: أ. **عزمي خميس**، مدير التّحرير؛ الأستاذ **محمّد ضمرة**، الأديب والنّاقد؛ أ. **يحيى القيسي**، الأديب والكاتب الرّوائيّ والإعلاميّ؛ أ. **كايد هاشم**، الكاتب والباحث ومساعد مدير الدّراسات والبرامج في

منتدى الفكر العربيّ؛ أ. **محمّد سناجلة**، الأديب والكاتب الرّوائيّ.

ثمّ جرى نقاشٌ ثريّ بين الحضور، بدأه د. **هُمام غصيب** بملاحظات تناول فيها تفسير مفهوم الثّقافة؛ مشيرًا إلى سي بي سنو **C.P.Snow**، الروائيّ الإنجليزي المعروف الذي بدأ حياته فيزيائيًّا، من خلال كتابه المشهور الذي صدر عام ١٩٥٩ عن الثّقافتين: ثقافة الإنسانيّات وثقافة العلوم. وقال د. **غَصيب** في هذا الصّدد: كنتُ قد كتبتُ - فيمن كتب - عن ثّقافة ثالثة تتمثّل في عددٍ من المهارات والحساسيّات المعاصرة وتجمع ما بين الثّقافتين؛ فمن دون هذه الحساسيّات لا يمكن أن نواكب الحياة المعاصرة. وحبذا لو أنّ تعريف الموهبة والإبداع لا ينحصر في المجالات الأدبيّة فقط! فقد استخلصت وزملائي حينما كنتُ رئيسًا لتحرير **المجلّة الثّقافية**، التي تصدرها الجامعة الأردنيّة، مدّة عشر سنوات - وما زلتُ عضوًا في هيئة تحريرها - حاجتنا إلى الثّقافة العلميّة التكنولوجيّة. فهنالك قحط كبير في هذا المجال، والمواهب التي نحتاج إليها فيه هي بالأهميّة نفسها التي للمواهب في المجالات الأخرى... الأدبية والفلسفيّة وغيرها.

وفي تعليق آخر، ركّز د. **غصيب** على الحرص في إطلاق صفة الإبداع على الكُتّاب والفنانين، فليس كل من خاض مجالات الأدب والفنون يعدّ مبدعًا. وذلك لا يحول دون العمل على إنماء بذرة الإبداع عند من يمتلكونها. كما تحدّث عن ضرورة الاعتناء بالأسلوب النّثريّ الواضح في الكتابة ومخاطبة القارىء؛ موضحًا أن النّثر تبدأ به الحضارة حينما يشمخ بوضوحه، حتّى وإن كان الوضوح المقصود في غير المعنى الأدبيّ المتعارف عليه. وقال: إنّ أجمل أنواع النّثر الإنجليزيّ موجود في المجلاّت العلميّة الموجهة إلى القارىء العام. وهذا حلم من أحلامي كتبتُ عنه دومًا في **المجلّة الثّقافيّة**. أن نصعدَ إلى ذلك النّصّ الواضح النّاصع الديباجة، الذي يشعّ وضوحًا. وهنا الجمال؛ وليس بالضّرورة الخيال العلميّ في الكتابة عن النّسبيّة أو الذّرة أو النّواة.

شارك في النّقاش عدد من الشّباب والكُتّاب والمثقّفين والمسؤولين الشبابيين الذين حضروا اللقاء، والذين تناولوا في تعليقاتهم ضرورة الاهتمام بالتنوّع والشّموليّة في موضوعات المجلّة؛ فضلاً عن الاهتمام بتجارب الأجيال السابقة من الأدباء والكُتّاب وكبار المبدعين، والتّعاون مع الهيئات والجمعيات الثّقافيّة التي تُعنى بالمواهب الشّابة، وتنمية وسائل إدامة هذه المجلّة ودعمها واستمرارها.

واختُتم اللقاء بمداخلة للأستاذ **عزمي خميس**، مدير تحرير **أقلام جديدة**، الذي أعرب عن اهتمام هيئة التحرير بالاستفادة من الأفكار والمقترحات التي طُرحت في اللقاء ضمن رؤية المجلّة وفلسفتها؛ مبينًا مراحل إصدار العدد الأول وخطط الإصدارات القادمة، وبعض الوسائل التي يمكن من خلالها تنفيذ المقترحات، وترحيب المجلة بمشاركات الشّباب. ■

د. عزمي بشارة في اللقاء الشهري لمنتدى الفكر العربيّ

العروبة الديمقراطيّة والإنسانيّة والهويّة العربية سبيل لتأطير الخلافات السياسيّة

أكّد المفكّر والمناضل العربيّ د. عزمي بشارة أنّ القضايا الجوهريّة التي تواجهنا متعلّقة تحديدًا بمسألة تعاملنا أو تصالحنا أو تفاعلنا أو كيفية تعاطينا مع موضوع العروبة، التي باتت تسمّى مؤخّرًا «الهُويّة العربيّة».

وقال خلال محاضرته في اللقاء الشهريّ لمنتدى الفكر العربي مساء الأربعاء ٢٠٠٧/٢/١٤: «إنّ عروبة إنسانيّة وديمقراطيّة منفتحة هي موضوع المستقبل للأجيال العربيّة الصاعدة. ومن دون هذا الموضوع لا أعتقد أنّ ما نقوم به، سياسيًّا وفكريًّا، سيقدّم جوابًا شافيًا للوعد في أُفق الأجيال الطالعة عن إمكان تطوير عروبة منفتحة وإنسانيّة ضدّ الاستعمار والطائفيّة والانغلاق والتعصّب والعدميّة».

وقدّم د. بشارة أمام جمهور غفير من المثقفين الذين حضروا اللقاء تحليلاً للتطوّرات التي شهدتها حركة اليقظة العربيّة في أواخر القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين؛ موضحًا أنّها تكوّنت كنسخة مبكّرة لعروبة مدينيّة إنسانيّة ومنفتحة، كان بالإمكان أن تتعايش فيها مدارس الإصلاح الإسلاميّ مع قوى علمانيّة صاعدة في إطار عمليّة التّفاعل مع الغرب ومع الحداثة، انفتاحًا ودفاعًا عن الخصوصيّة في آن.

ورأى أنّه خلافًا للسلفيّة الصحراويّة التي عاصرتها، بَدَتْ هذه العروبة «بروتستانتية» الطّابع - وَفْقَ تعبيره - متجهةً نحو إحياء اللغة والثّقافة القوميّة وتنقية الدّين مما علق به من خرافات. كما أنّها غدت في نظر المصلحين رديفًا لأسباب التخلُّف؛ كونها تنطلقُ من الأصول مباشرة، ومن دون تقليد، في مواجهة تحدّيات العصر. كما تزامنت وعمليّة صَهر ثقافيّ وتعريب طوعيّ لعناصر تركيّة وشركسيّة وكرديّة ومملوكيّة وسريانيّة وكلدانيّة في المدن العربيّة.

وبيّن د. بشارة في هذا المجال أنّ الإحياء القوميّ في بدايته جَمَعَ بين عناصر في تيّار النّهضة نفسه، تألّفت من نزوع إحيائيّ للعصر الكلاسيكيّ ورومانسيّة قوميّة؛ إضافة إلى نزوع إنسانويّ. وكانت أفكار النّهضة العربيّة تسير في طريق شبيه بذلك. انقطع تطوّر هذه العروبة عند التّقسيم الاستعماريّ، الذي جعل الثّروة إطارًا سياسيًّا والحضارة والمدنيّة إطارًا آخر. كذلك انقطع تطوّر العروبة عند موقف حركتها السّياسيّة المتأخّرة المعادي لمنجزات المرحلة الليبراليّة،

التي نُظرَ إليها على أنّها مرحلة مرتبطة بمُلاّك الأراضي الزراعيّة وأبنائهم في برلمانات وحياة حزبيّة في ظلّ الاستعمار. وانقطع التطوّر نفسه لدى قيام الدّولة التي تخبّطت بين مهمّتها القومية في إقامة الوحدة ومتطلّبات الدّولة/الأمّة والحفاظ على نظام الحكم. وكانت النّتيجة انغلاق القوميّة كأيديولوجيّة تقبل بالأفراد رعايا لا مواطنين. وانقطع مسار تطور العروبة النّهضويّ مرّة أخـرى بتحوّلها إلى أيديولوجيّة تبريريّة لهذا الواقع، أو إلى أيديولوجيّة عدميّة مُنْتَفِضة عليه.

أشار د. بشارة في هذا المجال إلى أنّ الأيديولوجيّة الدّينيّة السّياسيّة حينما ظهرت وقفت ضدّ انتهازيّة الأيديولوجية التبريريّة ومظاهرها المشوّهة في الحكم، وبدت أكثر مثابرة في التمرُّد من سابقتها. وهي، إذ رفضت القوميّة، فقد تبنَّت في الواقع الخطاب القوميّ الجماهيريّ ومفهوم الدّولة ونظام الحكم، في مرحلة انحطاط هذا الخطاب وانغلاقه، وأخضعته لعملية تديين وتقديس. وقال د. بشارة: إنّ القوميّة نفسها في مرحلة انحطاطها ارتكبت خطأ تحويل الانتماء الثّقافيّ والسّياسيّ وعمليّة بناء الأمّـة الحديثة من عمليّة تاريخيّة (عملية بناء المؤسّسات الحديثة) إلى عقيدة غيبيّة، فيما قامت الأيديولوجيّة الدّينيّة الجديدة بتحويل العقيدة الدّينيّة إلى هُويّة وانتماء أشبه بالقوميّة، فنشأ الخطر المعاصر المتمثّل في خسران العرب العالمين: عالم الدّين وازعًا أخلاقيًّا وعقيدة إيمانيّة حرّة، وعالم القوميّة خطابًا حديثًا يسعى إلى بناء أمّـة حديثة. فالأمّة المواطنيّة الحديثة هي نحو الدّاخل: دولة مجتمع مدنيّ قائم على المواطنة؛ وهي نحو الخارج: دولة قوميّة.

أضاف د. بشارة أنّ القوميين العرب الأوائل لم يستخدموا مصطلح «الهُويّة» الأيديولوجيّ الرّائج حاليًا؛ لكن لما نوصِبَت الهُويّة العداء، وإزاء صناعة الهُويّات الطّائفيّة والقبليّة كتضامنات سياسيّة بديلة لها، اتخذ مسار صناعة الهُويّة والأيديولوجيّة كفكر ثوريّ أو تبريريّ مطواع في خدمة غاية سياسيّة. وقال في هذا السياق: إنّ أدلجة الانتماء كولاء وهُويّة لا بدّ أن تحمل في طياتها تعصُّبًا وفكرًا وحدويًّا نحو الدّاخل أيضًا، يكون مُعاديًا للحزبيّة والحرّيّات كونها مدعاة لتشتُّت الأمّة واستمرار لمحاولات شقّها من الخارج.

ونفى المُحاضر القول بأنّ الهُويّة العربيّة كانت قبل ذلك بريئة من النيّات السّياسيّة، وأنّها كانت مجرد لغة وثقافة ووعاء حضاريّ. وقال: إنّها مثل أي رابطة تستند إلى لغة وحضارة وتتقاطع فيها الجغرافيا والتّاريخ مع اللغة. ومع وهم الأصل المشترك تُطوِّر قوميّة وينشأ معها توق هذه القومية التحرّريّ لتكوين وحدة سياسيّة ضدّ الاستعمار أو ضدّ الإقطاع أو ضد التشتت والتشرذم؛ أي أنْ تغدو أمّة سياسيّة، وأنْ تتطابق مع الدّولة. لكن خصوصيّة الهُويّة العربيّة نبعت من أنّ تحوّل العناصر المشتركة تلك إلى القوميّة العربيّة لم يُكتَب

له الاستمرار في واقع الدّولة التّاريخيّ الملموس. فازداد وزن المركّب الأيديولوجيّ في القوميّة للتّعويض عن الانخفاض في مركّب الممارسة العمليّة. وكان الفيض الأيديولوجيّ بديلاً عن النّقص في الواقع.

بيّن المحاضر أيضًا أنّ الأيديولوجيّات القوميّة تحمل جوانب ديمقراطيّة متنوّرة إلى جانب الفكرة الجمعيّة التي تشدّد على الهُويّة والانتماء. ولكي تتمكّن هذه الأيديولوجيّات من الانتماء للمجتمع، فإنّها تتخيّله جماعة عضويّة مثل القبيلة. ومن بين العناصر الأولى هنالك تأكيد على تعميم التّعليم وإحياء الثّقافة واللغة القوميّة، وشطب امتيازات الطّبقات التقليديّة في مراحل ما قبل المرحلة القوميّة، تمهيدًا لتعميم المواطنة والمساواة، وتأكيد إشراك الجماهير وقيم مثل العدالة في توزيع الثّروة، وغيرها مما تتحدّث به القيادات القوميّة الأولى.

وبيّن من جانبٍ آخر أنّ الفكرة والحركات القوميّة تحمل عناصر رجعيّة كامنة في الفكرة القوميّة نفسها كمجتمع من الأفراد لا يمكن تخيّله إلاّ جماعةً متخيّلة عضويّة، كأنّه قبيلة أو عشيرة تطلب ولاءً وانسجامًا كاملاً من الفرد كعضو في جسمٍ حي، وتنفر من الحزبيّة كعمليّة شقّ لوحدة الأمّة. كما تكمن في تخيّلها المزايا القوميّة كعبقرية مشتقّة من روح الشّعب وجوهره وطبيعته، أو من جغرافيّته وإقليمه، أو من تاريخه ومعاناته؛ ومن ثمّ من رسالته التّاريخيّة المزعومة للإنسانيّة والنّابعة من خصوصيّته وليس مما يجمعه مع بقية الإنسانيّة.

وقال: إنّ الفكرة العربيّة والثّقافة السياسيّة العربيّة حملت العنصرين منذ البداية. وكان يفترض أنْ يتحقّق صراع حاسم في الدولة العربيّة من خلال بناء الأمّة وسط هذه العناصر. لكنّ الدولة العربيّة لم تقم، ودار صراع فيما بينها إزاء عمليّات التأميم والإصلاح والتّعليم والخطاب الشّعبويّ، مع أنّه بقي مبتورًا ويتجسّد حاليًّا في كم هائل من المتحجّرات اللفظيّة والهذر الكلاميّ والمزايدة، خاصّة أنّ الدّولة والأمّة بقيتا رهن تأثير العوامل الخارجيّة، وعدم تحقُّق حقّ تقرير المصير للأمّة العربيّة، وعدم الانسجام بين مفهومها كقوميّة وبين الدول القطريّة.

وفنّد د. بشارة إدعاءات بعض المستشرقين وبعض الإسلاميّين القائلة بأنّ الفكرة القوميّة العربيّة هي نتاج جهد أقليّاتيّ للانتماء إلى الأكثرية العربيّة في بلاد العرب ضدّ الهُويّة الإسلاميّة للامبراطوريّة العثمانيّة. وأكّد في هذا الصّدد أنّ العروبة كانت قائمة على شكلٍ من لغة وثقافة وعصبيّة قبل المرحلة القوميّة في الدّول الإسلاميّة المتعاقبة، بما فيها العثمانيّة. أمّا العروبة كقوميّة فلم تنشأ عن عناصر أقليّاتيّة في مصر؛ بل عن الإصلاح التعليميّ الرسميّ الذي قاده محمد علي، وعن

نشوء الوطنيّة المصريّة نفسها ضدّ الإنجليز وتفاعل هذه الوطنية مع ثقافة بلاد الشام؛ ومن ثمّ تعرُّبها سياسيًّا في الصّراع مع الصهيونيّة على أرض فلسطين. وبالنسبة للمشرق، لم تكن النّزعة العربيّة لدى مسلمي بلاد الشام والمسيحيين فيها انفصاليّة؛ بل ثقافيّة تطالب بالمساواة للعرب أو الحكم الذّاتيّ في إطار العثمانيّة ضدّ التتريك، ثم أصبحت انفصاليّة في تفاعلها مع حركة عروبيّة تقليديّة الطّابع، غير قوميّة، تسعى إلى خلافة عربيّة في الثّورة العربيّة ١٩١٦.

ووصف المحاضر هذه العمليّة بأنّها كانت عمليّة طبيعيّة متدرّجة ومعتدلة ومتنورة اجتماعيًّا وسياسيًّا، وأنّ طابعها العام كان إسلاميًّا أو علمانيًّا مرتاحاً في إطار الحضارة الإسلاميّة، مؤكدًا عمومًا عدم الفصل بين العروبة والإسلام. وبهذا المعنى عدّ القوميّون المسيحيّون – في هذه المرحلة – الرّسول الكريم والخلفاء الرّاشدين رموزًا وأبطالاً قوميين تمامًا كما عدّ المسلمون والمسيحيّون العرب صلاح الدّين بطلاً قوميًّا بصرف النّظر عن أصوله غير العربيّة.

وأضاف: إنّ هذه العروبة لم تتحمّل، ولا حتّى جزءًا من المسؤوليّة عن انهيار الامبراطوريّة العثمانيّة، التي كانت هي نفسها مدخل تأثير للاستعمار الغربيّ وإملاء شروطه عليها، بسبب ضعفها الذي بدا قبل أنْ تتحالف الحركة العربيّة التقليديّة مع الإنجليز؛ بل إنّ القوميّة العربيّة أصبحت بعد انحلال عقد التحالف بين القيادة العربيّة من الجزيرة والإنكليز قناة الصّراع الرئيسيّ مع الاستعمار عمومًا في العقود التي تلت، وتحوّلت الامبراطوريّة العثمانيّة إلى حكم تركيّ قبل أتاتورك. وأشار د. بشارة هنا إلى أنّ «جمعيّة الاتحاد والترقّي» لم تخلق التتريك بفعل تأثير أقلياتي يهوديّ كما يُدَّعى؛ بل برزت أهم معالم التتريك في بنية السُّلطة والهيمنة عند السلاطين أنفسهم. كما أنّ عروبة هذه المرحلة لم تكن عنصريّة، ولم يدّع فقهاء المسلمين وعلماؤهم في حينه مثل هذه الادّعاء؛ بل كان هذا ادّعاء التديُّن الحركيّ السّياسيّ في مراحل متأخّرة فقط حينما طُرحت العقيدة بشدّة وتطرُّف أساسًا لولاء الأمّة في مقابل الرّابطة القوميّة العنصريّة المثيرة للفرقة والعداء بين الشّعوب. والذي طرحها على هذه الصورة هو هندي مسلم ممن قام تميُّز طموحهم السّياسيّ عن بقية الهنود على أساس دينيّ لا قوميّ (الإسلام الحركيّ السّياسيّ الهنديّ على لسان أبي الأعلى المودودي). وحتّى تُرجمت هذه الأفكار إلى العربيّة لم يكن الموقف الإخوانيّ من القوميّة العربيّة بهذه الحدّة.

ووصف المحاضر الطّائفيّة السّياسيّة في عصرنا بأنّها قومية دينيّة، تحمل أسوأ ما في القوميّة، وأنّها نتاج تحوّل الانتماء الطّائفيّ إلى انتماء سياسيّ قوميّ الطّابع. وقال: إنّ جماعة العقيدة انتهت إلى

الطّائفة عمليًا، وإنّ الطائفيّة من ناحية وظيفتها التاريخيّة لا تشقّ وحدة الأمّة فقط في حالة تعدّد الطّوائف؛ بل تمنع تفرُّد الفرد مواطنًا في إطارها حتّى لو كانت طائفة واحدة. فالطّائفة السّياسيّة مثل العشيرة تمتصّ ملامح الفرد وخصوصيته ومواقفه، ولا تعرف فرديّة المواطن وحقوقه خارج الانتماء إليها. وهذا النّوع من رفض القوميّة هو رفض أفضل ما في القومية من أساس لوحدة الأمّة؛ لكنّه أخذَ منها عناصرها الرجعيّة ونَسَبَها إلى نفسه.

وأضاف: مع ذلك، فإنّ الهويّات الوطنيّة القطريّة لم تنجح في استبدال القوميّة العربيّة. لكنّ الجماعة السّياسيّة بقيت عربيّة. كما أخفقت صناعة الهويّة الفينيقيّة والفرعونيّة والبابليّة والكنعانيّة؛ إذ لا يمكن للفرد في أي بلد عربيّ تخيُّل نفسه بأدوات اليوم فرعونيًا أو بابليًا إلاّ كمركب مصنوع في صناعة الهويّات. فأدوات التخيُّل، مثل اللغة والتّاريخ والأدب والملاحم والبطولات ووسائل الاتصال، هي عربية إسلاميّة، أو مستمدّة من وطنيّة محليّة معادية للاستعمار في مرحلة عروبة الحركات الوطنيّة.

واختتم د. بشارة محاضرته بالقول: إنّ الهويّات الوطنيّة المحليّة لا تستطيع التغلُّب على الطائفية؛ لأنّها غالبًا أقلّ شرعيّة منها، أو لأنها بُنِيَت على التوازن الطّائفيّ أو على سيطرة طائفة من العهد الاستعماريّ. لكن العروبة تشمل السُّنة والشّيعة والمسلمين والمسيحيّين العرب. والقوميّة العربيّة سيرورة مستمرّة في موازاة عملية بناء الدّولة العربيّة والهويّات المحليّة وبتفاعل معها. ولأنّ الهويّة العربيّة هويّة تشمل أغلبيّة المواطنين، لغة وثقافة وانتماء، فإنّها قادرة على أنْ تقدّم حتّى في كلّ دولة على حدة وعاءً لتأطير الخلاف السّياسيّ في تيّارات ومواقف ومصالح لدى الأغلبيّة ومن خلال احترام حقوق غير العرب المتساوية، مواطنينَ أفراد وجماعات لها حقوق. فمن حقّ مثل هذه الجماعات في نظر العروبة المنفتحة والإنسانيّة الحصول على حقوق ثقافيّة جماعيّة.

وكان د. طاهر كنعان، مدير عام المركز الأردنيّ لأبحاث وحوار السّياسات وعضو المنتدى، الذي أدار هذا اللقاء، قد قدّم المحاضر بلمحة عن مشروع فكريّ للدكتور عزمي بشارة يتضمّن دراسات حول الديمقراطيّة والقوميّة من جهة، والإسلام والديمقراطيّة من جهة أخرى.

وقد جرى نقاش مطوّل بين المحاضر والحضور، شاركت فيه شخصيات فكريّة وسياسيّة وعدد من الإعلاميّين. ■

بحث التعاون والتنسيق
بين الملتقى الإعلاميّ العربيّ ومنتدى الفكر العربيّ

تطلعات مشتركة لتعزيز قنوات الحوار العربيّ والعالمي وتقديم إعلام عربيّ متوازن

استقبل الأستاذ الدكتور هُمام غَصِيب، مستشار سموّ الأمير الحسن بن طلال ومدير إدارة الدراسات والبرامج في منتدى الفكر العربيّ، السيّد ماضي عبد الله الخميس، الأمين العام للملتقى الإعلاميّ العربيّ، الذي قام بزيارة إلى مقرّ المنتدى جرى خلالها بحث سُبُل التّعاون والتنسيق بين المنتدى والملتقى.

وأكّد الجانبان خلال اللقاء أهميّة العمل معًا من منطلق توافق رسالتيهما وأهدافهما لتعزيز قنوات الحوار بين العرب أنفسهم ومع العالم، بما يخدم ثوابت الأمّة وقيمها وهُويّتها وقضاياها، ويُسهم في بلورة النّماذج الفاعلة في التّواصل والتّنسيق، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسّسات الفكريّة والإعلاميّة والثّقافيّة العربيّة والعالميّة.

كما اتفقَ الجانبان على إعداد مشروع تعاون بينهما لإقامة أنشطة مشتركة تُعنى بمختلف قضايا الفكر والإعلام، والاهتمام بالطّاقات الفكريّة والإعلاميّة العربيّة، تدريبًا وتطويرًا وتبادل خبرات وتجارب، لتقديم إعلام عربيّ متوازن يستند إلى أُسس الاعتدال والموضوعيّة والحوار البنّاء، ويعمل في الوقت نفسه على نشر هذه القيم.

يذكر أنّ موضوع الدّورة المقبلة للملتقى الإعلاميّ العربيّ، الذي يتخذ من الكويت مقرًّا له، سيكون **«الإعلام في زمن الحرب»**. وكان هذا الملتقى قد انطلق بمبادرة إعلاميّة عربيّة عام ٢٠٠٣. ويهدف إلى خلق مناخ إعلاميّ عربيّ استراتيجيّ يسعى لأنْ يلغي التناقضات العربيّة ويُسهم في حدّ أدنى من التّضامن، في محاولة لإدراك أخطار مظاهر النّظريات النفسيّة الدّعائيّة الخارجيّة ضدّ الأمّة العربيّة. ويسعى الملتقى إلى ابتكار خطابٍ إعلاميّ متجدّد يقبل كل التيّارات ويتفاعل معها ويفتح الأبواب جميعها بشفافيّة تامّة مع تأكيد قيم الوحدة والمصلحة العُليا للأمّة والأمن القومي

العربيّ، ومحاربة عوامل الفرقة والانقسام، وذلك بلغة حوار راقية وأدوات تكنولوجيّة حديثة تطوّر هذا الخطاب باستمرار، وتؤهّل الإعلام العربيّ لأنْ يواكب نظراءه على خريطة الإعلام العالميّ.

كما يهدف الملتقى من خلال دوراته المتعاقبة إلى تحقيق التّواصل والتّعارف بين آلاف من الشخصيّات الإعلاميّة والثّقافيّة والفنية من الوطن العربيّ والعالم، وتبادل وجهات النّظر عبر النّدوات وورش العمل واللقاءات الجانبيّة في أثناء انعقاد الملتقى، ومناقشة قضايا إعلاميّة مهمّة من جانب المارسين والأكاديميّين والمتخصّصين في شتى مجالات الإعلام للوصول إلى نتائج وحلول ومقترحات، والسعي لتقريب وجهات نظر الإعلاميّين في القضايا المهمّة المتعلقة بالعمل الإعلاميّ، ومحاولة وضع أُسس وقواعد للعلاقات الإعلاميّة والمهنيّة بين العاملين في مجالات الإعلام؛ فضلاً عن تبادل الخبرات والتجارب بينهم من خلال اللقاءات وورش العمل المتخصّصة.

ويرافق الملتقى خلال انعقاده في كلّ دورة معرض لوسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، ويتمّ تكريم شخصيّات إعلاميّة عربيّة بمنحها «الجائزة العربيّة للإبداع الإعلاميّ»، تقديرًا لجهودها الإيجابيّة في خدمة الإعلام والعمل الإعلاميّ العربيّ. وتهدف هذه الجائزة إلى بث روح الحماسة والمنافسة المهنيّة الشّريفة بين العاملين في الإعلام.

يذكر أنّ منتدى الفكر العربيّ يضم في عضويّته مفكّرين ومثقفين وسياسيّين من جميع البلدان العربيّة ومن تخصّصات مختلفة. وقد ساهم خلال خمسة وعشرين عامًا مضت على تأسيسه (١٩٨١-٢٠٠٦) في بحث قضايا الوطن العربيّ وتشخيصها، واستشراف المستقبل العربيّ، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات المكنة في قضايا الوحدة والتنمية والأمن القوميّ والتحرّر والتقدّم. وهو يبدأ هذا العام انطلاقة جديدة للمرحلة المقبلة عنوانها «إعادة توجيه رسالته الفكريّة نحو تفعيل المواطنة بما يخدم الصالح العام». أعلن عن ذلك مؤخّرًا سموّ رئيسه وراعيه ومؤسّسه الأمير الحسن بن طلال، وذلك بالتّحول من مبدأ جَسر الفجوة بين المفكّرين وصانعي القرار إلى الرّبط بين الفكر والمواطنة، والتّشبيك مع العمل العالميّ المتعدّد الأطراف، كجزء من إعادة تعريف مقوّمات الفكر العربيّ المعاصر وبناء رؤية فوق قطريّة لمواجهة التحدّيات علميًّا وميدانيًّا. ■

مؤتمران دوليان حول إشكالية التحيز وفكر الدكتور عبد الوهاب المسيري

القاهرة؛ ١٠ -١٦ /٢/ ٢٠٠٧

أ. صلاح حُزين*

شهدت القاهرة في الفترة بين ١٠و١٦ شباط/فبراير ٢٠٠٧ انعقاد مؤتمرين دوليين جمعهما اسم المفكر الكبير الدكتور عبد الوهاب المسيري. حمل المؤتمر الأول، الذي عقد بين ١٠ و١٣ شباط/فبراير في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، عنوان «المؤتمر الثاني للتحيز»، في إطار «حوار الحضارات والمسارات المتنوعة للمعرفة». أما المؤتمر الثاني، الذي عقدت جلساته في المجلس الأعلى للثقافة، فحمل عنوان «عبد الوهاب المسيري: الرؤية والمنهج». وفيما كان المؤتمر الأول بحثا في تعبير (التحيز) الذي أدخله الدكتور المسيري، ضمن ما أدخل من مصطلحات إلى الثقافة العربية، ووضع فيه كتابه المعروف **فقه التحيز**، كان الثاني حول الجوانب المختلفة من فكر الدكتور المسيري المعروف بتعدد اهتماماته وتنوع إنجازاته.

وقد ألقيت في المؤتمر الأول ٦٥ ورقة ألقت أضواء على جوانب مختلفة من التحيز شملت التجليات المختلفة لفكرة التحيز في الفلسفة والفكر والتاريخ والأدب والإعلام والاستشراق والمرأة والعمارة والعلوم وحقول أخرى. أما المؤتمر الثاني الذي استمر ثلاثة أيام، فقد ألقيت فيه ٤٣ ورقة تناولت الجوانب المختلفة لإنجازات المسيري في الفكر والأدب والفلسفة والسياسة والفن، ودراساته المعروفة في الصهيونية واليهودية، وهي دراسات بلغت ذروتها في «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية».

ولأن مفهوم التحيز تحول إلى مفهوم إشكالي لم يستقر له معنى محدد بعد، فإن كثيرا من الأوراق التي ألقيت تعرضت لما يعنيه تعبير التحيز من النواحي القاموسية والاصطلاحية والفلسفية، وتناولت الاختلافات الدائرة حوله بوصفه مفهوما إشكاليا يحتاج إلى مزيد من البحث والنقاش الذي يساهم في تحديد معناه ومجالات استخدامه. وعليه لم يكن غريبا أن يجنح كثير من الأوراق المقدمة إلى التنظير الذي يحتمله المؤتمر على أي حال، خاصة أنه استقطب نخبة من الأساتذة والأكاديميين والمختصين الذين قدموا من أرجاء الوطن العربي كافة، فيما جاء آخرون من بلدان بعيدة، مثل باكستان.

* مساعد مدير إدارة الدّراسات والبرامج.

ولأن مفهوم التحيز لم يرسخ بعد في الحياة الثقافية العربية، فإن بعض الأوراق المشاركة في المؤتمر تناولت مفاهيم أخرى تتداخل مع مفهوم التحيز، مثل مفهوم «الأنفة الثقافية» التي ناقشها الدكتور عبد الله البريدي (السعودية) في ورقته التي حملت عنوان «الأنفة الثقافية بوصفها انعكاسًا ومقياسًا للتحيز، ومفهوم العولمة الذي حظي بعدد من الدراسات التي اعتبر معظمها أن العولمة تقوم على منطلقات واضحة في تحيزها، ومفهومي «الذاتي» و«الموضوعي» اللذين كثيرا ما يستخدمان بوصفهما معنيين آخرين لـ «التحيز» و«عدم التحيز»، كما في ورقة الدكتور محمد الغزالي «الفكر الاجتماعي الغربي: دراسة في التوازن بين الموضوعية والذاتية».

وتليت في المؤتمر أوراق اجتهدت في إطار اجتهادات المسيري المعروفة، كما في ورقة «التحيز الوجودي: تأملات في احتكار الوجود» للأستاذ كرم أبوسحلي. فيما ناقشت أوراق أخرى مواضيع بعيدة عن فكرة التحيز، مثل «جماليات القرآن: مشروع فلسفة جمال عربية إسلامية معاصرة» للدكتور هلال محمد جهاد، و«إشكاليات البحث والتدريس فى علم العلاقات الدولية من منظور حضارى مقارن» للدكتورة نادية محمود مصطفى التي حاولت فيه أن تنتقل «من مشروع العلاقات الدولية في الإسلام إلى بناء منظور إسلامي لدراسة العلاقات الدولية»، كما ذكرت في التمهيد الذي قدمت فيه لورقتها. وتناول الباحث الأردني موفق محادين موضوعا اختار له عنوان «العرب وتنوع المسارات بين المركزية الأوروبية للحداثة وبين لا مركزية ما بعد الحداثة الأمريكية».

بدأت الجلسة الأولى في المؤتمر الأول، التي أدارها السيد ياسين، بورقة مقدمة من الدكتور أبو يعرب المرزوقي الذي اختار مدخلا نظريا ميز فيه بين «انحياز قصدي إلى موقف معين وموقف مناظري ينفي كل إمكانية لتخلص الذات العارفة من ذاتيتها في المعرفة». كما ميز بين معنيين للتحيز: أولهما التحيز كما يفهمه جمهور المثقفين، وهو يشير إلى دواعي التحيز التي يتمثل العلم الحقيقي في السعي إلى تخليص نفسه من تأثيرها قدر المستطاع؛ وثانيهما التحيز عند العلماء، وهو يشير إلى وجه الإشكال في الفضالة الذاتية أو فضالة حضور الذات العالمة في علمها التي لا يمكن التخلص منها خلال السعي نحو الكلية الموضوعية التي تعد مثال العلم الأعلى.

ونسج على منوال المرزوقي عدد من الباحثين من حيث الرجوع إلى القواميس لفهم معنى كلمة التحيز، أو لاستخدامها بمعنى خاص بالباحث نفسه. فقد استخدمها الدكتور محمود الذوادي (تونس) بمعنى «فقدان تبني موقف الحياد الكامل إزاء الظواهر المدروسة وفروعها.» أما صلاح حزين (الأردن)، فقد ميز بين مصطلحي «التحيز» و«الانحياز»، ورأى أن الانحياز يعني «الاصطفاف التام مع طرف دون الطرف الآخر في نزاع ما. وبهذا المعنى فإن الانحياز يختلف عن التأييد الذي يعني الدعم المنطلق من موقع محايد، كما يختلف عن التحيز الذي يعني الدعم، لكنه دعم ينطلق من موقع التضامن، وليس من موقع

المحايد أو موقع المنحاز.»

غير أن القسم الأعظم من الأوراق التي قدمت اعتبر التحيز مصطلحا مفهوما لا خلاف عليه، وأن التحيز بكلمات الدكتور ممدوح العدل (مصر) «ظاهرة إنسانية معروفة. وقد يكون التحيز منتشرا فى حياتنا بدرجة أكبر مما يتصور الكثيرون من أهل العلم والفكر، فضلا عن العامة.» وفي ورقته المعنونة «إشكالية التحيز فى التعليم»، طرح الدكتور سعيد إسماعيل علي سؤالا هو: «هل يمكن للتعليم ألا يكون متحيزا؟»

وفي هذا الإطار قدمت أوراق تناولت التحيز في معظم حقول المعرفة. فقد تناول الدكتور أحمد الصاوي (مصر) التحيز في العمارة، حيث لاحظ أن «معظم هذه البحوث الاستشراقية اتخذت لنفسها هدفًا مسبقًا وغرضًا مبيتًا، ألا وهو إنكار أي فضل للعرب في إقامة عمائرهم وتشكيل فنونهم»، وذلك من خلال «تأويل النصوص التاريخية وتفسيرها واجتزائها، بل وتزييفها». وكان هذا التحيز «كفيلا بإخراجها عن جادة الصواب، وإفقادها صفة العلمية والحيادية»، على حد تعبير الباحث.

ورأى الدكتور أحمد عكاشة (مصر) أن «ما يعرف بالقرية العالمية التي تدعي العولمة إنتاجها ليست «عالمية» كما يدعون.» ويضيف مفصلا: «دعونا نتخيل أن العالم مكون من ١٠٠ إنسان: سوف نجد أن ٥٧ منهم آسيويون، و٢١ أوروبيون، و٨ أفارقة، و٦ أمريكان. وسوف نجد أن ٤٨ منهم من الرجال، و٤٢ من النساء. وأن ٣٠ منهم من البيض، و٧٠ من غير البيض. وأن ٣٠ منهم من المسيحيين، و٧٠ من غير المسيحيين. في هذا العالم المعولم المكون من ١٠٠ إنسان، يملك ٦ أشخاص ٥٩٪ من الموارد، جميعهم من أمريكا الشمالية، في حين يعيش ٨٠ منهم تحت خط الفقر. ٧٠ منهم أميون، و٥٠ معرضون للموت جوعا. واحد منهم فقط حاصل على تعليم عال، وواحد فقط يملك جهاز حاسوب. من الواضح، إذن، أن توزيع السلطة والموارد لا يتناسب مع نمط الأقلية والأغلبية في هذا العالم، أي أن هذه العولمة المزعومة فشلت في تمثيل العالم ديموقراطيا، كما تدعي.»

وفي ورقته المعنونة «ألوان من التحيز... تطبيق عملي على التحيز في مجال الطاقة»، قال الأستاذ عمرو كمال حمودة: إن «التحيز في الفكر الغربي يظهر بشكل مباشر وواضح عند تطبيقه على الموارد، وهو السبيل لتغليف السيطرة والاستعمار والتحكم في مقدرات الشعوب النامية.» وأضاف: «ولأن البترول في منطقة الشرق الأوسط، بما تضمه من دول عربية وإسلامية، يعتبر أهم مورد من ناحية الدخل والتأثير والطلب عليه، كان من المتصور أن تحصل تلك الدول على سعر عادل لبرميل البترول أو للمتر المكعب من الغاز الطبيعي، لكن الحاصل كان عكس ذلك على طول الخط، فكان صراعا داميا، منذ اكتشاف البترول ومن بعده الغاز الطبيعي، بين المنتجين وبين الشركات البترولية الدولية ومن ورائها الدول التي تعطيها الجنسية، وهي دول غربية أوروبية وأمريكية تحديدا. وقد بان «تحيز» هؤلاء على امتداد الصراع حتى اللحظة الراهنة.»

وكان التحيز في مجال الأدب موضع بحث عدد من الأوراق المقدمة، وأبرزها ورقة الدكتور أحمد عدنان حمدي الذي تناول فيها «منهج الدكتور عبد العزيز حمودة في كتاباته النقدية وإشكالية التحيز» ودرس ثلاثيته النقدية المعروفة: «المرايا المحدبة» و«المرايا المقعرة» و«الخروج من التيه». ودرست دعاء محمد نصر أوجه التحيز ضد اليهود في الرواية الإنجليزية في القرن التاسع عشر، مع التركيز على روايات «أوليفر تويست»، و«صديقنا المشترك» لتشارلز ديكنز، و«دانييل ديروندا» لجورج إليوت. وتناول صلاح حزين في ورقته المعنونة «التحيز في الأدب: الفشل على طريق معبد بالنوايا الطيبة» التحيز الأدبي كما تبدى في روايات تناولت الصراع العربي الإسرائيلي، متحيزة للجانب الفلسطيني أو الجانب الإسرائيلي. كما تناول الدكتور سعيد الوكيل «تحيز الناقد بين الخطيئة والتكفير» الذي تضمن سجالا مع أبرز أفكار الدكتور عبد الله الغذامي التي أوردها في كتابه **الخطيئة والتكفير**.

وناقش الدكتور علاء الشامي التحيز الإعلامي في ورقته «وسائل الإعلام وتشكيل الصورة الذهنية... قراءة في إشكالية التحيز الإعلامي». وناقش ياسر عبد العزيز الموضوع نفسه في ورقته «إشكالية الانحياز في الدراسات الإعلامية»، في حين اختار أحمد مرزاق الكتابة عن تحيزات الدكتور عبدالوهاب المسيري نفسه في ورقته «مفهوم التحيز: دراسة في بعض تحيزات المسيري.»

التحيز في مجال دراسات المرأة حظي بورقتين مهمتين هما: «إشكالية التحيز في الفلسفة: الفلسفة النسوية في عصر ما بعد الحداثة نموذجا» للدكتورة خديجة العزيزي (الأردن)، و«التحيزات المعرفية في الدراسات النسوية حول المرأة المسلمة: بناء نموذج تفسيري مغاير» لفاطمة الصمادي (الأردن) التي أثارت فيها عددا من القضايا المهمة، مثل تداخل عملية تخصيص برامج دراسية حول قضايا المرأة في المعاهد والجامعات العربية مع قضية التمويل الأجنبي، وما يؤدي إليه ذلك من فرض المناهج الغربية في دراسة الواقع العربي مع ما بينهما من اختلاف، وتبني مقولات ومنطلقات غربية، مثل أفكار سيمون دو بوفوار التي ظهرت في كتابها الشهير **الجنس الآخر**، وتطبيقها على واقع عربي إسلامي مختلف، خاصة من حيث علاقته بالله. لكن الباحثة لا تتوقف هنا، بل تطرح أسئلة، مثل: هل يمكن دراسة واقع المرأة في الأحزاب السياسية الإسلامية بالطريقة نفسها التي ندرس بها واقع المرأة في حزب يساري وحتى قومي؟ غير أن أبرز ما أوردته فاطمة الصمادي في ورقتها تلك الدراسة «لماهية وجود المرأة وطبيعته داخل الحركات السياسية الإسلامية من خلال حزبين سياسيين إسلاميين، حزب جبهة العمل الإسلامي الأردني وحزب الله اللبناني، وذلك وفقا لعدد من المعايير أبرزها: موقع المرأة مقارنة بالرجل، وموقف القيادة من النساء داخل الحزبين، وموقف البيئة الاجتماعية، والموقف من ترشيح النساء لمجالس النواب في البلدين، وصورة المرأة المحجبة، وأثر غياب الحياة الديمقراطية، وأثر الاحتلال الإسرائيلي، والحالة الطائفية، وانتصار المقاومة، وأثر الفقه على تفعيل مشاركة المرأة، والمعيقات.

عبد الوهاب المسيري: الرؤية والمنهج

لم يكن الهدف من عقد هذا المؤتمر تكريم الدكتور عبد الوهاب المسيري فقط، بل كان، مثلما أرادت اللجنة المنظمة، عقد مؤتمر تلقى فيه أضواء نقدية على إنجازات الدكتور المسيري التي تعددت فشملت الفكر والفلسفة والمقالة السياسية، خاصة ما يتعلق بنقد الغرب، والاجتهاد في ما يتعلق بالفكر الإسلامي واليهود واليهودية والصهيونية، والأدب والنقد وقصص الأطفال والشعر، الذي نشر فيه أخيرًا ديوانًا تضمن قصائد من الشعر الكلاسيكي والحديث وشعر العامية كتبها منذ الخمسينيات.

وقد حفل المؤتمر بالكثير من الدراسات والأبحاث التي حملت تكريما يستحقه الدكتور المسيري بالتأكيد؛ لكنه شهد في الوقت نفسه عددا من الأوراق البحثية المهمة في إضاءتها جوانب جديدة من منجز الدكتور المسيري الفكري والفلسفي والإسلامي والأدبي، خاصة الجانب الفكري. وفي هذا الإطار ألقيت في المؤتمر ورقة للدكتور أحمد ثابت حملت عنوان «رؤى العالم عند المسيرى وأركـون» حاول خلالها الباحث عقد مقارنة بين كل من الدكتور المسيري بوصفه صاحب اجتهادات خاصة في الفكر الإسلامي، وبين المفكر محمد أركـون بوصفه صاحب الاجتهادات الإسلامية التنويرية، من حيث رؤية كل منهما للعالم.

وقد حظي الجانب الفلسفي والفكري للمسيري بعدد من الدراسات التي ألقيت في المؤتمر من بينها ورقة الدكتور ماهر محسن المعنونة «النماذج والآفـاق: دراسة في الخريطة الإدراكيـة عند المسيري وغادامر»، وورقة الدكتور بومدين بوزيد (الجزائر) المعنونة «الاجتهاد التوليدي في خطاب عبد الوهاب المسيري: دراسة في خصوصية وكونية المفهوم»، وورقة علي مبروك «من تخليص الإبريز إلى تبخيس الخسيس أو من الغرب الليبرالي إلى الغرب الإمبريالي: الطهطاوي والمسيري وقـراءة في منطق الخـطـاب»، و«المسيري: قسمات المفكر وسمات التفكير» للدكتور عمار علي حسن، و«النقد المعرفي طريق الاستقلال الحضاري» للدكتور فؤاد السعيد. وقد كانت معظم هذه الأوراق تتضمن احتفاء بالمسيري. لكن عددا منها اختار طريقا آخر هو طريق النقد، كما في ورقة الدكتور حجاج علي التي حملت عنوان «المقاربة المجازية للحداثة فى كتابات عبد الوهاب المسيرى وزيغمونت باومان»، والتي تضمنت انتقادا مضمرا حينا وصريحا أحيانا لمقولات أساسية صدرت عن المسيري الذي اختار «توجيه سهام النقد للحداثة الغربية لأنها حداثة مادية منفصلة عن القيمة الإنسانية، كما أنها لا تحترم قدسية الإله أو خصوصية الإنسان»، وذلك «بعكس (ما قاله) كثير من فلاسفة الغرب (أبرزهم يورغن هابرماس) بضرورة الحذر من محو ما أنتجه عصر التنوير من الذاكرة التاريخية. ويأتى ذلك من إيمانهم الكامل بأن مشروع الحداثة لم ينته بعد، وأن عصور الاستعمار والإمبريالية، علاوة على الحروب الغربية الطاحنة التى لازمت تطور الحداثة الغربية، ما هي إلا مجرد انحرافات يمكن تجاوزها، لاسيما إذا ما وضعنا فى الاعتبار ما أنجزته الحداثة الغربية فى عالم الحرية (حرية

الاعتقاد، وحرية التعبير، وحرية الاجتماع والتنقل...إلخ.)، وفى العلوم الطبيعية وعلوم الفضاء.» وأجرى الباحث الشاب مقارنة بين «المنهج الذى استخدمه كل من عبد الوهاب المسيرى وعالم الاجتماع البريطانى زيغمونت باومان (يهودي من أصل بولندي) فى معالجة الحداثة الغربية، علاوة على النتائج التى توصلا إليها ومدى أهمية أو خطورة هذه النتائج.» وقدمت الدكتورة حنان مصطفى (مصر) دراسة مقارنة بعنوان «نقد الغرب بين المسيري وماركوزة».

الدراسات الصهيونية واليهودية، خاصة موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية»، حظيت بعدد وافر من الدراسات غلب عليها طابع الدراسات المقارنة. وفي هذا الإطار جاءت ورقة «يهود الغرب الإسلامي بين عبد الوهاب مجمد المسيري والمدرسة التاريخية المغاربية» للدكتور محمد الأمين بلغيث (المغرب)، و«قراءة اليهود عند جمال حمدان وعبد الوهاب المسيري» التي قدمتها الدكتورة بتول سمير خطاب التي اعتبرت كتابات المسيري مواصلة لكتابات الراحل جمال حمدان الذي كان من أوائل من كتبوا حول «الجماعات اليهودية». وقدم الدكتور أحمد حماد ورقة بعنوان «الموسوعة... رؤية نقدية» تناول فيها الموسوعة باعتبارها «في نهاية الأمر جدول عمل، أي اجتهادا أوليا.». أما الدكتور جميل قاسم (لبنان)، فقدم ما أسماه مساهمة نقدية في مؤتمر المسيري حول اليهود واليهودية والصهيونية حملت عنوان «ماسادا أم أرض الميعاد؟»، مستحضرا عبارتين مركزيتين في الفكر والتاريخ الصهيونيين. أما الباحث الأردني موفق محادين، فقدم ورقة بعنوان «أسئلة المنهج في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية عند عبد الوهاب المسيري»، وهي ورقة حملت عنوانا فرعيا هو «اليهود... جماعة أم جماعات؟».

مذكرات المسيري، التي نشرها تحت عنوان «رحلتي الفكرية في الجذور والبذور والثمار»، حظيت بعدد من الأوراق بينها ورقة درست جانبا مهما من جوانب المسيري هو الجانب الساخر قدمها الدكتور محمد حسين أبو العلا تحت عنوان «الطفل المشاغب الجميل ورحلته الفكرية». وقدم الدكتور علاء الشامي حول الموضوع نفسه ورقة بحثية بعنوان «الرؤية والمنهج» حملت عنوانا فرعيا دالا هو «ثنائية الحياة والموت في فكر عبد الوهاب المسيري...قراءة غير موضوعية». وقدمت كرمة سامي ما وصفته «قراءة غير موضوعية لرحلة د. عبد الوهاب « المصيرى» الفكرية»، وزادت بعنوان فرعي هو «صائد الذئاب المتلونة.»

الجانب الأدبي من منجز الدكتور المسيري حظي بدراستين : الأولى حول «التداخل النصي في قصص الأطفال عند عبد الوهاب المسيري» للدكتور سعيد الوكيل (مصر)؛ والثانية لصلاح حزين (الأردن) درست تحول المسيري من ناقد أدبي مختص بالشعر الرومانسي إلى مفكر ناقد للغرب، إسلامي التوجه، وباحث في الصهيونية واليهودية. وحملت الورقة عنوان «رحلة المسيري من عالم النقد الأدبي إلى عالم الفكر.» ■

البيـــان الختـــامي
«معًا» من أجل التغيير

برعاية معالي الأستاذ ناصر جودة، الناطق الرسمي باسم الحكومة الأردنيّة، افتتح في التاسع من شباط/ فبراير ٢٠٠٧ ملتقى شباب العرب الخامس الذي حمل عنوان «واقع وطموح»، والذي نظمه مركز الإعلاميات العربيات من خلال برنامجه التدريبي «الإعلام لغير الإعلاميين من الشباب».

ناقش المشاركون من خلال محاضرات وورش عمل امتدت على مدى ستة أيام موضوعات قدمها خبراء ومتخصصون ومجموعة من الشباب حول: ثقافة السلوك الديمقراطي ودور الشباب، وأهمية تكنولوجيا المعلومات والتشبيك، وصورة الإعلام العربي في الغرب، وفن الاتصال ومهاراته، والقيادة الشابة والانتماء للوطن، والعولمة والاغتراب وتأثيرهما على الشباب، والاتفاقية الدولية لمكافحة التمييز ضد المرأة، وإعلام الواقع بين السالب والموجب، وحل النزاعات بالطرق البديلة، إضافة إلى عرض نماذج وتجارب وشهادات لبعض الدول العربية المشاركة.

بلغ عدد المشاركين ٥٢ شابا وشابة مثلوا عواصم الوطن العربي من جمهورية مصر العربية، والمملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، والجمهورية العربية السورية، والعراق، ولبنان، وفلسطين، إضافة إلى شباب وشابات من المملكة الأردنية الهاشمية.

من خلال جلسات العمل، وبعد المداولات المتواصلة، تمت الموافقة على انتخاب لجنة متابعة للعمل على تنفيذ التوصيات الآتية:

- إيجاد برامج موجهة للشباب العربي لصقل مواهبهم وتنمية قدراتهم الإعلاميّة من أجل خلق كوادر مدربة على فن الاتصال الجماهيري ومهاراته.
- العمل على تعزيز التواصل بين مركز الإعلاميات العربيات(وحدة الشباب) والمؤسسات الناظمة للعمل الشبابي محليا وعربيًا ودوليًا من خلال تبادل الخبرات وبرامج التدريب.
- تفعيل دور الشباب من خلال المؤسسات الحكومية والمدنية ووسائل الإعلام، وخلق حوافز للشباب، وتقبل الآراء والاقتراحات والإنصات لها، وإن كانت متواضعة.
- ضرورة إنشاء منتدى إلكتروني لبيوت الشباب العرب، وتفعيل مجلة **أيام** الإلكترونية من خلال التشبيك والتواصل بين الشباب العرب، ونشر الإنتاج الإعلامي للشباب.
- ضرورة مخاطبة جامعة الدول العربية والمنظمات المعنية بشؤون الشباب، كل في بلده.
- توصية قدمها الوفد السعودي بعقد ملتقى الشباب العربي القادم في عاصمة المملكة العربية السعودية.
- طالب الشباب والشابات الأردنيون بضرورة إصدار مجلة شهرية شبابية تلقي الضوء على واقعهم ومشكلاتهم ومطالبهم، وتتيح الفرصة لإبداء الرأي وحرية التعبير. ■

http://www.qantara.de

هذا هو موقع **حوار مع العالم الإسلامي** في ألمانيا. ويشرف عليه المركز الاتحادي للتعليم السياسي BPB، وإذاعة صوت ألمانيا DW، ومعهد غوتة GI، ومعهد العلاقات الخارجية IFA.

يهدف المركز الاتحادي للتعليم السياسي وإذاعة صوت ألمانيا ومعهد غوتة ومعهد العلاقات الخارجية من خلال منبرهم الجماعي على شبكة الإنترنت إلى المساهمة في الحوار مع العالم الإسلامي. وتقوم وزارة الخارجية الألمانية بدعم هذا المشروع.

يشجع المركز الاتحادي للتعليم السياسي كل المواطنات والمواطنين الذين يهمهم الأمر على الاهتمام بالسياسة. وتتمثل مهمة المركز في دعم فهم المسائل السياسية، وترسيخ الوعي الديمقراطي، وتقوية الاستعداد للمشاركة في العمل السياسي.

تعمل إذاعة صوت ألمانيا على نقل صورة شاملة لمستمعي الإذاعة ومستخدمي الإنترنت في الخارج عن الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية في ألمانيا، كما تقدم وتوضح لهم الآراء الألمانية في القضايا المهمة.

إن معهد غوتة هو أكبر المنظمات التي تعنى بالشؤون الثقافية الألمانية في الخارج. ويضم مجال خدماته البرامج الثقافية، ودورات تعليم اللغة، والمكتبات ومراكز المعلومات، وبرامج الزائرين، وخدمات أخرى كثيرة.

معهد العلاقات الخارجية هو عبارة عن جهة لتقديم الخدمات في مجال السياسة الثقافية الخارجية، وتنظيم المعارض، وورشة عمل مستقبلية للحوار بين الحضارات والمجتمعات المدنية، وبورصة للمعلومات، وذاكرة للسياسة الثقافية الخارجية عن طريق المكتبات ومراكز الوثائق. ■

منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات

المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات

الرقم الدولي الموحد للدوريات ٦٧٦٣ - ٣٣٠

السنة العاشرة — العددان ١٩ - ٢٠ — تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٦

هناك مجال معرفي من مجالات علوم المعلومات لم يحظ لحد الآن بالاهتمام الكافي، وهو الأرشيف السمعي المرئي، لا من حيث التفكير في أسسه النظرية، ولا من حيث البحث في الحلول العملية الخاصة به، على الرغم من الرهانات التي أصبح يمثلها في عصر المعلومات والعولمة. فالوثائق السمعية المرئية تعد مصدرا من مصادر الإبداع والإنتاج الفني والفكري التي لا غنى عنها في صناعة المحتوى. فهي ترتقي بالأذواق والفنون في المجال التلفزيوني والسينمائي والإذاعي، ويحتاج إليها المخرجون ومعدّو البرامج والباحثون والصحافيون والمؤرخون وغيرهم. وعلى سبيل المثال، يطلب علماء اللسانيات التسجيلات الصوتية بغرض دراسة اللهجات وطرق النطق. كما يستخدم علماء الأنثروبولوجيا الأفلام الوثائقية لدراسة العادات والتقاليد، وكذا المؤرخون للاستماع إلى الشهادات الحية ومراجعة الأحداث بالصورة والصوت، وإن كان بعضهم يبدون تحفظات حول استخدامها، مثلما أشار إلى ذلك الأستاذ برونو دالماس (**Bruno Delmas**) في دراسته المنشورة ضمن العدد الحالي. إن الأرشيفات السمعية المرئية تشهد على أحداث حيّة كثيرة، وتسجل إنتاجا ثقافيا غزيرا يدرج ضمن الذاكرة الوثائقية للمجتمع، ويضاف إلى الأرشيف المكتوب لإثبات الهوية الثقافية للشعوب، والإسهام في بناء الفضاء الثقافي العام، وبناء المعارف وإثراء المحتوى، وهي عناصر رئيسية في الطريق نحو إرساء مجتمع المعلومات. ■

[من مقدمة د. وحيد قدورة ، الأستاذ بالمعهد الأعلى للتوثيق/ جامعة منوبة في تونس]

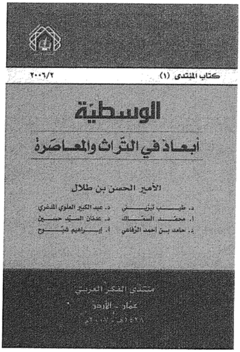
صدر حديثًا

الوسطيّة : أبعادٌ في التّراث والمعاصَرة

الأمير الحسن بن طلال يدعو إلى حركة وسطيّة عالميّة

من أجل عودة العالم إلى الجذور والنّقاء

أصدر منتدى الفكر العربيّ ودار جرير في عمّان كتابًا جديدًا بعنوان **الوسطيّة : أبعادٌ في التّراث والمعاصَرة**، اشتمل على مجموعة من الدراسات شاركَ في كتابتها سبعةٌ من المفكّرين والباحثين العرب. وتصدّر الكتاب دراسة موجزة لسموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه، بعنوان «الوسطيّة: تلاقٍ بين الثقافات والأمم». وأشار فيها سموّه إلى أن الكتاب هو جزء من مشروع مستمرّ هدفه صوغ فلسفة ورؤية وسطيّة لبرامج واضحة وقابلة للتّطبيق، تُساهم في إشاعة ثقافة الاحترام المتبادل بين الناس في إطار التنوّع والاختلاف القائم على مبدأ العدالة، لا سيما في خضم التيارات والصراعات التي تتنازع عالمنا اليوم.



كما أشار سموّه إلى أن هذا المشروع الفكري - الذي بدأه منذ أكثر من عقدين من الزمن، وكانت له فيه منذ ذلك الحين مُساهمات ومشاركات عمليّة على أرض الواقع لتضييق الفجوات في قضايا العالم الكبرى، مثل حقوق اللاجئين والعنصريّة والتّمييز والطائفيّة المذهبيّة — يرتكز على أفكار التعدّديّة والمشاركة والحوار، وتمكين المواطن، والتلاقي بين الشعوب والأُمم، والغيريّة والخيريّة، ونبذ العنف والكراهيّة، وإحياء الدساتير والمواثيق الإقليميّة والعالميّة. كل ذلك ضمن إطار الأُسرة العالميّة والشرعيّة الدوليّة؛ داعيًا سموّه إلى حركة عالميّة للوسطيّة ترتكز إلى هذه المفاهيم، وتُعطي الفرصة للمجتمعات للمساهمة في دفع عجلة التنمية الشاملة المُستدامة.

اشتمل الكتاب على دراسات تناولت زوايا مختلفة من مفهوم الوسطيّة ودلالاته وأبعاده؛ فضلاً عن المجالات الممكنة لتطبيقه. فقد تناول د. طيّب تيزيني، أستاذ الفلسفة والدراسات الاجتماعيّة في جامعة دمشق، «الوسطيّة مدخلاً إلى قراءة مفتوحة للإسلام»؛ وبحث د. عبد الكبير العلوي المدغري، الأكاديمي والوزير السابق في المغرب، «مفهوم الوسطيّة في التّراث الإسلاميّ بين النّظريّة والتطبيق»؛ كما بحث أ. محمّد السّمّاك، الكاتب والباحث اللبناني، «النظرة إلى الوسطيّة في الإسلام». أما د. عدنان السيّد حسين، أستاذ الدراسات العليا في كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة في الجامعة اللبنانيّة، فقد عالج في بحثه «الفكر السياسي بين الوسطيّة والتطرّف»؛ وتناول د. حامد بن أحمد الرفاعي، رئيس المنتدى الإسلامي العالمي في السعودية، «الوسطيّة مرتكزًا لحوار الثقافات لتحقيق المشترك الإنساني». واشتمل الكتاب أيضًا على مقتطفات اختارها أ. إبراهيم شبوح، مدير مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي في الأردن، مما ورد عن معاني الوسطيّة في طائفة كبيرة من تفاسير القرآن الكريم لعلماء ومفسّرين يمثّلون المذاهب الإسلاميّة، عبر مختلف العصور.

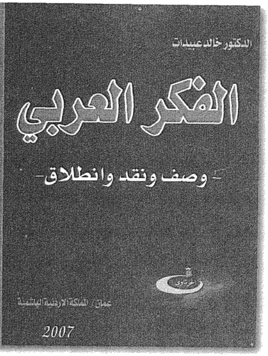
اشترك في تنسيق الإعداد للكتاب د. عدنان السيّد حسين، عضو لجنة الإدارة في المنتدى، ود. هُمام غَصِيب، مستشار سموّ الأمير الحسن بن طلال ومدير إدارة الدراسات والبرامج، الذي أشرف على إنتاجه وراجعه، وقام بتحريره أ. كايد هاشم.

يقع الكتاب في (١٥٩) صفحة. وهو الكتاب رقم (١) في سلسلة منشورات جديدة أصدرها منتدى الفكر العربي حديثًا بعنوان «كتاب المنتدى»، بمناسبة الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عامًا على تأسيسه. ■

صدر حديثًا

الدكتور خالد عبيدات

سفير أردني سابق وأستاذ جامعي. مثل الأردن في كثير من المؤتمرات الدولية. رأس دائرة الأبحاث والدائرة الثقافية والدائرة السياسية في وزارة الخارجية الأُردنيّة. له الكثير من الأبحاث المنشورة في موضوع العلاقات الدولية.



تضمن الكتاب الموضوعات الآتية:

- الباب الأول من هذا الكتاب هو مدخل إلى الفكر يتحدث عن المفاهيم الأساسية المكونة للفكر.
- أما الباب الثاني الذي يهدف إلى التعرف على الفكر فقد إشتمل على ثلاثة فصول تتحدث عن تاريخ الفكر وتيارات الفكر وعن العلاقة المتوترة بين السلطة والفكر.
- و«العالم العربي والفكر والمفكر» هو عنوان الباب الثالث الذي إشتمل على أربعة فصول تعالج أحوال العالم العربي والفكر العربي والمفكر العربي وتأثير الغرب عليه.
- إن التعليم العالي في الوطن العربي وضرورة الحرص على المحافظة على اللغة العربية جاءت في فصلين من الباب الرابع وعنوانه «التعليم العالي واللغة العربية».
- وفي الفصلين الحادي عشر والثاني عشر من الباب الخامس «الفكر والإسلام» تم الحديث عن الفكر الإسلامي وعن الوسطية والإرهاب.
- ولا بد من إقتراح الحلول لأوضاع الفكر فجاء الباب السادس يحمل عنوان «الانطلاق». فالفصل الثالث عشر يحمل عنوان «إنطلاق نحو الحلول».
- أما الباب السابع فقد أخذ المثال من المملكة الأردنية الهاشمية فجاء الفصل الرابع عشر يحمل عنوان الفكر السياسي في المملكة الأردنية الهاشمية.

المؤلف:
د. خالد عبيدات



صدر الكشّاف السّنويّ لمجلّة المنتدى لعام ٢٠٠٦ في طبعة محدودة. ولم يوزّع مع هذا العدد من المجلّة - كما جرت العادة - لقلّة الطلب؛ لكنه سيكون متوافرًا لمن يطلبه.

كتّاب هذا العدد

الفبائيًا

أ. د. جميل جريسات

عضو المنتدى؛ أستاذ الإدارة العامة والعلوم السياسية
في جامعة فلوريدا الجنوبيّة–تامبا
هاتف: ٩٧٤٢٢١٥ (٨١٣ ١+)
فاكس: ٩٧٤٠٨٣٢ (٨١٣ ١+)
jreisat@cas.usf.edu

أ.د. جورج جبور

عضو المنتدى؛أستاذ في قسم الدراسات العليا بكلية حقوق جامعة حلب؛ عضو مجلس الشعب؛ رئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة

تلفاكس: ٦١١٨٨٦٦ (١١ ٩٦٣+)

أ. حسني عايش

مفكر وكاتب أردنيّ
جريدة الرأي الأردنيّة

هاتف: ٥٨٢٢٣٩٢(٦ ٩٦٢+)

أ. د. حميد الجميلي

عضو المنتدى؛ أستاذ الاقتصاد والعلاقات الاقتصاديّة الدوليّة

أكاديميّة الدراسات العليا – طرابلس؛ ليبيا

أ. د. عبد الكريم غرايبة

أستاذ شرف؛ قسم التّاريخ / الجامعة الأردنية
عضو مجلس الأعيان الأردني

هاتف: ٥٣٥٥٠٠٠(٦ ٩٦٢+)

أ. محمد المشايخ

كاتب أردنيّ؛ مدير مكتب مؤسسة البابطين للإبداع الشعري في عمّان

هاتف: ٤٦٢١٧٢٤ (٦ ٩٦٢+)

أ. يوسف عبد الله محمود

كاتب صحافي في جريدة **الرأي** – عمّان

هاتف: ٥١٥٥٠٥٠ (٦ ٩٦٢+)

رسائل الأعضاء والأصدقاء

تلقى الدكتور سعد الدين ابراهيم الأمين العام لمنتدى الفكر العربي رسائل عديدة حول نشرة "المنتدى" وفيما يلي مقتطفات من بعضها.

● تلقيت كتاب سيادتكم بشأن الدراسات والحوارات والتوصيات التي طرحت في ندوة "التعاون العربي في مجال العمالة واستخدامها".

وقد اطلعت على هذه التوصيات التي لمست فيها الموضوعية والواقعية والتي تنم عن تفهم واضح لأبعاد المشكلات التي تواجه العمالة في العالم العربي من خلال انتقالها بين الأقطار الشقيقة فيه.

ويسعدني ان أبعث لسيادتكم بخالص شكري على جهودكم المثمرة، وأتمنى لكم دوام التوفيق والسداد.

وانتهز هذه المناسبة لأوجه تحياتي الخالصة لمعالي المهندس/خالد الحاج حسن وزير العمل والتنمية الاجتماعية بالأردن الشقيق.

وتقبلوا وافر الشكر والاحترام..

مع احترمي وشكري

مهندس/وليم نجيب سيفين
وزير الدولة
لشئون الهجرة والمصريين في الخارج

● أود أولًا أن أعبر عن تقديري واعجابي بجهودكم لجعل منتدى الفكر العربي محط أنظار المثقفين العرب وجعله على اللسان دوماً لكثرة النشاطات التي تديرونها. فقد سعدت بحضور بعض تلك الاجتماعات واستفدت من الأوراق والمعلومات.

واقبلوا فائق الاحترام

د. عايدة النجار

● تلقيت المنتدى، نشرتكم الشهرية التي بدأت تتسع بحوثها وتتنوع دراساتها وتأخذ اهتماماتها احجامها في اوساط المثقفين وليس غريبا عليكم ان يمتد هذا النشاط ليشمل هذه المساحة ويتحرك في اطار الاحداث الحادة والملحة وانتم تواصلون نشاطكم في هذه الميادين وتقدمون الدراسات النافعة التي تلتفت لكل حالة تراها تستحق الالتفات، وانني اذ اجد في هذه المشاركة ما يدعو الى الاعتزاز فانني اسجل لكم اعجابي وتقديري لهذا النهج الحضاري في مرحلة تواجه امتنا العربية حالة من المجابهة والتحدي وتعيش صورة من الغربة والتمزق والانقسام...

ان التأكيد على المبادىء الأساسية لاعادة النظر في تثبيت العلاقات تدعونا الى تقويم شامل لواقعنا المرير ودراسة موضوعية لما يجب ان تكون عليه هذه العلاقات ليأخذ الشعب العربي دوره في تحديد موقفه وابداء رأيه... انني اجد هذا النفس يلوح في بعض المعالجات...

ان الجهد المبذول يحملني على تأكيد استعدادي للتعاون معكم في تحقيق ما ترجوه امتنا ويسعى اليه شعبنا وتتطلع اليه جماهيرنا من خلال النظرة الصائبة والتحليل الموضوعي والمعالجة العلمية.

وفقكم الله لخدمة قضايا الامة في الدفاع عن وجودها والتصدي لاعدائها مع خالص التقدير والاحترام

الدكتور نوري حمودي القيس
الامين العام للمجمع العلمي العراقي
عميد كلية الاداب - جامعة بغداد

● تلقينا بمزيد الشكر العدد السابع من نشرتكم "المنتدى" الغراء هدية الى مكتبة مؤسستنا.

ونظرا لاهمية دوريتكم لعملنا البحثي والتوثيقي، نرغب ان تكون مجموعاتنا منها كاملة، لذا نتقدم من حضرتكم برسالتنا هذه راجين التفضل بالايعاز لمن يلزم على تزويدنا بكل ما صدر من "المنتدى" الغراء قبل العدد ٧ (نيسان/ابريل ١٩٨٦).

راجين ان تتكرمزا بارسال الاعداد المطلوبة بواسطة البريد الجوي على عنواننا التالي:

منى نصولي
مؤسسة الدراسات الفلسطينية
المكتبة
صندوق بريد ٧١٦٤ - ١١
بيروت، لبنان

● اطلعت مصادفة على أحد أعداد «المنتدى» ووجدت انها تشكل قراءة جادة ومفيدة. انني اذ ابدي اعجابي بهذا الانجاز أمل ان تضعوا اسمي على قائمة البريد وتزويدي بالأعداد التي ستصدر مستقبلا.

غادة دباس
سيتي بنك ص.ب (٥٠٥٥)
عمان - الأردن

- ٢٣ -

* أنظر (ص٤) من هذا العدد من **المنتدى**.

أخبار المنتدى ونشاطاته

● **ندوة التنمية المستقلة**

عقد مركز دراسات الوحدة العربية ندوة كبرى في عمان (٢٥ ـ ٢٩/٥/١٩٨٦) بعنوان التنمية المستقلة، حضرها حوالي ثمانين من كبار الاقتصاديين وعلماء الاجتماع العرب. وساهم فيها من اعضاء المنتدى بأوراق او تعقيبات مكتوبة كل من: د. سمير امين، د. عبد الحسن زلزلة، د. محمد محمود الامام، د. يوسف صايغ، د. عبد العزيز السقاف، د. طاهر كنعان، د. سعد الدين ابراهيمي، ود. فهد الفانك. كما حضر الندوة من اعضاء المنتدى د. خليل السالم والاستاذ زهير خوري.

● **الاهرام الاقتصادي وندوة الأمن القومي**

أفرد الاهرام الاقتصادي افتتاحية عدده رقم ٩٠٤ بتاريخ ١٢/٥/١٩٨٦، للندوة التي عقدها منتدى الفكر العربي بمناسبة انعقاد الاجتماع السنوي للهيئة العامة (٢١/٤/١٩٨٦) عن **الأمن القومي العربي في العقد القادم. كما اصدر الاهرام الاقتصادي ملحقاً خاصا مع نفس العدد تضمن خطاب سمو رئيس المنتدى الأمير الحسن بن طلال، وورقة العمل التي قدمها الدكتور علي الدين هلال، وتعقيبي الدكتورة سعاد الصباح والفريق الركن عبدالهادي المجالي على الورقة.**

● **ندوة ثورة ٢٣ يوليو: مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل.**

نظمت دار المستقبل العربي بالقاهرة ندوة بعنوان ثورة ٢٣ يوليو بين مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل: دعت منتدى الفكر العربي لحضورها في المدة من ٣ الى ٦/٥/١٩٨٦. وقد حضر الندوة حوالي مائة مفكر وسياسي عربي وقد شارك او اسهم عدد من اعضاء المنتدى بأوراق بحثية او تعقيبات مكتوبة في أعمال الندوة ـ بينهم السادة الأخضر الإبراهيمي، ومحمود رياض، ود. خير الدين حسيب، ود. محمد محمود الإمام، ود. لبيب شقير، ود. مصطفى الجبلي، واحمد بهاء الدين، ود. علي الدين هلال، والسيد ياسين، ود. محمد عمر بشير، ود. يحيى الجمل، ود. سعدالدين ابراهيم.

جائزة الكويت للعلوم الاقتصادية والاجتماعية

بمناسبة الاحتفال بمنح جائزة الكويت (٢٨/٤/١٩٨٦)، القى عضو المنتدى الدكتور محيي الدين صابر كلمة عن الفائزين بالجائزة لعام ١٩٨٥، كما القى محاضرة في نادي الخريجين بالكويت عن العلوم الاجتماعية والتنمية. وبنفس المناسبة القى د. سعد الدين ابراهيم امين عام المنتدى محاضرتين ـ احداهما في جامعة الكويت بعنوان «مأزق التنمية في الوطن العربي»، والثانية في الجمعية الكويتية للطفولة العربية بعنوان «تنمية الوعي القومي عند الاطفال العرب». وكانت النشرة قد أشارت في عدد سابق الى حصول كل من الدكتور صابر والدكتور ابراهيم على جائزة الكويت في العلوم الاقتصادية والاجتماعية لعام ١٩٨٥.

● **أمن البحر الأبيض المتوسط**

وجّه المجلس الايطالي الامريكي دعوة لسمو رئيس المنتدى لحضور مؤتمر «أمن البحر الابيض المتوسط» الذي عقد في جزيرة سردينيا يومي ١٥ و ١٦/٥/١٩٨٦، وحضره حوالي اربعين مشاركا من كبار السياسيين والخبراء في اوروبا ودول البحر المتوسط والولايات المتحدة. ووجه سمو رئيس المنتدى خطاباً الى المجتمعين تناول فيه المخاطر الحقيقية على امن البحر المتوسط، والتي تتمثل في استمرار الصراع العربي الاسرائيلي والحرب الأهلية في لبنان وحرب الخليج والقلاقل الاقتصادية والاجتماعية في جنوب وشرق البحر المتوسط. وحذر سموه من مغبة الانسياق الأعمى في تعبئة الرأي العام الغربي ضد ظاهرة الارهاب دون التصدي الحقيقي لجذور وعوامل هذا الارهاب. القى الخطاب نيابة عن سمو رئيس المنتدى وشارك في أعمال المؤتمر د. سعد الدين ابراهيم.

● **منتدى الجنوب**

عقد في كوالالمبور، ماليزيا، الاجتماع الثاني لمنتدى الجنوب في المدة من ٥ الى ٨/٥/١٩٨٦ بحضور اكثر من مائة من كبار رجال السياسة والفكر الاقتصادي والاجتماعي في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. وقد شارك في أعمال هذا الاجتماع الدكتور جواد العناني، عضو المنتدى وترأس الاجتماع رئيس وزراء ماليزيا.

● **صدر اخيراً من المنتدى**

صدر في الأيام القليلة الماضية عن المنتدى الكتب التالية:

- تجربة مجلس التعاون الخليجي ـ خطوة ام عقبة في طريق الوحدة العربية.
- التكنولوجيا المتقدمة وفرصة العرب للدخول في مضمارها.
- العائدون من حقول النفط ـ العمالة العربية.
- القمر الصناعي العربي ـ بين مشكلات الأرض وامكانيات الفضاء.
- ملاحظات حول الأمن القومي العربي.

ـ ٢٤ ـ

بمناسبة عيد ميلاده الستين

يسألونَ عن الحسن ... عن طودٍ ينتمي للشموخ !؟

أ. ممدوح أبو دلهوم*

[إن سألوكَ عن الأمير الحسن، فَقُلْ: شمسٌ مهمتها الشروق، الذي يَمُدُّ الحياة والناس بالضجيج الجميل! ذلكم . . . قبلُ، كان نُصحي في إهاب جواب، سآتيكم بعد قليل بخبره الجميل، لولدي (راكان)، الطالب في السنة الثالثة بقسم العلاقات الدولية في (الجامعة الهاشمية)، الذي جاءني مساء اليوم الأول من أيام مؤتمر (رسالة عمان في عيون الآخرين) يخبرني، متحمسًا ومفتخرًا في ذات الآن، بأنَّ غير عالم أو مفكرٍ من الضيوف المشاركين في هذا المؤتمر قـد سألوا عن صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال المعظم. و بالمناسبة -والحديث لولدي- لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يسألون فيها عن سمو زميلهم وصديقهم، عن محاورهم الدائم الحضور في الندوات والمؤتمرات الإقليمية والدولية، فالسؤال ذاته، مثالاً لا حصرًا، تكرر في مؤتمر (العلاقات العـربية الأوروبية بعد ١١ سبتمبر: الواقع والآفاق). وبالمناسبة . . . أيضًا، فهذا كان على مستوى جامعة واحدة (فقط) هي الجامعة الهاشمية.

الجواب في بعض مفاصله هو أن سموه حاضرٌ على الدوام، حفظه الله ورعاه من كل مكروه. ونعم . . . تعبَ قلب سموه . . . قليلاً، بعد إذ نالت منه إحتشادات مسيرته الوطنية بسنينها الطويلات، ما نرى إليه فلترةً طبيعية لحصادٍ جهاديٍّ لم يعرف الكللَ أو المللَ ولو للحظة من زمن، لدرجة أن سموه حفظه الله بالكاد يستطيع أن يَرصدَ إن كان في احتشاداته هذه قد تعاقب الليل على النهار أو العكس، يواصل حراكه الإنتاجوي على مختلف المستويات بدأبٍ وتفانٍ وإخلاصٍ حد الإطلاق على مدى قرابة عقود أربعة.

فلزملائه الضيوف هؤلاء وللذين لا يعرفون، نضيف بأن سمو (أبي راشد) حفظه الله قد خضع لعملية في قلبه الكبير الحنون، التي لو شاء الله تعالى أن يُنطقها، لقالت الكثير الكثير مما نعرف عن قليلٍ جُلّه لا عن كثير كله من الأشواق والهواجس والهموم لأجل الوطن والعروبة، بل والإنسانية بإجمال.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، كما يقولون، فما زال عالقًا في ذاكرتي الشائخة ذلكم اللقاء الماتع والنافع في آنٍ معًا، الذي أجراه قبل سبع سنين مع سموه حفظه الله على صفحات مجلة (**المجلة**) السعودية اللندنية الناشط السياسي وأستاذ علم الاجتماع أ. د. سعد الدين إبراهيم، رئيس مركز ابن خلدون للدراسات الاستراتيجية والأمين العام الأسبق لمنتدى الفكر العربي. وهو لقاءٌ كان بمثابة سياحة فكرية وإنسانية فيما تحت فروة رأس أميرنا العالم حفظه الله، الذي وصفه الدكتور إبراهيم في هذا اللقاء بأنه (أسدٌ في الربيع)، تعليقًا على وصف سموه لنفسه بتواضعه المعروف وأدبه الجم بأنه (أسدٌ في الخريف).

لم يكن ذلك كله إلا مجرد هامش مبتسر لعنوان صغير من عناوين كبيرة وعظيمة تستحق الإضاءة فضلاً عن التحليل المعمق، لولا أن هذه المساحة البيضاء الناعمة قد أوشكت على النهاية، مع أننا بعدُ لم نقل شيئًا في خبر ما نتغياهُ هنا في هذا المقام الكريم. فللمثال لا الحصر . . . وأرجو أن تسعفني ذاكرتي الهرمة، أنوهُ بأن سمو الأميرة التي قالت في اللقاء المذكور آنفًا حول يوم فقط من أيام حافلة وحبلى بالكثير في حياة الأمير الأب، أو وقته الضاج بالعمل الإنتاجوي للوطن والمواطنين، ما مفاده (أنك إذا وجدت أبي ولو لساعةٍ واحدةٍ في البيت نهارًا أو ليلاً، فاعلم بأنه سيعقد اجتماعًا (بيتيًا) في تلك الساعة لا ليستريح أو يُجالسنا)! هي صاحبة السمو الملكي الأميرة رحمة بنت الحسن، الإبنة الكبرى لسموه حفظهما الله.

قطف دالية هذا المقام . . . خلوصًا، هو أن حديثَ الحسن هو حديثٌ حَسَنٌ سَيّابٌ، سلسبيلهُ المقيم هو مزيجٌ من بلسم حَسنيٍّ يدلف إلى قلوب مُريديه بردًا وسلامًا، ومن قَطْرٍ طلّيٍّ نديٍّ وزَاكٍ يَنهلُ علمًا وأدبًا وانتماءً من مَعينٍ هاشميٍّ لا ينضب. ولأنه أيضًا حديثٌ طويلٌ متواصلٌ ما ينقطع، فمُلحةُ الوداع، بحسبِ التوحيدي في إمتاعه ومؤانسته، تراوحُ حيرى أو خَجلى بين أمرين: المساحةَ والإعراب، بمعنى أن لا ختام و لا وداع، بل الوعد على أمل اللقاء في إضاءةٍ مقبلة لإحتشادةٍ أخرى من إحتشاداتِ الحراك الحسنيّ الميمون.

حسبنا إذن . . . أخيرًا، الجواب الذي اعتلى هذه السطور الناعمة والمتواضعة في ذات الآن، وبأن صاحب السمو الملكي أميرنا المحبوب (أبا راشد) حفظه الله، ما تنطفئُ أنوار إشتغالاته الوطنية وانشغالاته الإنسانية . . . دائمُ الاتصال وفيّ الوصال من حيث هو الذخر المذخور لوطنه ومليكه، متعهُ الله بالصحة والسعادة لنا جميعًا . . . مع رشة عطرٍ و وردةٍ باسمة.] ■

* كاتب صحافي في جريدة الرأي الأردنية.

قسيمة اشتراك
في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في : ☐ مجلّة المنتدى

☐ مجلّة المنتدى + الإصدارات السّنويّة (الكتب)

الاسم : ....

العنوان : ....

....

....

قيمة الاشتراك*: .... طريقة الدفع : ☐ نقداً ....

رقم الـ CVV2 : ....

بطاقة فيزا رقم : .... تاريخ انتهاء مدتها : ....

حوالة بنكية (صافي القيمة) ....

رقم الحساب : 0118/001769 - 8/610 (البنك العربي، فرع الشميساني؛ عمّان، الأردنّ)

التوقيع : ....

التاريخ : ....

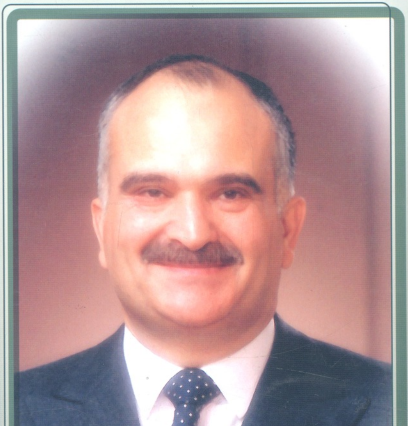
تُملأ هذه القسيمةُ وتُرسلُ مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي :
منتدى الفكر العربي؛ ص.ب: (٩٢٥٤١٨)
عمّان ١١١٩٠؛ الأردنّ

*قيمة الاشتراك السنوي		المجلة	المجلة + الكتب
	داخل الأردن	للأفراد : (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً	للأفراد : (٥٠) خمسون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دينار أردني
	خارج الأردن	للأفراد : (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دولار أمريكي	للأفراد : (١٥٠) مئة وخمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (٣٠٠) ثلاثمئة دولار أمريكي

الأمير الحسن بن طلال

بمناسبة حلول عيد ميلاده الستّين

(ص ٥-٣٣)



مُبارك !